







إيهاب معوض

الرواق للنشر والتوزيع

كيمو شهريار التجمع

إيهاب معوض

■ الطبعة الثانية 2020

الغلاف: كريم آدم

التصحيح اللغوي: إسلام منتصر

رقم الإيداع: 2020/1743

الترقيم الدولي: 2 - 096 - 824 - 977 - 978



186 عمارات امتداد رمسيس 2 - أمام أرض المعارض - مدينة نصر

هاتف: 0220812006

rewaq2011@gmail.com

facebook.com/Rewaq.Publishing

كيمو

شَهريَار التَجمُّع

إيهَاب مُعَوضْ



إهداء

إلى ريهام حسن

شريكتي في الكتاب بنسبة قدرها ٥٠٪

وشريكتي في الحياة بمؤخر قدره ٥٠ ألف جنيه



الفصل الأول

المؤامرة



قال رمزي مازحًا:

- يا إخوانا كفاية هزار بقى لأحسن كريم شكله هيتعلّق النهارده.

ثُمَّ أكمل:

- أصل طنط نيِّرة عمَّالة تبص علينا بغيظ.

قاطعه تامر مستفهمًا:

- يعني ماقولتلناش يأبو العريف إيه بقي اللي إحنا مش عارفينه؟

قال رمزي:

- اللي إنتوا مش عارفينه ولا فاهمينه إن نور غير أي بنت تانية.

وأخذ رشفةً من العصير وهو يقول:

-يعني لا هي سها ولا رباب ولا أي واحدة من اللي عرفهم كريم، وبعدين كريم بيحبها بجد وإلا مكانش اتغير بالشكل ده.

لتشاركهم ميار قائلة:

- آه واللـه ده اتغير ١٨٠ درجة.

ثم أكملت:

- بس برضو هيفضل بتاع بنات.

فيرد أمير مازحا:

- انا أعترض، ماسمهوش بتاع بنات.. اسمه جابر للخواطر ذو مشاعر فياضة تستوعب أكثر من أنثى.

* * *

تساءلت كاميليا:

- هو عمو وتيتة اتأخروا كده!

فقالت نيرة:

- بصراحة مكانش فيه داعي يتعبوا نفسهم ويجوا من أصله.

لينظر لها كريم نظرة اعتراض ثُمَّ يقول لكاميليا:

- يتوهوا إزاي؟ إنتي ناسيه إن عمو جه معانا يوم ما اتقدمنا لنور!

هزَّت كاميليا رأسها مؤيده في حين شعَر كريم باهتزازت في جيبه. مدَّ يده ليخرج هاتفه ويصيح:

- يا خبر! ده عمو سعيد اتَّصل كذا مرة وأنا كنت عامل الموبايل سايلنت.

رنَّ موبايل كاميليا فقال كريم:

- ده أكيد عمو.

ردَّت كاميليا:

- أيوة يا عمو إنت وصلت لفين؟

ليجيبها عمها على الجانب الآخر:

- أنا بقالي نص ساعة بلف حوالينّ نفسي، شكلي كده نسيت المكان.

ثُمَّ يقول:

- اِدِّيني كريم يوصفلي.

ارتفع صوت الموسيقى بعد أن بدأت الفرقة بالعزف؛ فأخذ كريم الهاتف من شقيقته ليتحدث إلى عمه فلم يسمع أحد منهما الآخر.

تحرَّك بخطوات سريعة محاولًا البحث عن مكان أكثر هدوءًا حتى وصل إلى باب غرفة مكتب الدكتور أبو المكارم، أدار المقبض ثُمَّ دفعه وهو يقول:

- خليك معايا يا عمو ثواني.

ضغط زرَّ الإضاءة وقال:

- أيوة أنا كده سامع حضرتك، قولي بقى أنت بقيت فين دلوقتي؟

- أنا كده عديت صينية التجمُّع الأول.

- طب كويس كمِّل بقى لحد...

ثُمَّ صمت بعد أن وقعت عيناه على دوسيه مكتوب عليه شيء أثار فضوله، فالتقطه من على المكتب.

قال له عمه.

- خلاص يا كيمو أنا كده هعرف أوصل، يالا أرجع إنت لضيوفك يا حبيبي.

لم يسمعه كريم حيث كانت عيناه ما زالت متعلقةً باسمه المكتوب بخط كبير وسط العنوان:

(الفرق بين المتعة والسعادة في تجرِبة هوبر وكريم)

تقديم الباحثة: ريهام حسن

لم يكن من اللائق أنْ يجلس كريم في غرفة ليست غرفته ولكنه جلس، ولم يكن من حقه أن يعبث بأوراق ليست أوراقه ولكنه فعل، لم تكن أخلاقه ولم يكن هذا ما اعتاد عليه، ولكنه الفضول.. ذلك الشيء الذي يقودنا أحيانًا إلى الهلاك.

فتح الدوسيه بأصابعه المرتعشة وهو يتوقع كارثة جديدة فلم يخيِّب القدر ظنَّه.

كانت صورته تتوسط الصفحة الأولى من حزمة الأوراق الكبيرة، كانت صورة غير عادية، صورة لا يعلم مَن التقطها ولا متى ولا أين.

كان هو في الصورة واقفًا مزهوًا بنفسه وسط فريق الهارلي يرتدي تلك الملابس المميزة للفريق، خوذة فضية اللون وبنطلون وجاكيت من الجلد الأسود اللامع، أسفلهم حذاء كبير محفور على جانبيه البادج المميز للفريق، وكان مكتوب أسفل الصورة:

(المرحلة الأولى من حياة الحالة)

فسقط على الكرسي ليخفق قلبه بشدة وتتسارع أنفاسه وهو يقلِّب الصفحات ليرى حياته أمام عينيه موثَّقة بالكلمات والصور، فيغيب عن الواقع ويسكن جسده تمامًا إلا من شفتيه، تلك التي ظلَّت ترتعش وتتمتم بها يقرأ.

* * *

خيَّم الصمت على القاعة وساد الهدوء عندما بدأ الدكتور حسن في قراءة الأوراق التي أمامه بصوت عال:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. إنه في يوم الخميس الموافق ٢٧ مارس

٢٠١٩ وفي تمام الساعة التاسعة صباحًا اجتمعت اللجنة الثلاثية المكوَّنة من... أشار إلى يمينه وقال:

ـ الأستاذ الدكتور صبري عبد المنعم دكتور علم النفس ونائب رئيس الجامعة.. ثُمَّ أشار إلى يساره وأكمل:

ـ والأستاذ الدكتور محمد المهدي رئيس قسم علم النفس بالكلية، ثُمَّ رفع رأسه للحضور وواصل:

ـ وبحضوري أنا الأستاذ الدكتور حسن أبو المكارم استشاري الصحَّة النفسيَّة والمشرف على الرسالة، اجتمعنا لمناقشة رسالة الدكتوراه المقدَّمة من الباحثة ريهام حسن تحت عنوان «الفرق بين المتعة والسعادة في تجرِبة هوبر وكريم»، ثُمَّ أشار إلى الباحثة ليطلب منها البدء:

ـ اتفضلي يا ريهام.. عايزين استعراض سريع لموضوع رسالتك.

وقفت ريهام ترتدي معطفها الأسود والقبَّعة المميَّزة لطالبات الدكتوراه لتبدأ كلماتها:

ـ اسمحولي في الأوَّل وقبل أي حاجة أشكر أساتذتي اللي بيمتحنونني النهارده، واللي ساعدوني من أول يوم في رسالتي.

نظرتْ لهم في عرفان ثُمَّ قالت:

ـ دكتور صبري عبد المنعم ودكتور محمد المهدي وطبعًا أخصُّ بالشكر أستاذي العظيم.

أشارت له بابتسامة وهو يتوسط لجنة الممتحنين، ثم قالت:

ـ أستاذي العظيم دكتور حسن المشرف على الرسالة، واللي شاركني تجرِبتي العملية الصعبة جدًّا، وضحَّى بكتير من وقته ومجهوده على مدار سنة كاملة.

صفَّق الحضور قبل أن تكمل ريهام:

-وطبعًا الشكر موصول لكل زملائي وأهلي وأصدقائي اللي شرَّفوني النهارده. قالتها وهي توزع الابتسامات على الحضور، ثُمَّ استكملت:

- كمان اسمحولي أهدِي رسالتي لروح ماما اللي كان نفسها تكون معايا النهارده وتشوفني وأنا بحقق حلمها فيَّا.

صمتت لحظة وهي تحاول منع دمعة تسلَّلت من عينيها، ثُمَّ أسرعت تقول:

-ربنا يرحمها ويجزيها عني خير، وآخر حاجة وآسفة إني طوَّلت على حضراتكم.. اسمحولي أشكر صديقي الغائب الحاضر «كريم» بطل رسالتي اللي لولا إصراره على النجاح كان زماني بأعلن فشل نظريتي النهارده بين إيديكم.

قال الدكتور حسن مازحًا:

- هتدخلي في موضوع الرسالة ولَّا ناوية تكمليها شكر وعرفان؟

فردَّت بابتسامة:

- لا طبعًا يا دكتور هأدخل أهوه.

اعتدلت في وقفتها ثُمَّ فتحت الملف الخاص بالرسالة.

أخذت تنقِّل عينيها بين الأوراق والممتحنين وهي تشرح:

-موضوع رسالتي هو الفرق بين المتعة والسعادة والأضرار الناتجة عن الخلط بينهما و...

قاطعها الدكتور صبري الذي اختار لنفسه من البداية دور المعارض:

- إزاي يا دكتورة عملتي رسالة دكتوراه كاملة علشان تفرَّقي بين

ما صين وهما في الأصل مكمِّلين لبعض؟!

أدركت ريهام بذكائها ما يرنو إليه؛ فأجابت بثقة:

ـ متشكِّرة على المقاطعة دي يا دكتور؛ لأنها هاتساهم كتير في توضيح وجهة نظري.. بمعنى أني متفقة مع حضرتك ومع كل النظريات اللي بتأكد أن المتعة هي جزء من السعادة لكن موضوع رسالتي هو الزاوية اللي بيشوف منها عوام الناس العلاقة بين الاتنين.

حاول نفس الممتحن مقاطعتها مرَّة أخرى؛ فنظر له دكتور مهدي وقال محاولًا فض الاشتباك:

ـ طب خلينا نشوف وجهة نظرها يا دكتور صبري.

ثُمَّ نظر إلى ريهام مشيرًا لها أن تواصل، فقالت:

ـ أنا أقصد إن مشكلة الناس العادية هي الخلط بين الاتنين.. يعني مثلًا الإنسان اللي بياكل بشراهه ده عبارة عن واحد برمج عقله على أنَّ المتعة اللي بيحسها وهو بيأكل هي نفسها السعادة، وبالتالي صعب جدًّا يتخلَّى عن الأكل أو يستسلم لريجيم قاسي؛ لأن مفهومه في الحالة دي هو أنه هيتخلَّى عن السعادة.

نظرت لأوراقها ثُمَّ قالت:

ـ دي النقطة الأوَّلانيَّة.

ثُمَّ واصلت:

ـ والنقطة التانية هي النتايج اللي هتترتِّب على الخلط ده، بمعنى أنه لمَّا بياكل بشراهة علشان يوصل لأعلى درجات السعادة في مفهومه هيحصل له امتلاء وبعد كده تخمة، ومع الوقت هيبتدي جسمه يتخن فيبتدي يحس بالندم فيكتئب؛ لأنه أصبح بين اختيارين؛ الأولاني أنه

يتخلَّى عن سعادته في الأكل ويحقق الرشاقة والصحة اللي بيتمناها، والتاني أنه يواصل السعادة دي وياكل ويستسلم للسمنة.

قاطعها دكتور حسن وهو يعقِّب:

- أو إنه يحصل له المصيبتين مع بعض زي ما إنتي كاتبة في المقدمة، يتخن فيكتئب فيبتدي لا إراديًا يعطل عقله الواعي ويأكل أكتر علشان يهرب من الاكتئاب فيتخن أكتر فيكتئب أكتر.

لتضحك ريهام وتقول مازحة:

- واضح إن حضرتك مذاكر الرسالة أكتر مني.

ضحك الأساتذة ومعظم الحاضرين؛ فأكملت ريهام:

- بالظبط زي ما قال دكتور حسن (الحلقة المفرغة) دوَّامة بيعيش فيها أي بني آدم بيخلط مفهوم المتعة بالسعادة، لكن لو قدر يفهم أن الأكل أو الغريزة الإنسانية أو التسوُّق كلها مجرد متع أو لذَّة مؤقَّتة بتمثل نسبة بسيطة من السعادة.. ساعتها بس هيقدر يتخلَّى عنها بسهولة.

علَّق دكتور مهدي:

- طيِّب يا ريهام إنتي علشان تقنعينا بالفرْق بين المتعة والسعادة أكيد حددتي في رسالتك مفهوم عام عن كل واحدة منهم على حدة، بس للأسف أنا مالقتهوش واضح فياريت تشرحيهولنا.

أومأتْ ريهام برأسها علامة الإيجاب؛ فواصَلَ الممتحِنُ كلامَه:

- ولَّا أقولك يا ريت في الأول تشرحي لنا مفهومك إنتي عن السعادة واختلافه عن مفهوم العوام.

ابتسمت ريهام في رضا كامل عن السؤال، ثُمَّ انطلقت تشرح وسط صمت كامل من الحضور:

- أعتقد أننا لو نزلنا الشارع نسأل الناس عن مفهوم السعادة هنلاحظ إجابات مختلفة، يعني منهم اللي هيقول إن السعادة هي الفلوس، ومنهم اللي هيقول إن السعادة هي الأولاد أو الشهرة أو الرياضة أو تحقيق الذات أو السفر أو ممارسة الغريزة الإنسانية، ومنهم برضه اللي هيقول إن السعادة هي الرضا أو الإيمان، وفي الحقيقة أن اختلاف الإجابات دي هيكون ناتج عن حاجتين: الأوَّلانية هي الموروثات أو الفروق الفرديَّة اللي هي التنشئة اللي اتربَّى عليها، والتانية هي الفروق الثقافيَّة المستمدَّة من قيم وأفكار المجتمع المحيط بينا.

لاحظت ريهام رغبة في التوضيح أكثر من اللجنة؛ فأسرعتْ تقول:

- يعني مثلًا لو طرحنا السؤال ده في السويد هنلاقي أن معظم الإجابات هتكون فلوس - نجاح - شغل - رياضة.. وهي طبعًا كلها أمور مادية وتتماشى مع ثقافة المجتمع اللي زرع في الوعي الجمعي لأفراده أن السعادة هي النجاح المادي وكانت النتيجة أنهم بقوا دول متقدمة ومستوى الرفاهية فيها عالٍ جدًّا، لكن في نفس الوقت هنلاقي أن غياب مفهوم سعادة الروح عن المعادلة عندهم سبب أساسي في وجود اضطرابات نفسيَّة بتأدِّي لنسبة انتحار عالية جدًّا واللي يأكِّد كلامي أكتر أن معظم المنتحرين بيكونوا من الأغنياء والمشاهير، وده معناه أنهم رغم اللي حقَّقوه إلا أنهم أخطأوا في تعريف معنى السعادة، ونقيس على كده معظم بلاد الغرب.

ظهرت ابتسامة رضا على اللجنة، وقال الدكتور مهدي مؤيِّدًا لها:

- فعلًا عندك حق، معظم الأبحاث حاليًا توصلت لأن الفلوس مش بتشكل أكتر من نص في الميه من أسباب السعادة، كمان كل الأبحاث اللي اتعملت في السنة الأخيرة عن السعادة بتأكد أن الشعب النيجيري

والهندي مثلًا أسعد من الشعب الأمريكي ومعظم دول الغرب رغم الفرْق الشاسع في الرفاهيَّات والتطوُّر الاقتصادي.

شعرتْ ريهام بتفاعل كبير ودعم من أساتذتها؛ فواصلت بحماس أكثر:

- أمَّا بقى لو عملنا السيرفاي دي في مصر أو أي دولة عربية هنلاقي أن معظم الإجابات بتدور حوالين الرضا أو الطمأنينة والإيمان بالله والعمل للفوز بالجنَّة، ده المفهوم اللي اتزرع في وجدانهم عن السعادة وبالتالي هايقودهم المفهوم ده للاستسلام الكامل والتخلي عن العمل والطموح اللي بالتبعية هايقودهم للفشل، وطبعًا النتيجة واضحة في بلدنا ومعظم البلاد اللي فسَّرت السعادة بنفس الطريقة.

مازحها الدكتور صبري قائلا:

- وليه بس الإحباط ده يا دكتورة! عايزين ننشر الأمل بين الناس.

لتردَّ ريهام:

- لا والله ده مش إحباط خالص؛ أنا دوري هنا ألمس الحقيقة مش أكتر.

- طيِّب ده مفهوم الناس عن السعادة.. ممكن تقولي لنا المفهوم اللي وصلتيله إنتي؟

كان ذلك السؤال موجَّهًا من الدكتور حسن؛ فأجابت ريهام وهي تنظر لأوراقها:

- حضرتك لو هتلاحظ أني كتبت في صفحة ٣٥ أن مفهومي عن السعادة مستمدٌّ من نظريَّة دكتور سليجمان.

قال الدكتور مهدي:

- ثنائيَّة الروح والجسد.

أومأت ريهام برأسها لتؤكد كلامه:

- بالظبط، أنا بشارك دكتور سليجمان أن السعادة الحقيقيَّة هي المزج بين احتياجات الجسد اللي هي الغريزة الجنسيه والخروج والأكل والشرب من ناحيه وبين احتياجات الروح اللي هي الإيمان وراحة الضمير وتحقيق ذات من ناحيه تانيه ثم أكملت:

- لو قدر الإنسان يوازن بين الاتنين في الحالة دي بس هايوصل لحالة الرضا عن الذات اللي هتوصَّله بدورها للسعادة الكاملة.

رد الدكتور صبري معترضا:

- طيِّب ولمَّا إنتي بتتفقي مع دكتور سليجمان في نظريته يبقى أضفتي إيه جديد؟

ابتسمت ريهام في ثقة لتجيبه:

- كل اللي طرحته لحد دلوقتي هو مقدمة رسالتي مش اكتر، لكن رسالتي الحقيقية هي التجربة العملية اللي حاولت اثبت فيها أن الخلط بين المفهومين ممكن يدمر الأنسان بالكامل.

- تقصدي تجرِبة الأخ كريم؟

سألها دكتور صبري مازحًا لترد هي:

- بالظبط يا دكتور، تجرِبة «كريم» الشاب الغني الوسيم اللي عنده كل مقومات السعادة ورغم كده عاش معظم شبابه تعيس يتنقل بين لذة والتانية وهو متخيل أن دي السعادة، لكن لمَّا هندخله جوا اللعبة، ونجبره يخرج من مرحلة اللا نضج لمرحلة النضج، ساعتها هيكتشف بنفسه الفرْق بين الاتنين.

* * *

طرق شريف باب المكتب بهدوء؛ فجاءه الصوت من الداخل:

- اتفضل.

أدار مقبض الباب ثُمَّ دفعه ليتقدم بضع خطوات وهو يلقي التحية.. كان كريم جالسًا على مكتبه الأنيق في انهماك مفتعل يراجع بعض الأوراق.

تنحنح شريف؛ ليفصح عن وجوده فأشار له كريم بالجلوس دون أن يرفع رأسه، مرَّتْ دقيقتان قبل أن يملَّ شريف ويقرِّر التحدُّث:

- حضرتك لو مش فاضي ممكن أجيلك في وقت تاني!

رفع كريم رأسه وهو يرسم على وجهه ابتسامة ساخرة ويسأله:

- طبعًا حضرتك جاي علشان تطلب علاوة جديدة للموظفين؟

- توقع حضرتك في محله مع تصحيح بسيط، أنا جاي أطلب لهم علاوة قديمة؛ لأن حضرتك بقالك ٣ شهور بتقول هتمضيها. ليردَّ كريم:

- أقسم بالله هيطلعلك جناحات من دور الملاك اللي أنت راسمه أُدام الموظفين ده.

بدا الاستياء على شريف ولكنَّه تمالك نفسه مستعِيدًا شخصيَّة مدير الـ(إتش أر) ذلك الرجل الذي يستطيع السيطرة على انفعالاته أمام استفزاز أي طفل مدلَّل مثل كريم. فقال:

- يا فندم أنا بشتغل هنا مدير موارد بشرية، يعني طبيعي يكون شغلي الشاغل هو الموظفين وعلاواتهم ومشاكلهم واحتياجاتهم.

- خلاص خلاص ارحمني من محاضرة كل يوم هو أنا هلاقيها منك ولا من أبويا! انجز،عايز تتكلِّم في موضوع العلاوة بس ولا عندك حاجة تانية؟

هكذا حاول كريم إسكاته بهذه الكلمات قبل أن تقع عيناه على العلامة المطرَّزة على تيشيرت شريف فأكمل متهكِّمًا:

- يا سيدي يا سيدي وبقينا نلبس براندات كمان، يا عم اللي عدَّى عادي.

تفقَّد شريف ملابسه وهو يتحسَّس تلك العلامة التي استفزَّت مديره؛ فهو يعلم جيِّدًا إدمان كريم للبراندات وعداوءه المطلق والمعلن لكل من يحاول منافسته في اقتنائها، لذا فقدْ ردَّ في أدب محاولًا أن ينفي التهمة عن نفسه:

- يا فندم براندات إيه بس!! دي هاي كوبي، وبعدين يعني كريم دائما مش عارف يفرَّق بين الأصلِي والمضروب.

انتفخ كريم بالغرور وهو يضحك:

- لا يا سيدي عارف إنها مش أصلِي، بس مش فاهم ليه بني آدم يدفع فلوس أيًا كانت في حاجة مضروبة؟

- أوَّلًا يا فندم الفرْق في السعر كبيير جدًّا. ثانيًا أنا بشتريها؛ علشان عاجباني ومريحاني، لونها حلو، خامتها كويسة، مظبوطة عليًا. مش فارق معايا خالص الناس تشوفها أصلية ولَّا مضروبة، المهم أكون مبسوط ومرتاح وأنا لابسها.

دائمًا تأتي كلمات شريف صادمة ومستفزَّة لكريم كأنَّها تعرِّيه أمام نفسه.. ربما لهذا السبب كان يسعى دائمًا إلى استبداله بموظفًا آخر أكثر طواعيةً واحترامًا له.

- ماشي يا عم المثالي.

قالها كريم محاولًا إنهاء الجدال ثُمَّ أطرق برأسه مرَّةً أخرى يراجع

أوراقه ليفهم شريف أن المقابلة قد انتهت.

- طب أستأذن أنا حضرتك بس أرجوك فكَّر في موضوع العلاوة؛ لأنه هيكون حافز كبير للعمال وخصوصا إنهم داخلين على موسم صعب.

قالها شريف بعد أن وقف يهم بالخروج فهزَّ كريم رأسه ليخرج شريف مغلقًا الباب خلفه.

أمسك كريم بهاتفه المحمول، وضغط زر الاتّصال على رقم مسجَّل على ذاكرة الهاتف ليأتيه صوت (سها) بعد عدة رنَّات:

- ألوووووه.

وسها ليست كغيرها من الفتيات؛ فمن بين كل اللاتي عرفهن كريم بقيتْ سها صامدةً في عالمه لسنوات طوال، تأتي إحداهنَّ وتذهب ثُمَّ تأتي الأخرى وتذهب وتبقى سها صامدة دون منافس.

والغريب في الأمر أنها لم تكن على قدر كبير من الجمال؛ فتاة بسيطة، ملامحها بسيطة، تفاصيلها الأنثوية بسيطة، أمور كلُّها جعلت المقرَّبين من كريم يتساءلون في تعجُّب.. لماذا تبقى هي دائمة؟ ربما يحبُّها؟!! ولكنَّ التجرِبة أثبتت خطأ هذا الاحتمال؛ فقدْ يمكث كريم لشهور لا يفكِّر فيها ولا يتذكَّرها من أصله. ولكنَّه يهرع إليها فقط في أوقات الانكسار والاحتياج.

وحده كريم كان يعرف السرَّ: هي فتاة تملك ذكاء الأنثى وتحفظ عن ظهر قلب الوصايا السبع للمرأة المحترفة، تلك المرأة التي تحتلُّ الرجل طيلة عمره، ما لم يأتيه حب حقيقي يقلب موازينه:

١- عندما يأتيكِ الرجل باحتياجه أشعريه بأنه ملك متوَّج وأنتِ جاريته، وعندما يهجركِ بقسوته أشعريه بأنه عبدًا حبشيًا يطارد بلقيس،

ولكن سامحيه في النهاية شريطة ن تعودي بامتيازات أكثر.

٢ـ عليكِ بالتغافل فلا تراقبيه ولا تحاصريه ولا تجهدي رأسك بمرواته وصدِّقي دائمًا أكاذيبه وثقي دائمًا أنه عائد بفعل الخيط المطاطي الذي تربطيه به، فقط اصنعي لنفسكِ عالمًا موازيًا إلى حين يعود.

٣ـ مهما مرَّت السنوات أشعريه بأنه الرجل الأوَّل والأخير في حياتكِ، وأنّ كل ما يفعله وما سيفعله جديد ومميز في عينيكِ.

٤ـ لا تكوني عارية تمامًا بجسدكِ أو مشاعركِ أو أفكاركِ ولا تجعليه يفك شفرتكِ فيزهدكِ، بل كوني دائمًا غامضةً وغير متاحة أحيانًا.

٥ـ لا تقدِّمي له هديةً غير الورود، لا تنفقي من حقيبتكِ في وجوده بل انبهري بكل ما يقدِّمه لكِ، اجعليه ينفق عليكِ بسخاء عن طيب خاطر دون أن يشعر أنكِ تستغلِّينه أو تطلبي المقابل.

٦ـ لا تجعليه يرى مرضكِ ـ ضعفكِ ـ حزنكِ ـ انكساركِ ـ خوفكِ، بل كوني دائمًا مشرقةً حتى لا يبقى مؤقتًا بفعل التعاطف والضمير ثُمَّ يهرب لغيركِ.

٧ـ هو لن يتزوجكِ لذا فعليكِ الالتزام بقواعد اللعبة طالما أردتِ البقاء؛ فلا تطلبي منه الزواج، بل أشعريه أنكِ تفضِّلي الحريَّة على القيود.

ردَّتْ سها وهي تتثاءب:

ـ ألوووه.

ليقول كريم:

ـ صحِّي النور يا قمر.

ـ أووووه.

تثاءبت مرَّةً أخرى وهي تتساءل في ميوعة:

ـ هي الساعة كام؟

ـ ١٢ يا سوسو.

ـ يااااه طب وإيه اللي مصحيك بدري كده؟

ـ بدري إيه بس!! ده أنا في الشغل من ١٠ الفجر.

ـ هههههه حلوة ١٠ الفجر دي.. أيوة الالتزام حلو.. يبقى أكيد أبوك عندك النهارده.

ـ يا بت هو أنا بخاف من أبويا ولَّا إيه ما تحترمي نفسك.

ـ خلاص متشخطش.. طب قولي إيه اللي جايبك بدري كده؟

ـ عندي مقابلات.

ـ مع مين يا خلبوص؟ ناوي تخونني ولَّا إيه؟

ـ بلاش دماغك تروح بعيد، أنا بس عامل إعلان عايز موظف إتش أر بدل الزفت شريف اللي حارق دمي علطول.

ـ موظف ولَّا موظفة يا بيبي؟

ـ وبعدين معاكي؟ ماتتلمي عالصبح بدل ما أجي أخنقك في السرير.

قالها كريم بصوت هادئ بعد أن بدت عليه علامات الإثارة.

ـ ده بعينك.

ردَّتْ سها برفض يعني الموافقة لتثيره فأعلن انهياره قائلًا:

ـ أهون عليكي برضه أقعد للضهر من غير فطار كده؟

ـ خلاص صعبت عليًا، طب خلَّص مقابلاتك وهات فطار وتعالى.

وصمتت ثُمَّ أكملت في دلع:

- ولَّا تحب نعمل الفطار أنا وإنت مع بعض لما تيجي؟

كاد كريم أن يشتعل من كلماتها وتلميحاتها لولا طرقات عالية على الباب، انفتح بعدها بقوة لينتفض واقفًا، أغلق الهاتف في وجه سها بلا وعي ثُمَّ صاح:

- إيه يا بابا خضتني، مش شايف اللمبة الحمراء منوَّرة؟

قالها كريم محاولًا إخفاء ارتباكه ومصطنعًا بعض المرح لتخفيف حدَّة نظرات أبيه المتحفزة.

ليردَّ المهندس نادر قائلًا:

- نعم وحياة أمك! لمبة حمرا!! آه ما إنت فاكر نفسك في كباريه.

رنَّ هاتف كريم مرة أخرى؛ فضغط زر الرفض في وجه سها ثُمَّ جلس ليقول مازحًا:

- طب هدِّي نفسك كده يا بابا واقعد وهطلبلك ليمون على حسابي.

- أوَّلًا أنا قلت ميت مرَّة أنا هنا اسمي الباشمهندس نادر.. بابا دي في البيت عند أمك، ثانيًا إيه الزحمة اللي بره دي؟

حاول كريم الردَّ فأكمل نادر ليجيب بنفسه:

- طبعًا عامل إعلان تاني علشان تجيب سكرتيرة!

- هو مش بالظبط يعني.. أنا بصراحة كنت عامل إعلان عايز إتش أر، فلقيت حتة في الإعلان فاضية قلت أجيب سكرتيرة بالمرة.

- يا سلاااام.. زي كده هريدي ينعي ولده ويصلح ساعات.

ضحك كريم مجبرًا من نكتة والده السخيفة فصرخ أبوه قائلًا:

- اسمع يا بني آدم إنت لازم تفهم إنك بتشتغل في أكبر شركة

مقاولات في البلد مش طابونة، يعني لما تحب تشقط حريم أبقى اشقطهم من أي كافيه، مش كل يوم والتاني تعمل إعلان تصطاد بيه واحدة.

ـ أشقط إيه بس يا حاج.

ـ حاج في عينك وعين...

سكت نادر بُرهة ثُمَّ أكمل:

ـ ده إنت جايب الشهر ده بس بيجي عشر سكرتيرات.. هما بيروحوا فين؟ نفسي أعرف.

ثُمَّ توجَّه ناحية كريم ليقول بنفاد صبر:

ـ وبعدين تعالى هنا.. موظف إتش أر ليه؟ أومال شريف بيهبب إيه هنا في الشركة؟

ـ يا بابا.. قصدي يا باشمهندس نادر، شريف ده خريج جامعة حكومة وعامل شوية دبلومات عبيطة في التنمية البشريَّة وأفكاره تقليديَّة وخايبة زيه، وبعدين أديك شايف مفيش أي تطور اتعمل لحد دلوقتي في الشركة من ساعة ما اتعين، دلوقتي الإتش أر بقى دارس علم نفس وإدارة أعمال وخمسين حاجة تانية ومعظم الشهادات دي بتتاخد من بره مش جامعات مصر.

ـ يا سلاااام والموظف اللي هاييجي بالمواصفات دي هياخد مرتب كام إن شاء الله؟

ـ عادي ، خمس آلاف بالكتير.

قالها كريم ببساطة ليردَّ نادر بارتياح:

ـ طب كويس يعني زي شريف.

- لا لاااا بس شريف كان بياخد بالمصري لكن الـ...

هبَّ نادر واقفا وهو يصيح:

- يعني تقصد ٥٠٠٠ دولار؟

هزَّ كريم رأسه يعني نعم وأكمل نادر:

- ده عند أمك.. أبقى اديله المرتب ده من جيبك.

ليكمل وهو ينصرف:

- أنا راجع مكتبي وقدامك خمس دقايق بس تكون فضيت فيها المولد اللي بره ده؟

- حاضر يا حاج بس إنت متزعلش نفسك علشان ده مش كويس على قلبك.

- يعني فاكر أن قلبي تعبان بس عايز تجيب أجلي؟

- بعد الشر عنك يا كبيرنا.. يارب اللي يزعلك.

رنَّ هاتف كريم مرة أخرى؛ فتفقد الرقم ثُمَّ نظر لأبيه.

لم يكن المتَّصل هذا المرَّة سها كما توقَّع بل كانت نيِّرة.. ونيِّرة أو ناني لمن لا يعرفها هي أم كريم وكاميليا وزوجة المهندس نادر، امرأة في أواخر العقد الخامس من عمرها المتجدِّد دائمًا، انحدرت من أسرة عريقة ذات أصل تركي تتباهى به دائمًا أمام الجميع، التحقت في صباهه بالجامعة لتقع في حب زميلها نادر الذي تفوق على أقرانه في كلِّيَّة الهندسة.

كان نادر ينتمي إلى أسرة فقيرة تقطن حي شبرا البسيط فكانت قلة إمكاناته -وعلى عكس المتوقع- دافعًا له على التفوُّق وتحقيق طموحه الزائد جدًّا.

قضتْ نيِّرة طيلة الخمس سنوات الدراسيَّة تحاول الإيقاع به دون جدوى؛ نظرًا لتركيزه الشديد في التحصيل العلمي حتى تخرج بتقدير امتياز ليتمَّ تعيينه معيدًا بالكليَّة.

قبْلها بشهر كانت نيِّرة قد أعلنت عدم الاستسلام، وقرَّرت نصب فخ متقن للإيقاع بالعريس المنشود، لذا فقدْ دبَّرت مقابلةً تجمع كلَّ زملاء الدفعة في حفل كبير أقامته في حديقة بيتها الأنيق احتفالًا بالتخرُّج.

لم يتوقع أحد من الزملاء أن تكون هذا الدعوة الكريمة مجرَّد محاولة ذكيَّة لإبهار الشاب البسيط والوسيم جدًّا ولفت انتباهه في استعراض كامل لكل مظاهر الترف في بيتها الفخم وأسرتها العريقة.

كانت المفارقة تدعو للسخرية؛ حيث بدأ نادر الشاب قليل الخبرة منذ اليوم التالي للحفلة التخطيط للإيقاع بنيِّرة، وكان ذلك عبر اهتمام غير معتاد بها، فبدأ يعرض عليها المساعدة العلميَّة مستغلًّا ضعفها في التحصيل الدراسي لتستجيب هي على الفور مخفيةً ابتسامة الانتصار.

لم تكن نيِّرة على قدر كافٍ من الجمال مقارنةً بوسامة نادر الأمر الذي جعل أسرتها تقبل الرهان على مستقبل الشاب الطموح فزَّوجته ابنتهم متجاوزةً عن الفارق الاجتماعي والمادي الرهيب بين الأسرتين.

بذلك نجحتْ نيِّرة في الحصول على الشاب الذي اختاره قلبها وعقلها معًا ثُمَّ راهنت عليه بعد زواجهما وساعدته بكل ما أوتيت من إمكانات حتى كسب هو أيضًا الرهان عليها؛ فأصبح بالشراكة مع والدها صاحب أكبر شركة مقاولات في المنطقة العربية.

كان هاتف كريم ما زال يصدِر نغماته الصاخبة، بينما كان والده يهمُّ بالخروج؛ فناداه كريم مازحا:

- إلحقْ يا حاج دي المدام بتاعتك.

اتّسعت خطوات نادر وهو يشوِّح بيده في ضجر ويتمتم:

- هي أمك دي ورايا ورايا!!

ثُمَّ خرج وأغلق الباب خلفه.

ضغط كريم زرَّ الإجابة فأتاه صوت أمه متلهِّفًا:

- يا حبيبي إنت فين؟ صحيت من النوم مالقيتكش في أوضتك.

- أنا في الشغل هكون فين يعني.

ردّ عليها بقسوة معتادة لترد عليه هي بحنو معتاد:

- يا قلبي، طب إيه اللي صحَّاك بدري كده، كمان تلاقيك نزلت من غير فطار!

قاطعها كريم في نفاد صبر:

- يوووووه يا ماما هو كل يوم تصحي من النوم تدوَّري عليَّا؟ ده إنتي مبتعمليش كده مع كاميليا اللي هي بنت.

لم يبدو على صوت أمه أي انزعاج من لهجته الحادة وكأنها اعتادته كما هو بتمرده ورفضه الدائم لكل شيء.. فسألت محاولةً تغيير الموضوع:

- صحيح هو فين أبوك؟ أصلي سمعت أنه رجع إمبارح من السفر وبات بره، ده حتى مبيردش على موبايله ولا على تليفون مكتبه!!

كاد كريم أن ينفجر من طريقة أمه المعتادة فقال:

- أبوس إيديكي يا نيّرة اخلعي من نافوخي دلوقتي وروحي إنتي وجوزك حلُّوا مشاكلكوا بعيد عني.. أنا ورايا خمسين مقابلة النهارده.

ثُمَّ قال وهو يغلق الهاتف:

- يالا سلام بقى وخدي بوسة أهيييه موااااا.

لم يدع لها الفرصة للتفكير أو الرد فأغلق الموبايل، بينما هي تستقبل قبلته المودعة.

مال كريم بكرسيه للخلف وأخذ نفسًا عميقا ليستعيد هدوءه، ثُمَّ اعتدل مرة أخرى وضغط على جهاز الإنتركوم ليقول للسكرتيرة:

- عندك ناس كتير بره؟

- أيوة يا فندم ١٥ متقدمين للـ(إتش أر) و٦ للسكرتارية.

- ٦ بس للسكرتارية؟

قالها كريم باستياء ثُمَّ رفع صوته بجدِّيَّة محاولا التمويه عمَّا يقصده:

- يعني كلهم ٢١.. يا مسهل.. طب دخلي الأول السكرتارية نخلص منهم، وبعد كده نبقى نشوف بتوع الـ(إتش أر).

ثُمَّ قال:

- بس اتأكدي أن كل البنات ملوا (السي في) بتاعهم قبل ما يدخلوا، أنا معنديش وقت.

* * *

أغلقت كاميليا باب غرفتها عليها بإحكام حتى تقلِّل من الصخب المتسلِّل للخارج، وشرعت في عزف مقطوعة «فالس الربيع» للعظيم «فريدريك شوبان» مخلِّفةً حالة من البهجه ملأت المكان.

وشوبان هو الصديق الروحي لكاميليا وهو أوَّل من أعطاها

مفاتيح البهجة في الحياة، تعلّقت بموسيقاه الساحرة من أول يوم لها في الكونسيرفتوار، وكان ذلك حين تسمّرت في مكانها؛ لتستمع إلى أيمن معيد قسم الوتريّات وهو غارق في عزف إحدى سمفونياته، يومها وقعتْ كاميليا أسيرةً لعشق الاثنين معًا.

ولأنَّ التاريخ يُعيد نفسه فقدْ تجاهلتْ كاميليا الفارق الاجتماعي بينها وبين أيمن، ذلك الشاب المبدع الطموح، كانت كاميليا فتاةً شديدة النحافة متوسطه الجمال إلا أنها كانت خفيفة الظلّ شديدة الثقة بنفسها عاشقة للموسيقى، الأمر الذي جعل أيمن يُفتن بها؛ فبادرها الاهتمام ثمّ الحب طيلة سنوات دراستها الأربعة، ثُمَّ جاءت الخطوبة تكليلًا لذلك الحب وتحديًا لنيِّرة، تلك الأم التي تناست أنها صاحبة السبق في كسر الفوارق الاجتماعيَّة، وتمسكت بالرفض لعامين متتاليين ثُمَّ ما لبثت أن استسلمت أمام إصرار ابنتها بعد أن تخرّجت وامتلكت حرّيّتها بالكامل.

استعانت وقتها كاميليا بعمّها سعيد وأخيها كريم؛ للضغط على والدتها وعمل جبهة مضادة لنيِّرة لينتصر الحب في النهاية.

صرخت نيِّرة من غرفتها قائلةً:

- إنتي يا بنت يا كاميليا.

سمعت كاميليا الصوت فتوقّفت عن العزف ثُمَّ فتحت الباب لتجد أمّها قد انتصبت في حزم، كانت نيِّرة تتوسَّط الممرَّ المؤدِّي لغرفتها وتلفّ خصلات شَعرها المصبوغ فقالت في توعُّد:

- والله لو مابطلتيي الدوشة اللي إنتي عاملاها دي لأجي أكسَّر البيانو على دماغك.

- يا خلاثي عالقمر.. بتتذوقي كده ورايحة فين يا نانا؟

قالتها كاميليا بدعابتها المعتادة محاولةً امتصاص ثورة أمها الصباحيَّة، فردَّتْ نيِّرة وكأنَّها قد نسيت سبب وقوفها وصراخها:

- فين البارفان اللي كان عالتسريحة عندي؟

ثُمَّ تقول وهي تكمل مكياجها:

- مش قلتلك مية مرة متاخديش بارفاني.

لترد كامليا:

- يا نانا متغيريش الموضوع وقوليلي رايحة فين؟ وبعدين متخافيش مش هقول لبابا أنا برضه ستر وغطا عليكي.

دائمًا يستجلب ذِكر الأب عبارات الأسى على شفتي أي زوجة وخاصة نيِّرة؛ فردَّتْ في تهكُّم:

- تقولي لبابا!!

ثُمَّ أكملت وكأنَّها تُحدِّث نفسها:

- هو أبوكي بقى فايق لحد، ده بقى بيبجي البيت زي الضيف.

أدركت كاميليا ان سيمفونية حزينة لبتهوفن أوشكت على البدء؛ فاقتربت تحاول زغزغتها قائلةً:

- يا مزة حرام عليكي ده الراجل لسه موديكي (الفار إيست) الشهر اللي فات وعامل لك شهر عسل جديد.

- شهر عسل!! كنتي تعالي شوفيه وهو ماسك اللاب توب طول الأسبوعين وعمال يبعت عروض ويستقبل أسعار.

ثُمَّ تنهدت قائلةً:

- والنبي خليني ساكتة.

دقَّ هاتف نيِّرة لينقذ كاميليا من جرعة الكآبة التي سأمتها منذ تزوجت وأصبحت تقضي وقتًا أطول في البيت بجوار أمها.

ضغطتْ نيِّرة زرَّ الإجابة ثُمَّ بدَّلت نبرة صوتها وقالت:

- خلاص يا جايدا بألبس أهوو ونازلة، معلش اتأخرت عليكي.

ابتسمت كاميليا بعد أن شعرتْ بالخلاص، وقالت وهي تتَّجه صوب غرفتها:

- سلِّميلي على طنط عايدة.

لتضع نيِّرة كفَّها على الهاتف حتى لا تسمعها صديقتها وتقول لابنتها التي تعمَّدت استفزازها:

- اسمها «جايدا» يا حمارة!

ثُمَّ تكمل:

- ما إنتي طالعة بيئة زي أبوكي.

* * *

- اسم حضرتكِ «نهى»، وعندك ٢٣ سنة، خريجة تجارة إنجليش، وأول مرَّة تشتغلي، صح؟

كان كريم يقول ما يقرأه وهو جالس على مكتبه يتفقَّد الفتاة التي جلست أمامه فأجابت الفتاة في حياء شديد:

- صح يا فندم.

- طب قوليلي يا نهى.. لو اشتغلتي معايا واضطرينا نسافر يوم صد رد مع بعض خارج القاهرة نخلَّص شغل خاص بالشركة هاتقدري؟

- مش عارفة.. بس ممكن أسأل بابا وأرد على حضرتك.

- بابا!!

قالها كريم وهو يحدِّث نفسه ثُمَّ وجَّه إليها الحديث مرة أخرى وكأنما يريد أن ينهي المقابلة سريعا:

- أمال لو قلتلك هانبات أحيانًا لو ظروف الشغل استدعت؟

بدا على الفتاة التوتر الشديد رغم أنها لم تفهم ما يرنو إليه ثُمَّ أجابت باستغراب:

- يا نهار.. ده بابا كان يقتلني ده أنا كبيري في البيت ٧.

زفر كريم في استياء ثُمَّ نظر إليها وقال:

- طيب يا نهى إنتي كاتبة المرتب المتوقَّع ٣٠٠٠ جنيه، مش شايفة إنه كتير على واحدة صعب تبات بره.

ثُمَّ انتبه لما يقول فحاول تعديله:

- أقصد يعني كتير على واحدة أول مرَّة تشتغل؟

هزَّت الفتاة رأسها في حركة معناها لا أجد ما أقول، فبادرها قائلًا:

- طب شوفي، احنا عادة بنديِ لأي سكرتيرة في الأول ١٠٠٠ جنيه، وبعد سنة بنديها ٣٠٠٠ جنيه،علشان كده انا شايف انك تجيلنا بعد سنه علطول.

هزت الفتاة رأسها مرة أخرى غير فاهمة، ثم انصرفت.

تكرَّر المشهد والسؤال الخبيث مع أربع من الفتيات اللاتي تقدَّمن للوظيفة؛ فكانت الإجابات متشابهة إلى حدٍّ أصاب كريم بالإحباط، تنفَّس في ملل ثُمَّ ضغط زرَّ التواصل مع السكرتيرة متساءلًا:

- عندك حد تاني من إعلان السكرتيرة؟

- أيوة يا فندم فاضل واحدة.

- طب دخليها خلينا نخلص.

دخلت الفتاة تتمايل بملابسها المثيرة وحذائها المرتفع فاستبشر كريم خيرًا.

اقتربت منه في ابتسامة واثقة حتى وصلت إلى مكتبه ومالت قليلًا للأمام وهي تضع السى في الخاص بها أمامه. تمهَّلت قليلًا قبل أن تعتدل مرة أخرى لتتيح له الفرصة ليرى ما يصبو إليه وكأنَّها اعتادت هذا النوع من المقابلات الشخصيَّة.

نفث كريم دخان سيجارته في سعادة ثُمَّ أشار لها بالجلوس وهو ينقل بصره بينها وبين السي في ويقول:

- هايل.. أوراسكوم.. إعمار.. الفطيم.. كل دي شركات اشتغلتي فيها؟ ده إنتي على كده خبرة؟

ضحكت الفتاة ضحكةً مرتفعةً ثُمَّ كتمتها بيدها معتذرةً.

- آسفة أصل أنا ضحكتي دايمًا كده، عالية.

صمتتْ لحظةً وهي تفتح حقيبة يدها لتخرج علبة سجائر دافي دووف وتأخذ منها سيجارة لتتساءل في مياعة:

- هو المدير عندكم هو اللي بيدخن بس ولَّا مسموح للسكرتارية كمان تدخن؟

أشار لها كريم بالموافقة وهو يقرأ مفتعلًا الجدِّيَّة:

- سابرينا ٢٨ سنة خريجة آداب.. هايل، خريجين الآداب عندنا بيتقبلوا بسرعة.

ردَّتْ سابرينا وهي تنفث دخان سيجارتها في الهواء وتبتسم في مكر:

- بس أنا خريجة كلِّيَّة آداب مش آداب.. تفرق كتيير.

ضحِك كريم مستريحًا بعد أن وجد سكرتيرة تعزف على الكلمات بنفس طريقته فتوقَّع مسبقا إجابتها على السؤال الخبيث ولكنَّه أصرَّ أن يحصل على تأكيد شفوي منها:

- طب قوليلي يا سابرينا.. لو اشتغلتي معايا وده غالبًا هيحصل واضطرينا نسافر مع بعض خارج القاهرة واتأخرنا أو اضطرينا نِبات.. هل أهلك هيوافقوا؟

أجابت سابرينا وهي تعلم جيِّدًا ما يرنو له:

- أنا أهلي مديني ثقة كاملة، وطالما أنا مش بعمل حاجة غلط خلاص ماحدش له حاجة عندي حتى لو هنبات أسبوع بس...

ثُمَّ سكتت لتجعله يتساءل.

- بس إيه؟

- بس ده يتوقف على المدير اللي هسافر معاه وكمان على العائد من السفرية،

إنتوا أكيد بتصرفوا بدل سفر معقول.

تنفَّس كريم الصعداء ثُمَّ سألها:

- وانتي دلوقتي بتشتغلي ولا قاعدة في البيت.

- كنت شغالة لحد امبارح بس سبته خلاص.

- ليه؟

- أبدًا المدير طلع متخلف.

- ازاي يعني؟

سألها كريم بقلق فأجابت:

- قعدت شغالة معاه شهرين وشايفة عينه هتطلع عليا، وفجأة قاللي تعالي معايا البيت، سألته ليه، قاللي هاعرفك على ماما، ضحكت وقولتله ماشي يا برنس ومالو، وفعلا جهزت نفسي وروحت معاه.

سألها كريم متلهفا:

- وبعدين؟

فقالت بضيق:

- لقيت أمه فعلا في البيت.

ضحك كريم وهو يهتف:

- ده انتي مصيبة أقسم بالله.

ثم أطرق يبحث في السي في الخاص بها عن خانة المرتب الذي تريده، ليجده ١٥ ألف جنيه شهريا.

أدركت الفتاة بخبرتها ما يبحث عنه في الورقة فبادرته قائلةً:

- إيه، كتير عليًا ١٥ ألف جنيه؟

أصابه الانبهار وكاد أن ينتفض مصفقًا لها؛ فأخذ نفسًا آخرَ من السيجارة ثُمَّ نفثه في سعادة بالغة وقال:

- بالعكس أنا شايف أنه قليل جدًا، وأعتقد إننا ممكن نزوده مع الوقت، بس ده لما أشوف.. قصدي نشوف قدراتك.

نهضت الفتاة بعد أن تأكَّدت أنها ظفرت بالوظيفة ثُمَّ استدارت بجسدها تجاه باب الخروج لتتيح له أن يكمل كشف الهيئة، وتؤكِّد أنها جديرة بالوظيفة.

استدارت مرة أخرى صوبه ثُمَّ انحنت وهمست في دفء:

- هستنى اتِّصال حضرتك وواثقة إني هكون عند حسن ظنَّك.

وحده كريم هو الذي يستطيع أن يردَّ بثبات في موقف كهذا، فلو كان المدير رجلًا آخر لفقد النطق.

- أكيد هنتصل بيكي قريب.

تقدَّمت الفتاة ببطء نحو الباب لتفتحه ثُمَّ استدارت مرة أخرى تودِّعه بنظرة وكلمة أخيرة:

- بااااي.

أغلقت الباب خلفها؛ فجلس كريم محاولًا تهدئة نفسه ثُمَّ قرَّر الانصراف، لكن ما إن أخذ يجمع أشياءه حتى دخلت عليه السكرتيرة تحمل في يدها بعض الأوراق وتقول:

- كده مش فاضل غير اللي اتقدموا للـ(إتش أر) ودي السي فيهات بتاعتهم.

تذكَّر كريم أن المقابلات لم تنتهِ؛ فألقى بجسده على المقعد قائلًا:

- طب دخليهم واحد واحد وبسرعة خلينا نخلص.

طرقه على الباب تحرَّك بعدها المقبض ليفصح عن دخولها المهيب.. فتاة برونية البشرة، تشبه الشمس إلى حدٍّ كبير، كلاهما له نفس الطلة والدفء، سوداء الشعر والعينين لها قوام ممشوق، تقدَّمت بخطوات هادئه وابتسامة مشرقة

فانتفض كريم واقفًا كأنه لم يرَي فتاةً من قبل، تلعثمت الكلمات على شفتيه لتخرج متقطِّعة.

- ات.. فـ.. ضـ.. لـ.. ي.

جلست الفتاة بوقار لا يخفي أنوثتها ثُمَّ رمقته بنظرة واثقة تحثُّه على الحديث بعد أن أطال النظر إليها. فأطرق يتفحَّص السي في الخاص بها وهو لا يكاد يرى شيئًا بعد أن استقرَّتْ ملامحها في عينيه وحالت دون أن يرى غيرها، بالكاد استطاع أن يلمح حروف اسمها المكتوب فنطقه بصوت مسموع:

- نور.

فأجابت:

- أيوة.

- فعلًا اسم على مسمًّى.

- متشكِّرة.

قالتها بجدية؛ فحاول هو الآخر اخفاء انبهاره، وسألها بجدِّيَّة مماثلة:

- اشتغلتي فين قبل كده يا آنسة نور؟

- مكتوب عند حضرتك في السي في.

أطرق كريم مرة ثانيه ينظر إلى أوراقها ثُمَّ رفع عينيه إليها وهو يردد:

- ما شاء الله ما شاء الله واضح إن حضرتكِ خبرة.

نظرت إليه الفتاة في تعجُّب وهي تقول:

- أفندم!!

أطرق مرة أخرى في ارتباك ثُمَّ أكمل:

- اشتغلتي حاجات كتير وأخدتي شهادات كتير في الكوتشينج ما شاء الله.. وكمان ماجستير في الإرشاد ودبلومة MPA-CMA-CPA-IBS بجد برافو!!

ثُمَّ أكمل مازحًا:

- طب ما أخدتيش كمان FBI؟

لم تتخلَّى هي عن جدِّيَّتها واعتبرته مجرد سؤال ساذج فأجابت:

- للأسف المباحث الفيدراليَّة الأمريكيَّة مش بتمنح أي دبلومات في الـHR.

أصابه اليأس من أن يجعلها تتخلَّى عن وقارها فنظر إلى الأوراق وقال بحماس:

- كمان مكتوب في الحالة الاجتماعية إنكِ سينجل.. ممتاز.

لم ترد الفتاة؛ فنظر لها قائلًا:

- طب ممكن أعرف بابا بيشتغل ايه؟

- دكتور.

- على كده كنتي بتغيبي من المدرسه كتير ولما يسألوكي كنتي بتحلفلهم إن باباكي في المستشفى.

رسمت الفتاة ابتسامة باهتة على وجهها، فقال هو مستسلما:

- طب أوكي، أعتقد أن عندك كل المواصفات اللي إحنا محتاجينها يعني نقدر نقول إنك اتقبلتي.. ألف مبروك..

استوقفته الفتاة متسائلة وكأنَّها لا تعبأ بما يقول:

- في الحقيقة أنا ماالحقتش أجمع معلومات عن شركتكم.. تسمحلي أستفسر عن شوية حاجات؟

- هو مين اللي المفروض يجمع معلومات عن التاني!

- إحنا الاتنين طبعًا.

أجابت الفتاة باقتضاب؛ فردَّ كريم مستسلمًا:

- طيب يا ستي اتفضَّلي اسألي وأنا هجاوب.

طرحت نور الكثير من الأسئلة الخاصة بنشاط الشركة والهدف المرجو من تعيين إتش أر، وكذلك تطرقت إلى الرواتب والمكافآت وطريقة التعامل مع الموظفين والعمال، تحدَّثت باحترافيَّة شديدة لتجبر كريم على التخلِّي عن سطحيته والخوض معها بمنتهى الاقتناع في كل ما تساءلت عنه.

قال كريم بإجهاد:

- خلاص بقى يا نور أنا حكيت للكِ قصَّة حياة الشركة وحياة الموظفين واحد واحد.

ابتسمت لأوَّل مرَّة ثُمَّ وقفت لينتفض كريم قائلًا:

- إيه رايحة فين؟

ابتسمتْ مرَّة أخرى وقالت:

- مش حضرتك اللي قلت خلاص!

- لا والله ما أقصدش أنا أقصد يعني كفاية أسئلة في الشغل.

- متشكِّرة لذوق حضرتك بس أنا فعلًا مضطرة أمشي؛ لأني ملتزمة بمواعيد تانية.

- اوعي تكوني رايحة تعملي إنترفيو في مكان تاني.. إنتي خلاص معانا.

- أكيد.

أجابت نور بثقة ثُمَّ أكملت:

- بإذن الله هكون معاكوا من أول الشهر بس لازم أنهي شوية

أوراق مع الشركة اللي كنت بشتغل فيها.

مدَّتْ يدها تصافحه؛ فنهض هو أيضًا يصافحها ويضغط على يدها، سحبتها في استياء بعد أن رمقته بنظرة ثُمَّ خرجت وأغلقت الباب خلفها؛ ليسقط على كرسيه ثُمَّ يقول وهو يزفر في الهواء:

ـ يخربيت جمال أهلك.

* * *

التقى كريم بصديق طفولته رمزي على أحد الكافيهات المتاخمة للنافورة الراقصة في البهو المفتوح لكايرو فيستيفال مول، دائمًا ما يلتقيان هناك ليدخِّنا الشيشة المحبَّبة لهما ثُمَّ ما إن ينتهيا منها حتى يبدآ جولة حرَّة بين المحلات.

في كل المرَّات التي التقيا فيها سابقًا للقيام بجولة كهذه كان كريم يستجيب لاستفزاز صديقه فيشتري أحدث البراندات حتى لا يسبقه إليها أحد من الشلَّة فيكون أوَّل من ظهر بها بينهم، وبالطبع قد يعجب رمزي هو أيضًا ببعض المشتريات التي لا يتردَّد كريم في دفع ثمنها فورًا، الأمر الذي جعل من رمزي مستمعًا جيِّدًا لكل مغامرات كريم، الحقيقي منها والخيالي.

بدأ كريم كعادته الحديث عن فتوحاته النسائيَّة هذا الشهر وسط انصات تامٍّ من صديقه.

ـ اسكت يا معلم، الشهر ده بقى كان ناشف عالآخر.. ومتعرفتش فيه غير على ٣ حريم بس.. واحدة منهم اصطدتها من عالإنستجرام وقعدت أظبط فيها أسبوع وفي الآخر طلعت بنت الـ...

ضحِك ثُمَّ قال:

- حاطة صورتها من ١٥ سنة.

- وعرفت إزاي؟

سال رمزي في اندماج كامل مع الأحداث؛ فأجاب كريم:

- منا لبست وقابلتها، الهانم طلعت عندها ٤٠ سنة ومطلَّقة ٣ مرات.

- هههههه تعيش وتاخد غيرها، ادخل عاللي بعدها.

- التانية بقى إيه.. حورمه بجد، جسم وشعر وشفايف ،كل ده

بت اللذين مكملتش ٢٠ سنة.

- ودي بقي شقطتها منين؟

سأله رمزي بلهفة بعد أن أخذ نفسًا من الشيشة وأطلقه في الهواء؛

قال كريم:

- من أون ذا رن يا معلم.

ثمّ أكمل:

- البت يدوبك دخلت العربية وراحت سألاني فين شقتك؟

قالها كريم باستياء فرَّد رمزي متعجِّبًا:

- طب وماله يا كبير مهو ده عز الطلب!

- يا ريس ما إنت عارفني مبحبش الصيد السهل.. أنا أحب أتعب وأحاول والبت ترفض مرَّة واتنين لكن دي.. جايبه من الآخر.

- طب وعملت إيه معاها؟

- قولتلها تعالي نقعد نشيش في أي حتة الأول.. راحت منهنهة وعاملة نفسها بتعيط، قولتلها مالك؟ قالتلى أصل موبايلي الآي فون اتسرق النهارده واضطريت أستلف موبايل صاحبتي ومش عارفة أرجع البيت أقول لبابا إيه؟

- هههههه البت داخله اشتغالة علطول.. طب وعملت إيه؟

- ركنت جنب محل موبايلات وقولتلها انزلي اختاري موبايل على ما أعمل مكالمة وهاجي أدفعلك تمنه. قالتلي حاضر، ونزلت رحت خالع وسايبها.

- هههههه لاااا أقسم بالله إنت واخد عين الشهر ده؟

أخذ كريم نفسًا من الشيشة وقال:

- التالته بقى يا سيدي، سابرينا، سكرتيرة مزة كده في نفسها، عملت معاها إنترفيو ولقيتها بتقووول عالآخر، رحت مكلمها بالليل وتاني يوم أخدتها شاليه الجونة ٤٨ ساعة وجيت عملتلها بلوك.

- مش ممكن يا كيمو إنت ملول بشكل غريب. طب يا عم كنت خليها، تنفع، أو كنت اديها رقمي ولّا إنت متحدفش لأخوك حاجة خالص.

ليصمت كريم بُرهةً ثُمَّ يتنفَّس بعمق ويقول:

- نور.

- ومين نور دي كمان؟ دي واحدة رابعة؟

- لاااااا دي نور بجد، اسم على مسمًّى.. بنوتة إنما إيه.. عمري ما قابلت واحدة زيها.

- وأخدتها عالجونة ولّا لسه؟

- يا عم اتنيل.. جونة إيه بس.. دي حاجة تانية خااالص، دي مؤدبة باستهبال، ومعاها ييجي ٢٠ شهادة، ده غير إنها بنت ناس جدًّا.

اختلس رمزي نظرة من على يمينه ثم قال:

- شفت يا كيمو الحتة المحجبة اللي قاعدة لوحدها دي؟

نظر لها كريم ثم قال:

- هي بصراحة جامدة بس انت عارف أخوك مالوش في القصيرين.

ثم أكمل بعدما تفرسها جيدا:

- بس ومالو نجرب، وأهو تغيير.

لمحته الفتاة يدقق النظر فيها، فبادرها هو قائلا:

- على فكرة يا آنسه شعرك خارج من الحجاب.

قالها بشكل مهذب فشكرته الفتاة وهي تدخل خصلاتها.

فأخرج من جيبه كارت ثم مده لها قائلا:

- ده رقمي علشان لو خرج تاني.

نظرت له الفتاة باستنكار ثم أدارت وجهها.

ابتسم كريم وهو ينظر إلى الكارت ثم وجهه ناحية رمزي قائلا:

- طب خده انت يا رمزي علشان لو شعرك خرج.

ضحك رمزي فأكمل كريم:

- عاجبك كده تخلي أوزعة زي دي تهزأني!

- ماعاش اللي يهزأك يا كبير، اصبر أنا هاحرقلك دمها.

قالها رمزي ثم رفع صوته قائلا:

- بيقولك مرة واحدة قصيرة بتمسح بيتهم غرقت وطلعوها بعد يومين.

ضحك كريم ثم قال بصوت عال هو أيضا:

- أيوة عارفها، مش دي البنت اللي أبوها طردها من البيت علشان كان بيتكعبل فيها وهو ما...

لم يكمل كريم كلماته حتى وقعت عيناه على فتاة تصعد السلالم متَّجهة للمحلات في الجانب الآخر.

كانت الفتاة جذَّابةً ومثيرة إلى حد جعل كريم ينهض مسرعًا للحاق بها بعد أن ألقى لرمزي بطاقة الفيزا قائلًا:

- لو أنا خلعت معاها أبقى ادفع وروَّح وهأبقى أحكيلك بالليل.

- طب فيه تيشيرت كنت عايز أجيبه.

قالها رمزي، فردَّ كريم على عجل:

- ماشي ماشي، هاته.

ثُمَّ انطلق مسرعًا ومتخطِّيًا كل المارَّة حتى لحق بها.

كانت الفتاة قد أنهت درجات السلم عندما لحق بها كريم فاستوقفها قائلًا:

- إنتي حلوة كده إزاي؟

نظرت له الفتاة في تعجب وانطلقت دون تأثر بوسامته وثقته الشديدة في نفسه.

كان كريم شابًا قمحي اللون ذا شعر أسود وحاجبين سميكين، مما يضفي عليه رجولة مميزة، إضافة إلى جسد رياضي طويل يثير إعجاب الكثير من الفتيات.

أثار تجاهلها روح التحدي لديه فلحق بها مرَّة أخرى ليقطع عليها الطريق، وقفت الفتاة تنظر له باحتقار ثُمَّ صاحت بلهجة سوقيَّة لا تتناغم مع مظهرها الأنيق:

- إنت هتتلم ولَّا أقلع السابوه اللي ف رجلي وأقطعه على خلقة أهلك!

تسمَّر كريم في مكانه ولم يرد بكلمة؛ فقط شغلته نظرات المارة المستاءة،

وقبل أن يتمالك نفسه ويعي الصدمة كانت دائرة من الناس قد التفت حولهم، كان أغلبهم بالطبع من الرجال الذين تطوَّعوا لأخذ حق الفتاة من ذلك المتحرِّش الوسيم.

لم يتعرَّض كريم لموقف كهذا من قبل لكنَّه توقَّع ما ينتظره، لذا فكان عليه التفكير سريعًا للخروج من المأزق.

على الفور لاحت في رأسه فكرة شيطانيَّة، فاستجمع قواه وانتصب أمام الفتاة في ثقة وحزم، اقترب منها أكثر ثُمَّ رفع يده ليهوى بها على وجهها وهو يصرخ بصوت مدوٍّي:

ـ أنا أستحملتك كتير وصبرت عليكي كتير وإنتي مفيش فيكي فايدة، بس خلاص بقى كفاية لحد كده.. إنتي طالق طالق.

قالها كريم بانفعال وجدِّيَّه حتى كادت الفتاة تصدق أنها زوجته.

ألجمتها الصدمة واستندت إلى أقرب حائط ثُمَّ وضعت كفيها على وجهها وأجهشت في البكاء، وقبل أن يلتف حولها المارة يواسونها على طلاقها، كان كريم قد انطلق خارج المول.

* * *

قال الدكتور صبري وهو يقرأ من نسخة الرسالة التي أمامه:

ـ طيب يا ريهام، إنتي كاتبة في صفحة ١١٣ أن مفهوم السعادة في حياة كريم في المرحلة دي كان بيتلَّخص في المتع الماديَّة زي لبس البراندات والخروج والفسح مع أصحابه وعمل علاقات مع البنات اللي من نوعيَّة سها وبالتالي هو مكانش سعيد من منظورك.

هزَّت ريهام رأسها موافقةً فأكمل:

- لكن لما نيجي نقارن المرحلة دي في حياته بالمرحلة التانية واللي بدأت من صفحة...

ثُمَّ أخذ يقلِّب في الأوراق باحثًا عن الصفحة وقال:

- من صفحة ١٧٠ تقريبًا ومع دخول الحب لحياته هنلاقيه مابقاش أسعد بكتير.

قالت ريهام بتعجب:

- إزاي يا دكتور؟ دي حياته اتغيَّرت تمامًا بمجرَّد دخول نور.

* * *

الفصل الثاني

مرحلة ما قبل الحب



استوفت نور كل الأوراق الخاصة بتعيينها بعد أن تم قبولها من كريم منفردًا مع رفض مبدئي من المهندس نادر، وكان رفضه لثلاثة أسباب؛ أوَّلهم كونها فتاةً صغيرةً يصعب عليها التعامل مع الموظفين باختلاف أنواعهم وسلوكياتهم، وثانيهما كونها جميلةً ممَّا يؤكد أنَّ كريم قد اختارها بهذا المعيار فقط تمهيدًا لإقامة علاقة معها، أمَّا السبب الثالث فكان شخصيًا جدًّا وهو حبُّه الشديد لشريف وعدم رغبته في الاستبدال به أحدًا أيًا كان.

كانت أسباب الرفض قويَّةً ومقنعةً لأي شخص عدا كريم الذي قرر تمرير العاصفة مؤقتًا، فقال لأبيه قبل سفره:

- يا بابا إنت طبعا الـ(CEO) بتاع الشركة، يعني الكبير بتاعنا ومن حقك تمشِّيها زي ما إنت عايز، سافر إنت بس ولمَّا ترجع بالسلامة هتلاقي كل حاجة زي الفل.

بالفعل سافر المهندس نادر في رحلته إلى ألمانيا ليجري بعض الفحوص الطبيَّة والكشوف الهامَّة بخصوص حالة قلبه التي ساءت في الفترة الأخيرة والتي بسببها بدأ يصر على تواجد كريم في الشركة ويترك له إدارتها بالكامل رغم تحفُّظه على أسلوب حياته وتصرفاته، سافر نادر وهو يدرك تمامًا أن ابنه العنيد لن يرضخ بسهولة لأمره برفض تعيين نور خاصَّةً بعدما لمح في كلماته عنها إعجابًا زائدًا، لكن كان عزاؤه أن

هذه الرحلة لن تزيد عن شهر وهي فترة كافية لمرور النزوة بشكلها المعتاد.. تعيين الفتاة ثُمَّ إقامة علاقة معها ثُمَّ افتعال مشكلة يتم على إثرها طرد الفتاة مع مرتب شهرين تعويض ليرضي ضميره.

في اليوم التالي لسفر المهندس نادر قرَّر كريم ترقية الأستاذ شريف إلى منصب مدير الحسابات ليضع الأمور في نصابها؛ حيث كان شريف حاصلًا على ماجستير في المحاسبة، أمَّا نور فبدأت في ممارسة مهام وظيفتها كمديرة للموارد البشريَّة بمرتب مجزٍ ومناسب لخبرتها ودراستها مع وعد منها بتطوير الشركة في غضون شهور تلك الشركة التي بدأت تتراجع في السنوات الأخيرة مقارنةً بالشركات المنافِسة في نفس المجال.

التقت نور بشريف عدة مرات لاستلام كل ما لديه من أوراق وخطط لإعادة دراستها في الوقت الذي أبدى فيه شريف حماسًا شديدًا لمساعدتها، وكان ذلك بفضل أخلاقها وطريقة تعاملها المهذَّبة واللطيفة معه، إضافةً إلى قدرتها ومهارتها التي بدت واضحة لكل من تعامل معها.

عكفت نور لعدة أسابيع متواصلة على دراسة أحوال الشركة والموظفين متجوِّلة بين الإدارات المختلفة للوقوف على أسباب تراجع الشركة حتى بدت لها الأمور واضحة فقرَّرت عمل الإستراتيجية الخاصة بها والتي ستعتمد في الفترة القادمة على تقييم الأداء العام قبل البدء في جدول الـ CHANGE MANAGEMENT أو إدارة التغيير مع إعادة النظر في الـ SALARY CICLE أو دورة المرتبات لكل الشرائح الوظيفية ثُمَّ فلترتهم للإبقاء على الأصلح، إضافة إلى عمل محاضرة أسبوعية تقوم فيها بـDEVELOBMENT أو تطوير لكل رؤساء الأقسام لتوقيفهم على أحدث أساليب الإدارة.

كان ذلك تزامنًا مع محاولات كريم العديدة لتعدِّي الحدود التي وضعتها نور بينهما، تلك المحاولات التي باءت جميعها بالفشل بفضل صلابتها وإصرارها على المضي قدمًا في طريقها التي رسمته والذي يختلف كليًا عن الطريق الذي يسعى كريم للمضي فيه معها.

* * *

استيقظ كريم مبكرًا على غير العادة وانتابته حماسة مفاجئة لمتابعة سير العمل، خاصة وأنه قد أعطى أوامره الأسبوع الماضي للقسم الهندسي بإعداد قاعة المحاضرات التي طلبتها نور.

تناول إفطاره ثُمَّ توجَّه مباشرةً إلى قاعة المحاضرات بالشركة ليجد نور برفقة شريف وقد اندمجا في حديث مرح فاستشاط غضبًا.

ـ الله الله.. سايبين شغلنا وقاعدين نهرج.. إيه يا أستاذ اللي مخليك سايب مكتبك وقاعد هنا؟

وجَّه كريم حديثه بشكل مباشر إلى شريف الذي ردَّ هو بدوره:

ـ حضرتك نسيت أنك طلبت مني أتابع تجهيز القاعة لمحاضرة نور؟

فرفع كريم صوته قائلًا:

ـ أوَّلًا اسمها الآنسة نور.. لكن نور حاف دي تقولها لما تكونوا قاعدين على كافيه بره وثانيًا...

قاطعته نور، وقد بدا الاستياء على وجهها:

ـ يا أستاذ كريم مسألة رفع الألقاب بين الموظفين دي حرِّيَّة شخصيَّة بينهم ومش من...

ليقاطعها هو الآخر بانفعال:

ـ لأ معلش بقى إحنا هنا شركة متخلِّفة، وبنحب نحط ألقاب بين الموظفين.

تعجَّبت نور من كلماته ثُمَّ ردَّتْ بحزم:

- بس أنا دوري تصحيح قوانين الشركة الـ...

توقفتْ حتى لا تنطق كلمة (متخلِّفة) تلك التي قالها كريم، ثُمَّ أكملت:

- دوري أني أصحح القوانين الخاصَّة بتعامل الموظفين مع بعض.

شعَر كريم ببعض الارتباك نظرًا لتصرفه وانفعاله غير المبررين فقرر إنهاء المناقشة قائلًا:

- خلاص خلاص.

ثُمَّ أمرَ شريف بالانصراف، وكلَّف أحد المهندسين بمتابعة العمل بالقاعة وانطلق عائدًا إلى مكتبه وهو يقول لنور:

- ياريت تشرفيني في المكتب نتكلم شوية.

* * *

- أنا شايف إنكِ مندمجة أوي مع شريف.

قالها كريم لنور التي حضرتْ إلى مكتبه في ضيق شديد فردَّتْ متعجِّبةً:

- أفندم!! مش فاهمة حضرتك تقصد إيه؟

- إيه ماسمعتيش؟!

فردت:

- مبدئيًا.. مش عاجبني الطريقة اللي حضرتك بتكلمنى بيها...

حاول كريم مقاطعتها فأكملت في حزم:

- ثانيًا طبيعي جدًّا أن يجمعني بالأستاذ شريف مقابلات كتير الفترة

لحد ما أستلم منه كل الملفات بتاعة الشركة.

كانت كلمات نور القاطعة والواثقة إضافةً إلى أنوثتها التي تطغى دائمًا على وقارها كفيلين بإجبار كريم على التخلِّي عن لهجته الحادة، لذا فقد استسلم مجبرًا لكونه مجرد رجل يجلس أمام امرأة تعجبه.

نهض واقفًا ليتخلَّى عن حزمه وكرسيِّه معًا فجلس في الكرسي المقابل لها، اتخذ وضعية الصديق ثُمَّ قال ناصحًا:

- يا نور أنا بس مش عايز أدي فرصة لأي حد إنه ياخد عليكِ كده. إنتِ مش شايفة كان بيهزر معاكِ إزاي؟

- أنا مع حضرتك أن فيه ناس كتير في الشركة بتحاول تشيل الكلفة معايا بس أعتقد أن شريف مش منهم.

لم يفطن كريم إلى تلميحات نور أو ربما لم يسمعها من الأصل؛ حيث كانت عيناه تغرق في النظر إليها فرد بصوت دافئ:

- كمان يا نور.. قصدي يا آنسة نور إنتي بتشتغلي معانا بقالك شهر تقريبًا وماشوفتكيش فيهم مرتين على بعض.

رسمت نور على وجهها علامة التعجب، فأكمل هو محاولًا التصحيح:

- أقصد يعني المفروض تجيلي كل فترة وتعرضي عليَّا خططكِ وأفكاركِ؛ علشان أقدر أساعدكِ وأسهلكِ مأموريتكِ.

تعاطفت نور لأول مرَّة مع كلماته التي خرجت مهذبة على غير العادة؛ فقالت محاولةً تخفيض حدَّتها:

- أنا بقالي شهر بس زي ماحضرتك بتقول يعني طبيعي أكون لسه بجهز خطتي، وبعدين مش معقول هزعج حضرتك كل يوم والتاني!

ليردَّ بحماس:

- يا ستي ازعجيني ولا يهمك.

فوقفت وقالت مبتسمةً:

- طب اسمحلي أمشي بقى علشان ألحق أجهِّز لمحاضرة بكره؟

استراح كريم لابتسامة نور التي رسمتها لأوَّل مرَّة معه.. فابتسم هو الآخر ثُمَّ قال باحترام:

- أه صحيح.. ده إنتي هاتدي أول محاضرة بكره، بس كده المهندس نادر مش هايلحق يحضرها، وأنا بصراحة كنت حابب وجوده.

- هو راجع إمتى بإذن الله؟

- يوم الأربع.

- خلاص نخليها الخميس.

- هايل.

ساد الصمت للحظات وكأن اتفاق صلح قد أُبرم لتوِّه بينهما، انسحبت نور على إثره بعد أن ودَّعته.

رن هاتف كريم فرد بفتور:

- أيوة يا سها.

- ازيك ياحبيبي وحشتني.

- وانتي كمان.

- قوللي ياكيمو، كنت بتخوني مع مين من شويه؟

- انتي بتعرفي منين؟

- احساسي.

- ماشي، كنت بخونك مع مزة جديدة.

- ومالو يابيبي، بس المهم تفضل تحبني وماتسبنيش أبدا.

- يا ستي عمري ماهسيبك واقفلي بقى علشان ورايا شغل.

- طب احلف إنك عمرك ما هتسبني.

- ماقدرش أحلف أنا في الحمام.

- كداب.

- والله العظيم في الحمام.

* * *

كان صباح الخميس حين اعتلت نور المنصَّة الخشبيَّة التي ترتفع درجة واحدة عن أرضيَّة قاعة الاجتماعات والتي تم تنفيذها خصيصًا لتقدّم منها نور محاضرتها الأسبوعيَّة.

توسطت المنصَّة، ووقفتْ في ثقة تلقي التحيَّة على الحضور وتعرفهم بنفسها مستعرضةً كل الخبرات والمؤهّلات التي حصلت عليها في محاولة لزرع الثقة بينها وبين أولئك الذين حضروا مُرغمين.

كان كبار الموظفين قد حضروا غير مقتنعين بتلك الفتاة التي جاءت تعلّمهم فنون الاداره وهم الذين يفوقونها عمرًا وخبرةً.

كان أكثر المُرغمين على الحضور هو المهندس نادر الذي أقنعه ابنه بالحضور لمرَّة واحدة ليقرر بعدها ما يراه بشأنها.

أدركت نور بذكائها أن توليها منصب شريف قد أثار استياء معظم المديرين الذين أحبُّوه على مدار الأعوام الخمسة الماضية، لذا فقد قرَّرتْ أن تعطيه كلمة البداية فأشارت له قائلةً:

- وبعد ماعرَّفتكم بنفسي اسمحولي أشكر صديقي العزيز الأستاذ شريف اللي قدّملي كل التسهيلات ومابخلش عليًا بخبرته ومجهوده طول الفترة اللي فاتت.

قالتها بصدق متناهٍ لتمس قلوب غالبية الحاضرين، ثُمَّ أشارت له أنْ يصعد بجوارها.

صعد شريف المنصة، وأثنى على الحضور وعلى رأسهم المهندس نادر ثُمَّ توجَّه بالشكر إلى نور التي أطرقت رأسها في حياء ليواصل الحديث عن إعجابه بقدراتها وثقته فيما ستقدمه للشركة في الفترة القادمة راجيًا من الحضور أن يواظبوا على محاضرتها الأسبوعيَّة للوصول إلى أقصى درجات الاستفادة.

أنهى شريف كلمته، ونزل وسط تصفيق من الحضور وارتياح من المهندس نادر الذي قدَّر موقف نور الإيجابي من شريف.

انتهى التصفيق فتوجت نور مباشرةً إلى البورد المعلَّق خلفها لتكتب عليه وهي تقول ما تكتب.

- الحقوق والواجبات.

استدارت مرَّةً أخرى ثُمَّ قالت:

- أول قانون يجمع بين الموظف أو المورد البشري وبين المؤسسة هو قانون الحقوق والواجبات.

كانت نور تتحدَّث باحترافيَّة وحماسة شديدة جعلت الصمت يخيِّم على القاعة، مما أتاح لصوتها برغم رقته أن يدوِّي في الأرجاء.

- بمعنى أننا لو قدرنا نوفَّر للموظف أو العامل حقوقه بالكامل هنقدر ساعتها نحصل منه على مستوى أفضل من الأداء والإنتاج،

يعني الأول هنضمنله مرتب مناسب يوفَّر له حياةً كريمةً وفي نفس الوقت هندعمه بالمكافآت والحوافز والتعويضات والإجازات وغيرها لحد ما يوصل لحالة الاستقرار النفسي اللي هيولد جوَّاه شعور بالأمان والانتماء للمؤسسة.. ساعتها بس هنقدر نطالبه بالواجبات وهايقدمها عن طيب خاطر وبأعلى جودة.

كاد الحضور أن يصفِّقوا لولا نظرة استياء بدت واضحة على ملامح المهندس نادر؛ فهو كغيره من أصحاب الشركات لا يفضِّل الحديث عن حقوق الموظفين تلك التي تثير حفيظتهم وتدفعهم للتمرُّد وطلب العلاوات.

لاحظت نور بفطنتها تلك النظرة؛ فقرَّرت ضمَّه إلى لائحة المعجبين فقالت متسائلةً:

ـ مين أهم الفرد ولَّا المؤسسة؟

لم يرفع أحد يده؛ نظرًا لعدم اعتيادهم على تلك الديموقراطيَّة خاصَّةً في وجود صاحب الشركة. لذا فقد قرَّرت الإجابة بنفسها.

ـ علميًّا الفرد أهم.

زادت نظرة الاستياء في عين المهندس نادر، وكاد أن يهمَّ بالانصراف فأكملت نور سريعًا:

ـ يعني إحنا هنا بنشتغل في مؤسسة اسمها KNK للمقاولات والتشييد، وعندنا واحد اسمه المهندس نادر أبو الفتوح هو الفرد اللي أسسها، نرجع تاني لنفس السؤال.. مين أهم الفرد ولَّا المؤسسة؟

هنا ارتفعت الأيادي بحماس زائد حتى إن البعض أجاب دون استئذان.

- طبعًا المهندس نادر.

أخفى المهندس نادر ابتسامة رضا بداخله حفاظًا على وقاره، بينما لم يخفِ كريم الذي جاوره ابتسامة الارتياح والطمأنينة.

قالت نور:

- أنا واثقة إنكم بتحبوا المهندس نادر.. لكن ما أعتقدش إن ده السبب الوحيد لإجابتكم.

- أومال إيه السبب الأساسي؟

رفع كريم صوته بالسؤال ليتيح لنور فرصة أكبر للثناء على والده في محاولة للحصول منه على موافقة في استمرار تعيينها.. فأجابت قائلةً:

- السبب الأساسي أن المهندس نادر هو صانع الكيان ده؛ عاش سنين طويلة وتعب وشقي وضحى بسنين عمره علشان يكون فيه مؤسسة اسمها KNK

صمتت لحظة ثُمَّ تساءلت:

- طيب لو المؤسسة دي انهارت لا قدَّر الله. هل هايقدر نفس الشخص أنه يبنيها من جديد؟

أجاب الجميع في صوت واحد:

- طبعًا.

فأكملت:

- لكن لو حصل العكس برضه لا قدَّر الله؟

طرحت نور السؤال ثُمَّ أجابت:

- بالطبع تنتهي المؤسسة.

صفّق الجميع لمجاملة رئيسهم فأستاذنتهم نور في التخلي عن ظاهرة التصفيق أثناء محاضرتها معلِّلةً ذلك في قالب ساخر بأنه يذكِّرها بمجلس الشعب.

ضحِك الحضور فأكملت نور وسط ارتياح الجميع هذه المرَّة:

- وبكده نقدر نقيس نفس التجرِبة على باقي الأفراد المؤثرين والمنتجين في أي مؤسسة علشان نخرج بنفس النتيجة، إن الفرد أهم من المؤسسة علشان كده هارجع لبداية كلامي وأقول ان التطوير لا يمكن هيتم غير بالاهتمام بحقوق المورد البشري.

تحدَّثت نور لأكثر من ساعة عن الحقوق والواجبات حتى قرب انتهاء المحاضرة؛ فقرر كريم إضفاء روح المرح على الخاتمة ليقول مازحًا:

- يعني دلوقتي من حقي أطلب زيادة في المرتب ولَّا لا؟

رمقه والده بنظرة ثُمَّ مال عليه يحدِّثه بصوت خافت:

- تحب أقوللهم مرتبك كام ولَّا تتلم وتسكت؟

- لأ أتلم وأسكت أحسن.

قالها كريم بصوت خافت هو أيضًا حين كانت نور تتوجَّه إلى البورد، وتكتب عليه وتقول:

- الثقة بالنفس.

ثُمَّ أكملت:

- ده هيكون موضوع محاضرتنا الخميس الجاي بإذن الله بس ياريت ماتناخروش.

وجَّهت نور الشكر للجميع ثُمَّ جمعتْ أوراقها وتوجَّهتْ تصافح المهندس نادر لأوَّل مرَّة وتتعرَّف عليه.

- أرجو أن المحاضرة تكون عجبت حضرتك؟

ليردَّ عليها مازحًا:

- بصراحة معجبنيش غير النص التاني من المحاضرة.

ضحِكتْ نور وكريم وبعض المديرين الذين التفوا حول المهندس نادر لطرح بعض المطالب على إثر المحاضرة؛ فقال لهم كريم:

- خلاص المحاضرة خلصت، يالا كل واحد يتفضَّل مع السلامة، وشكرَ الله سعيكم.

قالها بسخريته المعتادة؛ فنظر له والده بجدِّيَّة ثُمَّ انصرف مودِّعًا الجميع.

همَّت نور بالانصراف فاستوقفها كريم:

- إيه ده إنتي رايحة فين؟

- هكون رايحة فين يعني.. هروَّح طبعًا الساعة بقت ٥.

- طب قولي وراكي حاجة النهارده بالليل؟

- ليه خير.. فيه حاجة؟

- لا يعني بسأل.

- أه في الحقيقة عندي حفلة.

- إيه ده بترقصي؟

قالها كريم مازحًا؛ فرمقته نور بنظرة اخترقته ليعتذر على الفور مصحِّحًا ما قاله:

- أقصد يعني بترقصي باليه.. أصل بصراحة شكلكِ باليرينا.

- لا هحضر حفلة عمر خيرت في الاوبرا.

- إيه ده هي الحفلة النهارده؟ تصدقي كنت هنسى.

- إيه ده معقولة.. إنت بتحب عمر خيرت؟

- ومين مبيحبش عمر خيرت.

- طب كده إنت متابعه من زمان؟

- أوهوووووو يا بنتي ده أنا مبفوتلوش حفلة أقسم بالله.

أدركت نور كذب كريم فتعمَّدت إحراجه.

- وإيه بقى آخر حفلة حضرتها له؟

صمتت لتتأكَّد من ظنِّها؛ فقرَّرت تضييق الخناق عليه أكثر:

- طب إيه أكتر حاجة بتحب تسمعها له؟

ظنَّ كريم أن هذا السؤال أسهل من سابقه فأجاب بثقة:

- كل ألحانه.

- كل ألحانه؟

ردَّدتْ نور ما قاله في تهكم ثُمَّ أكملت:

- أيوة زي إيه برضه؟

توتر كريم، وعرَف أنه في مأزق فردَّ مازحًا:

- هأقوللك لما نتقابل النهارده في الحفلة.

علتْ وجهها ابتسامة ساخرة ثُمَّ قالت وهي تنصرف:

- أوكي نتقابل في الحفلة إن شاء الله.

وانصرفت بينما وقف كريم يجمع أشلاءه، ويفكِّر في خطة لمقابلتها مساءً في الحفلة.

* * *

دقَّ جرس الباب بنغمة متَّصلة ثُمَّ تبعته طرَقات سريعة انطلقت على إثرها الشغَّالة الفليبينيَّة لتفتح وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة. دفعها كريم وهو يهتف:

- كاميليا.. كاميليا.. إنتي فين يا كاميليا؟

ثُمَّ نظر للشغَّالة مرَّةً أخرى وسألها:

- فين كاميليا؟

فأجابت بلهجة نصف عربية:

- في الرووم بتاعتها.

انطلق متخطيًا البهو ليصعد درجات السلم الرخامي وينادي على شقيقته، كانت كاميليا تجلس في الليفينج وتضع الهيدفون في أذنيها ممَّا جعلها لا تسمعه، نزع عنها إحدى السمَّاعات فانتفضت قائلةً:

- مالك يا كريم فيه إيه؟

ألقى بجسده بجوارها وأخذ نفسًا عميقًا، نفثه في الهواء ثُمَّ قال:

- أنا بحب عمر خيرت أووي.

ابتسمت كاميليا لتستعيد هدوءها مرَّةً أخرى، وضعت السمَّاعة في أذنيها وقد أدركت أن ما يمر به أخوها هو أمر تافه كالعادة، وفي الغالب سيخص فتاةً جديدةً.

التقط كريم يدها اليمنى ليقبِّلها ويقول:

- أنا بحبك أوي يا كوكي.

التقط اليد اليسرى ليكمل:

- وبحب عمر خيرت.

ثُمَّ قبَّل اليد الأولى وقال:

ـ وبحب بيت هوفن والبيت اللي جنب بيت هوفن.

ضحِكتْ كاميليا وقالت:

ـ يااااه ده الموضوع المزَّة دي باين عليه جامد آخر حاجة.

استراح كريم بظهره ثُمَّ قال وهو يتنهد:

ـ جاااامد جدًّا جدًّا.

صمت لحظة ثُمَّ واصل في سخرية:

ـ بس مين عمر خيرت ده يا كوكي؟

نظرت له متعجِّبة ثُمَّ ردَّتْ في استهزاء:

ـ موسيقار كده زي أحمد شيبة اللي بتحبه.

هتف كريم في ضجر:

ـ يوووه هو أنا هلاقيها منك ولَّا منها!

ثُمَّ قال:

ـ منا عارف يا ستي أنه موسيقار.

ـ طب لما أنت عارف بتسأل ليه؟

ـ يا حبيبتي أقصد يعني إني محتاج أتعرف عليه أكتر.. أسمع موسيقته.. أحضر حفلاته، كده يعني.

ـ أوباا ده واضح إن المزة المزَّة دي مثقفة وبتسمع موسيقى.

نطق بصوت خافت كأنما يحدث نفسه:

ـ مثقفة جدًّا وأمُّورة جدًّا وستايل جدًّا.

قاطعته في مرح:

- إيه كل ده.. طب اهدى كده واحكيلي واحدة واحدة.

بدأ كريم في سرد حكايته القصيرة مع نور بداية من تعيينها، مرورًا بكل محاولاته الفاشلة للإيقاع بها، ووصولًا إلى حواره الأخير معها بخصوص عمر خيرت.

- وطبعًا حضرتك عايز تبتدي تسمع عمر خيرت علشان تورها أنك واد سمِّيع فتقع في حبك؟

قالتها كاميليا ثُمَّ أكملت:

- بس أحب أقولك يا سيادة الدونجوان إن النوع ده من البنات مش بيقع بالطريقة العبيطة دي.

- طب أعمل ايه منا أول مرة أقابل النوع ده!

- بص ياكيمو، كل البنات مهما اختلف نوعها بتحلم بنفس الراجل.

- أيواااان! أنهو راجل بقى؟

- راجل يكون عايزها أوي بس مش مدلوق، بيحبها أوي بس مش ملزق، بيغير عليها بس ما يخنقهاش، شديد بس حنين، عاقل ومجنون في نفس الوقت، صايع بس محترم، متدين ومتحرر، مهتم بشغله جدا بس فاضي ليها، مهتم بتفاصيلها بس مش بيعلق على كل حاجه.

- خاااااااااااااااا...

- ايه ياكيمو انت نمت؟!

- لا حبيبتي كملي، مش عايزينه كمان بيطير!

ضحكت كاميليا، فجلس كريم على الأرض أمامها في مشهد مسرحي وهو يضم كفَّيه أمام صدره ويقول في توسل:

ـ أمس إيدكِ يا كوكي إنتي فنانة زيها، وأكيد فاهمة إزاي ممكن تحبني.

تعرف كاميليا بأن لهفة كريم وإعجابه بنور مختلفة عن كل سوابقه؛ فتحاول محاولةً أن تلمس شيئًا ما بداخله.. شيء لا يعرفه الكثير عن الناس.. شيء ربما هو نفسه لم يعد يذكره أو بمعنى أدق لم يعد يريد أن يذكره، فقالت وهي تنظر في عينيه:

ـ طب ما إنت كمان فنان.

صمت كريم بعد أن تبدَّلت ملامحه ثُمَّ شرد مستعيدًا ذكريات بعيدة، ذكريات عمرها سبع سنوات.. كان اليوم التالي لظهور نتيجة الثانوية العامة حين أجلسه والده في غرفة مكتبه التي تستقر في الطابق السفلي من ذلك البيت:

ـ ألف مبروك يا كيمو، يالا بقى اختار الهدية اللي إنت عايزها.

ـ الله يبارك فيك يا بابا، أنا مش عايز هدية.. أنا بس عايزك توافق..

قاطعه والده في صرامة قائلًا:

ـ حذاري تتكلِّم في موضوع كلية الفنون الجميلة ده تاني.. أنا قلت هتدخل هندسة يعني هتدخل هندسة.

ثُمَّ صمت لحظة وأكمل:

ـ أختك رفضت تدخل هندسة واتحدتني ودخلت كونسيرفتوار، وإنت عايز تحصلها وتدخل فنون جميلة!

زفر في استياء ثُمَّ قال:

ـ مين بقى إن شاء الله اللي هيمسك الشركة ويديرها بعد ما أغور في داهية وأموت.. ولَّا ناويين تجيبوا ضلفها؟

أطرق كريم في أسى وهو يعلم أنه لن يستطيع خوض تلك الحرب التي سبقته إليها شقيقته وانتصرت فيها بفضل صلابتها وعنادها.

رفع رأسه مرَّةً أخرى وقال متوسِّلًا:

-يا بابا إنت عارف إني بحب الفن التشكيلي وموهوب فيه، وشايف بعينيك نجاحي في كل المعارض والمسابقات اللي دخلتها.

دمعت عيناه وهو يكمل:

-ليه بس ماتدينيش فرصة أكمل في الفن وأثبت وجودي وأعيش الحياة اللي اخترتها لنفسي.

كان كريم وقتها شخصًا آخر؛ شخصًا غير الذي نعرفه اليوم.. كان شابًا شديد الرومانسيَّة يحب والديه ويعاملهما بمنتهى الأدب لذا خرجت كلماته ليِّنة وغير قاطعة.

استغل والده تلك الرومانسيَّة فقال مستعطفًا:

-يا كريم يا حبيبي.. إنت ابني الوحيد وماليش غيرك، وكمان أمك وأختك مالهمش غيرك في الدنيا تخيَّل كده لو أنا مت النهارده..

قاطعه كريم قائلًا:

-بعد الشر عنك.

فأكمل والده:

-كلنا هنموت يا حبيبي، بس أنا خايف الشركة تضيع بعد ما أموت وأمك وأختك يضيعوا معاها.

تأثَّر كريم بعض الشيء بكلمات والده ثُمَّ قال محاولًا إقناعه:

-يا بابا طب ما أنا ممكن أدخل فنون جميلة وبرضه أكمل معاك في الشركة لمَّا أتخرَّج.

قاطعه والده في عصبية مفاجئة بعد أن استعاد حزمه:

ـ لا مش هيحصل ومش هسمحلك تضيَّع نفسك وتضيَّع حلمي لك؛ الفن مرض عامل زي الإنفلونزا لو اتمكِّن منك هتفضل طول عمرك عيَّان بيه ومش هتشوف غيره.

حاول كريم الردَّ فلم يعطيه والده الفرصة.

نهض من على المكتب ثُمَّ استدار حوله يوسوس بالقرب من أذنيه:

ـ نفسك تكون زي عمك (سعيد)؟ فاشل زيه؟

ثُمَّ أكمل بصوت هادئ:

ـ إحنا الاتنين توأم في كل حاجة إلَّا الطموح؛ هو اختار الفن والفشل وأنا اخترت الهندسة والنجاح وأديك شايف بعينيك النتيجة.. هو اتجوز وقعد مع جدتك في شبرا بعد ما اشتغل مدرس رسم بملاليم.. المسكين ضيَّع نفسه وضيَّع ولاده معاه.. إيه ذنبهم يعيشوا في الفقر والحرمان ده علشان أبوهم قرَّر يبقى أناني ويعيش لفنه زي مابيدَّعي.

حاول كريم باستماتة أن يجد كلمات تقنع والده، فقال:

ـ بس عمي (سعيد) عايش كويس وراضي عن حياته، ويمكن يكون عايش أسعد من حضرتك، كمان ولاده راضيين جدًّا وفخورين بيه، ويمكن يكونوا أسعد مني أنا وأختي.

تنهَّد ثُمَّ قال:

ـ أو على الأقل أسعد مني أنا.

ثُمَّ أكمل:

ـ ومتنساش حضرتك إنه بيعمل معارض وبيكسب منها كويس.

ابتسم والده بسخرية وهو يتمتم:

- برضه ملاليم.

فأكمل كريم بحجَّة ضعيفة:

- كمان عمو أخد جوايز كتير والدولة كرَّمته أكتر من مرَّة.

شعَر المهندس نادر أن الديموقراطيَّة في الحوار لن تجدي نفعًا مع كريم الذي يؤمن حتى النخاع بحلمه فردَّ بعنف ليقطع عليه الطريق:

- المناقشة انتهت.. هتروح تدرس هندسة في ألمانيا، وهترجع تمسك الشركة.

استعاد كريم وعيه وهو ينظر لكاميليا ويقول في أسى:

- فنان إيه بقى؟ ما خلاص. أنا بقيت الباشمهندس نادر.

صمت ثُمَّ قال مصحِّحًا:

- أقصد الباشمهندس كريم.

شعَرتْ كاميليا بوجع أخيها، ولمسته عن قرب وكأنها رافقته في الرحلة التي شرد فيها لثوانٍ.

فقالت في محاولة لتغيير الموضوع:

- تصدَّق يا واد يا كيمو أن حظَّك بووومب.

هزَّ رأسه في تساؤل؛ فأكملت:

- النهارده فيه حفلة لعمر خيرت.

أجاب كريم بثقة بعد أن استعاد خفَّة دمِّه:

- طب منا عارف.

ردَّتْ كاميليا:

- ماشي يا عم الصايع، طب ماتيجي نخلِّي أيمن يشوف لنا تذاكر نحضرها سوا.

- يا بنتي طب منا جايلك علشان كده.. مهي نور رايحاها وأنا طبعًا ... وقلتلها إني رايح.

- طب تدفع كام وأنا أوديك الحفلة وأضربلك معاها صحوبية كمان؟

- أقسم بالله ده أنا كنت أخدك إنتي وأيمن وأجوزكوا النهارده ... نيِّرة تشد في شَعْرها.

قالها كريم وهو يضحك؛ فقاطعته قائلة:

- أيوة بقى ذلِّني علشان وقفت جنبي أنا وأيمن ضد ماما.

فردَّ كريم بدعابة:

- طب ما إنتي فاكرة أهوو.. يالا بقى انجزي وكلمي خطيبك عليه يحجزلنا.

- طب يالا يا فالح ادخل جهز نفسك، الحفلة باقي عليها أقل من ساعتين.. بس ادعي ربنا إن أيمن يلاقي تذاكر.

* * *

لم يتوقَّع كريم أنْ يرى هذا الحشد الهائل في حفل موسيقي؛ فأخذ يتجوَّل ببصره بين الحضور؛ علَّه يجد إجابة لسؤاله الحائر.. ذلك السؤال الذي حاول أن يشغل نفسه به مؤقَّتًا ليتناسى إحباطه الشديد من عدم رد نور على هاتفه حتى الآن.

ما هي المتعة التي يحصل عليها شخص يجلس مقيَّدًا بكرسيه دون

حراك أو رقص يستمع لموسيقى ليس بها حتى كلمات تجذبه أو صوت يشجيه؟!

بالطبع لن ينكر أنه مأخوذًا بالمكان والحالة؛ فلقاعة الأوبرا مهابة عظيمة يؤكدها خشوع الجالسين، ولكن يظل السؤال بلا إجابة وتظل نور بلا رد.

كانت كاميليا تجلس بجواره غارقةً في الحديث مع خطيبها أيمن عن ذكرياتهما مع حفلات عمر خيرت، فلمحت استياء شقيقها ورأت أصابعه التي تعبث في الموبايل دون جدوى فمالت عليه تهمس في أذنه:

- مستحيل نور هتسمع الموبايل بسبب الدوشة دي، وحتى لو مردتش دلوقتي أكيد هانقابلها وإحنا خارجين.

انطفأ نور القاعة قبل أن يعلِّق كريم ثُمَّ فتحت الستار ليظهر المايسترو عمر خيرت بمهابته الواضحة، كان واضعًا كفَّيه على صدره في انحناءة بسيطة، قدَّم التحيَّة لجمهوره الذي انطلق بدوره يصفِّق في حماس.

جلس على البيانو ثم أشار بيده للفرقة لتبدأ، فتوقفت أيادي الجمهور عن التصفيق بينما بقيت قلوبهم تتراقص على أنغام مقطوعة (غوايش)، استمرت المقطوعة عشر دقائق ثُمَّ انتهت بتصفيق حادٍّ لتبدأ الأخرى (ضمير أبلة حكمت) ثُمَّ (البخيل وأنا) ثم... ثم... مقطوعات مختلفة يحفظها الجمهور عن ظهر قلب ويدندن نغماتها طيلة الحفل.

انقضت ساعة بالتمام لتبدأ الاستراحة وتُفتح إضاءة القاعة، نهض كريم مستغلًا الدقائق القليلة في البحث عن نور دون جدوى.

ربما لم تأتِ.. هو احتمال قائم ولكنه غير مُرضٍ لكريم لما يحمله من نتائج سلبية، أولهم أنه لن يراها اليوم.. والثاني أن نور لن تتعرف على

...منه. والأخير أنها لن تتأكَّد أنه يحضر حفلات عمر خيرت.

رنَّ هاتفه فنظر إلى رقمها على الشاشة ليجيب في لهفة:

ـ أيوة يا نور إنتي فين.

ردَّتْ بصوت خفيض:

ـ متأسفة كنت عاملة الموبايل سايلنت بس أنا قاعدة ورا خالص، ...مدك بكذا صف وشايفاك... بس مش هينفع أجيلك.

قاطعها كريم وهو ينظر للخلف:

ـ طب هجيلك أنا بس قولي لي إنتي فين بالظبط؟

ـ مش هينفع ده فاضل ثواني على رفع الستار، نبقى نتقابل على الباب وإحنا خارجين ولَّا أقولك هسبقك على كافتريا الهناجر وابقى حصلني.. يالا سلام سلام.

أغلقت سريعًا ثُمَّ انطفأت إضاءة القاعة لتفتح الستار مرَّة أخرى عن الجميلة ريهام عبد الحكيم، انحت لتحيَّة الجمهور ثُمَّ انطلقت تشدو بكلمات الرائع أيمن بهجت قمر (فيها حاجة حلوة) تلونت القاعة باللون الوردي، بينما ظلَّ الجمهور يصفِّق معها طيلة الأغنية.

نظرت كاميليا وسط الظلام لأخيها، فهدأ قلبها وملأتها الفرحة حين رأت شفتيه تشدو مع الجمهور بكلمات الأغنية.

* * *

قالت كاميليا وهي تقبل نور على خدها:

ـ أوبااااا ده إنتي قمر بجد.

فردَّتْ نور مبتسمةً وهي تبادلها القبلة:

- إنتي اللي عينيكي حلوة.

أشارت كاميليا في مرح طفولي إلى كريم قائلةً:

- طبعًا أنا كاميليا أخت الأستاذ ده.

ثُمَّ التفتت إلى أيمن لتكمل:

- وخطيبة المايسترو ده، أيمن بيه عبد العظيم.

ضحكتْ نور وهي تصافح أيمن ثُمَّ نظرت لكريم وقالت:

- مش كنت تقول إن ليك أخت أمورة كده!

شكرتها كاميليا ليكمل كريم التعارف:

- على فكرة كاميليا وأيمن معيدين في الكونسيرفتوار.

ضحكت كاميليا قائلةً:

- شفتي بقى يا نور أديكي قاعدة مع عيلة كلها فنانين أنا وخطيبي موسيقيين وكريم فنان تشكيلي.

نظرتْ نور لكريم ثُمَّ قالت متعجِّبةً:

- كريم فنان تشكيلي!!

ردَّتْ كاميليا بفخر:

- طبعًاااا.. ده كريم لحد وقت قصير كان مكتسح معارض مصر كلها بلوحاته.

- معقولة؟

علَّقت نور وهي تنظر لكريم وكأنَّها تنتظر منه إجابة فلم يرد. صمت لحظةً ثُمَّ قال محاولًا تغيير الموضوع:

- قولولي هتشربوا إيه؟

أدركت نور من صمت كريم أن ما يقال عنه هو أمر غير حقيقي أو مبالغ فيه فوافقت على تغيير الموضوع وهي تقول:

- أنا اللي عازماكوا.

عاد كريم لصمته وشروده بينما اندمج الثلاثة في الحديث عن الحفل الرائع وعبقرية المايسترو في المزج بين الآلات العربية والغربية.

انقضت ثلثي ساعة أو يزيد قبل أن يحاول كريم استعادة مرحه المعتاد فيقطع حديثهم قائلًا:

- ماتيجوا ننزل التحرير نضرب كشري من عند أبو طارق.

فضحكت نور قائلةً:

- لا أنا مش بتعشى أصلًا.

فشاركها أيمن نفس الرأي، بينما ظلت كاميليا تنظر لأخيها وتتفحص وجهه وهي تتساءل بداخلها:

إلى متى سيظلُّ كريم يرسم تلك الصورة السطحيَّة لنفسه أمام الآخرين وكأنَّه يعاقب نفسه على ذنب لم يقترفه، لماذا يتعمَّد قتل الفنان بداخله ويتهرَّب من الحديث عنه؟!.

انتهى اللقاء بعد أن استأذنت نور وانصرفت، بعدها طلب كريم من أيمن أن يوصِّل كاميليا إلى البيت بينما أخذ هو يتجوَّل في الساحات الخارجية للأوبرا، قادته أقدامه رغمًا عنه إلى قاعة الفن التشكيلي فوجدها مغلقةً لتأخر الوقت، نظر لها مبتسمًا في سخرية ثُمَّ أخرج هاتفه ليتصل برقم ما:

- ألو.. إزيك يا سها.. إنتي فين؟

عاتبته لاختفاءه طيلة الأيام الماضيه ثُمَّ قالت:

- أنا في البيت يا بيبي.

فردَّ هو في أسى:

- طب أنا جاي أبات عندك النهارده.

* * *

قاطعها الدكتور صبري معترضًا كالعادة:

- شوفي يا دكتورة ريهام أنا مش بشكِّك في قصَّتكِ اللي بتقولى إنها واقعيَّة بس التفاصيل اللي فيها مش منطقيَّة بالمرَّة.

توقفتْ ريهام عن حماسها في السرد لتسأله:

- إزاي يا دكتور؟

فقال:

- يعني أزاي كريم كان بيحاول يجذب نور له وفي نفس الوقت كان بيتعمَّد يبان تافه قدامها؟ زي موضوع الكشري والتحرير والكلام اللي قاله ده؟

نظر لباقي الممتحنين ثُمَّ أكمل:

- ومنين بتقولي إنه كان فرحان أنه قابلها يوم الأوبرا وبعدين يروح ينام مع صاحبته نهى دي ولَّا سها؟

كان الدكتور صبري بالفعل يعرف الإجابة، ويعلم الاضطراب النفسي الذي يمر به كريم ولكنَّه أراد أن يختبر إدراك ريهام للبعد النفسي للحالة.

فأجابت في ثقة:

- كريم هو نفس المثل اللي استشهدت بيه في البداية.. بني آدم متخيِّل

... السعادة في الأكل والشرب فبيأكل لحد ما تيجي له تخمة وبعدها يندم ... ب، ويرجع يأكل تاني علشان يهرب من شعور الندم، ويفضل ... ه يلف في نفس الدايرة المفرغة.

قال الدكتور مهدي ضاحكًا:

- حرام عليكي تشبهي سها بالأكل.

ضحكَ الجميع ثُمَّ أكمل الدكتور صبري:

- ماشي بس ليه برضه كريم بيحاول يوصَّل لنور إنه تافه مع إنه المفروض يثبتلها العكس ويأكِّد كلام أخته عنه؟

- ما هو ده الصراع اللي كان جوَّاه والخناقة اللي مكنش بينتصر فيها ... ل ماندخله التجرِبة.

قال الدكتور صبري مبتسمًا:

طب كمِّلي لَمَّا نشوف آخرتها معاكي إنتي وكريم بتاعك.

* * *

Harley coffee

هو كافيه خاص جدا، يلتقي فيه أصحاب موتسيكلات الهارلي فقط، يجتمعون فيه من آن لآخر للتعارف وتبادل الخبرات والاتفاق على الرحلات الجماعية.

كان كريم أحد مؤسسيه وأحد ابرز أعضائه.

قال أمير:

- اسكتوا! امبارح حصلي حتة فصل!

ثم أكمل:

- ماشي بالموتسيكل ومعدي الـ ٢٠٠ راحت واحدة متخلفة كاسرة عليا بغشوميه لحد ماكانت هاتطلعني على الرصيف، شاورتلها بأيدي وأنا بازعق ابييبه رايحة فييين، راحت بصالي وقايلة بمنتهى الهدوء: رايحة عند حماتي.

ضحك الجميع فقال كريم:

- أقسم بالله تلاقيك كنت بتعاكسها علشان كده حبت تربيك.

- بصراحه آه، أصلها كانت زي القمر.

قال تامر ساخرا:

- مهو كل واحد بياخد على قد نيته يابرنس.

- ثم أكمل:

- وانت من الناس اللي لو ربنا إداهم على قد نيتهم هايسخطهم كيس زبالة وجواه بقايا سمك كمان.

ضحكوا مرة أخرى ليقول كريم:

- بصراحة الحاجة (ياسمين الخيام) هي السبب.

تساءلوا:

- ليه؟

فأجاب:

- كانت المفروض تقول يارب كتر أعيادنا وتقف على كده، بس هي كملت وقالت وعل. قد نيتنا ادينا.

دخل عليهم فجأة شاب من الخارج يحمل كاميرا فوتوغرافية، ألقى

الصحبة مبتسما ثم التقط لهم صورة.

وقف كريم متسائلا في تحفز:

- حضرتك بتصورنا ليه؟ وبعدين مش المفروض تستأذن الأول؟!

اعتذر الشاب قائلا:

- أنا آسف أصلي باعمل تحقيق عندي في مجلة الشباب عن جروب المارلي.

ثم أكمل:

- لو هايضايقكم ممكن أمسح الصورة.

* * *

اعتلتْ نور المنصَّة بقاعة المحاضرات في الشركة لتبدأ محاضرتها الثانية.

كان خبر المحاضرة الأولى والأداء المميَّز لها قد انتشر بين المديرين ورؤساء الأقسام لذا فقد امتلأت القاعة عن آخرها.

قدَّمت التحيَّة للحضور وشكرتهم على الالتزام بالميعاد ثُمَّ استدارت ناحية البوورد لتقول وهي تكتب:

- الثقة بالنفس.. ده الموضوع اللي وعدتكم الأسبوع اللي فات أني هتكلِّم عنه،

استدارت لتتساءل:

- مين يعرف إيه علاقة (الثقة بالنفس) بتنمية المؤسسات؟

رفع أحد الحاضرين يده ليجيب فقالت مازحة:

- لا أنا سألت وأنا اللي هجاوب ودي سمات أي ديكتاتور.

تعالت الضحكات لتواصل هي مرّة أخرى:

- خلّوني الأول أكلمكم عن مفهوم الثقة.

ثُمَّ قالت:

- الثقة وعدم الثقة هي مشاعر بتتولد جوانا وتتخزن في عقلنا الباطن أثناء مرحلة الطفولة، وبالتالي نقدر نعتبرها نتاج للتربية سواء كانت صحيَّة أو غير صحيَّة، وطبعا الأهل والبيئة المحيطة هما المسئولين عن المرحلة دي.

ثُمَّ أكملت:

- والمشاعر دي بتتطور معانا، يعني بتقل أو بتزيد أو بيتغير شكلها نتيجة للخبرات والمكتسبات اللي بنحققها وبنمر بيها على مدار عمرنا.

شعرت نور بحالة من الوجوم بين الحاضرين فابتسمت متساءلة:

- حد فهم حاجة؟

ليجيب كريم مازحًا:

- بصراحة لاااا بس واضح أنك بتقولي كلام عميق.

ضحك الحضور؛ فأكملت وهي تضحك:

- طب مين هنا بيحب نفسه؟

رفع أحد الحاضرين يده مجيبًا:

- أنا.

فسألته:

- طب لو عملت حاجة غلط برضه بتفضل تحب نفسك ولَّا بتكرهها؟

- بصراحة، ساعاتها بكرهها.

أجاب الرجل بصدق، فأكملت هي:

ـ فرق كبير بين حب الذات وتقدير الذات؛ حب الذات هو قبول غير مشروط لنفسك مهما حصل، مهما فشلت أو أخطأت، لكن تقدير الذات هو اللي ممكن يتغير مع النجاح والفشل أو مع الصواب والخطأ.

بدا الارتياح على الجميع بعد أن وصلت لهم الفكرة؛ فقررت نور أن تبدأ المعركة.

ـ فيه ناس كتير بيانوا من بره إنهم متصالحين مع نفسهم ومليانين ثقة رغم إنهم من جوًّا عايشين حرب رهيبة، والنوع ده هنلاقيه دايمًا بيلجأ لعوامل خارجيَّة علشان يثبت بيها لنفسه وللناس إنه مميز.

ثُمَّ أكملت:

ـ زي الإنسان اللي بيكدب ويحكي عن نجاحاته الوهميَّه، أو الإنسان اللي دايمًا بيلبس براندات علشان يثبت للناس إنه أحسن منهم.

بالطبع لم تأتِ الكلمات على هوى كريم فقاطعها بتحفُّز:

ـ مش فاهمكِ بصراحة.. يعني لو إنسان ظروفه الماديَّة كويسة إيه المانع إنه يلبس براندات؟

ردَّتْ نور مبتسمةً بعد أن تأكدت أن المعركة قد بدأت تأتي ثمارها:

ـ أنا طبعًا مقصدتش الشخص ده، أنا أقصد الشخص اللي لا يمكن يلبس حاجة معليهاش اللوجو بتاع أي ماركة غالية ومعروفة؛ علشان يحسس الناس بالعجز ويحس هو بالتميز الوهمى اللي بقول عليه.

لم تنظر نور إلى البادج المميز لتيشيرت كريم وهي تقول:

ـ يعني لازم أي تيشرت يلبسه يكون عليه بادج لبراند مشور.

فانحنى كريم لأسفل قبل أن تلمحه لينزع البادج عن التيشرت ثُمَّ اعتدل مرَّةً أخرى متجاهلًا القطع الذي نتج عن النزع.

تعمَّدت نور إخفاء ابتسامتها وأخذت تكمل في جدِّيَّة وكأنها لم ترَ ما فعل:

- أو مثلًا الشخص اللي لا يمكن يلبس ساعة غير لما تكون براند، رولكس، بوجاتي، جيس، المهم تكون ماركة غالية وملفتة.

فانحنى مرَّةً أخرى، ونزع الساعة من يده ثُمَّ مرَّرها في خفاء للموظف الذي جلس بجواره.

تعجَّب الموظف فقال له كريم بصوت خافت:

- خد الساعة دي صلحها علشان بتقف كتير.

ثُمَّ ابتسم قائلًا له:

- ولَّا أقولك خدها ليك وهابقى أخصم تمنها من مرتبك على عشرين سنة.

وقبل أن تنطق نور بكلمة (والجزمة) كان كريم قد خلع حذاءه ودفعه من أسفل الكرسي لنفس الموظف قائلًا بنفس الصوت الخافت:

- وحياة أبوك أبقى شوفلي أي شبشب ألبسه في البريك علشان ألحق أتوضى وأصلي العصر.

ثُمَّ زفر قائلًا:

لما نشوف آخرتها مع اليوم اللي مش هايعدي ده.

نظر له الموظف في عدم فهم ثُمَّ قال:

- حاضر يا فندم.

اطول نور:
ـ طب والله أنا قابلت حالة لشاب لا يمكن يلبس بنطلون إلَّا لما...
قاطعها كريم بعصبية:
ـ لااااا..إلَّا البنطلون.. مهو مش معقول هنمشي بالبوكسر يعني.
حاول الحضور كتم ضحكاتهم، بينما رسمت نور على وجهها علامة تعجُّب وكأنَّها لا تفهم ما يعنيه.
نظر كريم حوله بعد أن استعاد وعيه، وأدرك أنه قد فضح نفسه.
ابتسم في توتر ثُمَّ قال مصحِّحًا:
ـ أنا أقصد يعني مش معقول المحاضرة كلها عن البراندات!!
اكتفت نور بما حقَّقته من انتصار؛ فأخرجت من حقيبتها ورقة فئة الـ ٢٠٠ جنيه ورفعتها قائلةً:
ـ مين ياخد الـ ٢٠٠ جنيه دي بدون مقابل؟
بالطبع رفع الجميع يده فألقت بالورقة على الأرض بعد أنْ طبَّقتها وكرمشتها بين أصابعها لتظهر علامات التعجب على الوجوه، فانحنت لتستعيدها مرَّةً أخرى وترفعها بعد أن فقدت الورقة رونقها واتَّسخت تمامًا:
ـ طب ودلوقتي لسه حد عايز ياخدها؟
رفعوا جميعهم أيديهم مرَّةً أخرى فابتسمتْ نور وقالت:
ـ ليه كلكوا لسه عايزين الورقة دي رغم أنها بقت متبهدلة كده.
لم يرد أحد فأكملت:
ـ ده معناه إن الورقة لسه مافقدتش قيمتها رغم كل اللي حصلها!!

ابتسمت ثُمَّ قالت:

-إحنا كمان مش بنفقد قيمتنا مهما فشلنا أو مرِّينا بظروف صعبة.

كان الساعي يقف في آخر القاعه لجمع الأكواب فرفع يده طالبًا التعقيب.

هزَّت نور رأسها بترحاب ليقول الساعي:

- يا أستاذة ده نص الشعب بياكل من الزبالة يبقى إزاي هنرفض ورقة بميتين جنيه علشان مكرمشة ولَّا مبهدلة؟! طب والله حتى لو ورقة بخمسة جنيه ومقطعة حتى لنوطي عليها نأخدها ونبوس إيدينا وش وضهر كمان.

أطرقت نور رأسها في حزن بعدما فاجأها الرجل البسيط بإجابة غير التي انتظرتها.. ظلَّتْ لحظةً قبل أن تقول:

-عندك حق يا عم صابر، فعلًا الاحتياج هو الدافع الأساسي لتقبُّلنا أي واقع مهما كان مريرًا.

استعادت ثباتها ثُمَّ قالت:

-بس في الحقيقة أنا كنت قاصدة بسؤالي معنى تاني خالص.. وهو أن قيمة الأشياء -بما فيها الذات الإنسانيَّة- مش لازم تتأثر بالعوامل الخارجيَّة.

قال كريم دون أن يرفع يده مخالفًا للقوانين التي وضعتها نور:

-لسه مقولتيش إيه علاقة الثقة بالنفس بتطوير المؤسَّسة؟

ردَّتْ نور وقد بدا عليها الإجهاد:

-ياريت تفكَّرني بالنقطة دي بس بعد ما ناخد البريك لو سمحتولي.

ظل البعض جالسًا بينما خرج البعض الآخر ليشعل سيجارة أو ذهب لدورة المياه في حين توجَّه كريم إلى الساعي الذي انشغل بجمع الأكواب الفارغة فربت على كتفه قائلًا:

- الله ينوَّر يا عم صابر.. فحمت الدكتورة.

هلَّل الساعي فرحًا بحديث المهندس كريم المازح معه ثُمَّ قال:

- وأنا إيش أكون يا باشا علشان أفحم حد؟

ربت كريم على كتفه مرَّةً أخرى ثُمَّ سأله:

- مرتَّبك وصل كام دلوقتي يا عم؟

ابتسم الرجل ليقول مازحًا:

- ماوصلش أي حتة يا باشا.. لسه زي ما هو ١٢٠٠ جنيه.

فرق كبير بين أن ترى الحقيقة وأن تدركها. فلم تكن تلك المرَّة الأولى التي يسمع فيها كريم عن مرتب كهذا لأحد العاملين في مؤسَّسته، لكنها المرَّة الأولى التي يدرك فيها تلك الحقيقة المريرة.

وجبة واحدة ربما يتناولها كريم في أحد المطاعم قد توازي مرتب عم صابر في شهر أو أكثر، ذلك المرتب الذي من المفترض أن يكفيه ويكفي أولاده وزوجته من طعام وانتقالات ودراسة وكسوة وعلاج وتنزه وأفراح وأحزان و.. ياااااه.... يا له من إدراك مؤلم.

لم يستطع كريم أن يكمل حديثه مع الرجل فاعتذر له ثُمَّ انصرف دون أن يبدي سببًا لاعتذاره، فقط قرَّر أن يراجع على الفور تلك الدراسة التي قدَّمها له شريف والخاصة بإعادة النظر في رواتب الموظفين.

كانت نور تجلس على مقعدها في إجهاد واضح فاقترب منها كريم قائلًا:

- بجد المحاضرة النهارده روعة.

- متشكرة أوي بس أنا حاسة إن الموظفين حاسين بملل وغالبًا محدش منهم هيرجع بعد البريك.

- أقسم بالله ده أنا كنت أرفدهم كلهم.

- مش للدرجة دي حرام عليك.

نظر كريم في عينيها ثُمَّ قال بدفء:

- لا والله للدرجة دي وأكتر.. أصلك مش عارفة إنتي بقيتي مهمة إزاي للشركة.

أدركت نور ما يرنو إليه فبادرته قائلةً:

- شوف يا باشمهندس كريم إنت عارف قد إيه أنا بحترمك، بس أرجوك بلاش الكلام اللي فيه تلميحات ده، وياريت تعاملني زي أي موظفة هنا.

- طب منا قلت إنك بقيتي مهمة للشركة.. المشكلة فين بقى؟

قالها كريم مازحًا ليؤكِّد ظن نور؛ فقرَّرت بجرأتها المعتادة أنْ تضع كل النقاط على كل الحروف:

- طب مش أحسن لو اتكلمنا بصراحة وقلتلي عايز مني إيه؟

قالتها بابتسامة لتسهِّل عليه الاعتراف فردَّ:

- معنديش مانع أتكلم بصراحة لو هتقبلي صراحتي.

ثُمَّ أخذ يتفحَّص وجهها ليرى مدى استجابتها.

ـ اااه ده واضح إن الموضوع كبير، طب خلينا نكمل بعد المحاضرة

ـ ...

ـ ايوة عندك حق، ده وقت البريك خلص.

نهضت نور من كرسيها فقال لها:

ـ بس توعديني فعلًا نكمل كلامنا بعد المحاضرة.

ـ طب يالا بقى انزل من عالمنصة.

قالتها نور مبتسمةً، وأكملت بينما هو يهمُّ بالنزول:

ـ على فكرة أنا شوفتك إمبارح بالليل في كارفور.

تسمَّر كريم مكانه للحظة ولم يلتفت إليها أو يعلِّق بكلمه، فقط أكمل يتقدَّم نحو كرسيه وهو يحدِّث نفسه:

ـ يا نهار أزرق لو كانت شافت اللي حصل.. دي تبقى مصيبة.

وقفت نور على المنصة تعاود الشرح بعد رجوع الموظفين في حين شرد كريم بعقله إلى مكان آخر.

كانت العاشرة من مساء ذلك الأمس الذي تحدثت عنه نور؛ حيث جلس كريم كعادته الأسبوعية برفقة صديقة رمزي، كانا يتناولان الفرابتشينو المحبب لهما في ستاربكس المقابل لبوابات كارفور داخل كايرو فيستيفال مول.

مرَّت دقائق صامتة قبل أن يلمح رمزي فتاة جميلة تلتقط الترولي وتدفعه أمامها مجتازة بوابات السوبر ماركت الكبير.

انتهزها فرصة فصاح في صديقة محاولًا كسر الملل:

ـ أوبااا.. شوفت يا كيمو؟

نظر كريم حيث أشار له رمزي فلمح الفتاة دون أن يعلّق.

أكمل رمزي في حماس:

- أما حتة بت إنما ايه فرسه.

ارتشف كريم قليلًا من قهوتة المثلجة ثُمَّ رد بعدم اكتراث:

- يا عم فرسة إيه!! هو إنت شايف منها غير ضهرها؟

ليقول رمزي بنفس الحماسة:

- يا باشا وهي المزة إيه غير ضهر.

ثُمَّ قال وهو يبتلع ريقه:

- شايف الشعر، يا نهار أزرق ع الوسط المنحوت، شايف الخلفية الثقافية المهلبية.

تعلقت أخيرًا عيني كريم بظهر الفتاة فقال في تحدٍ:

- طب وإيه رأيك في اللي يوقعهالك في عشر دقايق؟

قال رمزي ليزيد استفزازه:

- يا ريس مش للدرجة دي، البت باين عليها جامدة آخر حاجة.

فنهض كريم على الفور وقال في ثقة:

- طب احسب ١٠ دقايق على ساعتك.

تحرك مسرعًا نحو الماركت حتى عبر بواباته القصيرة ثُمَّ توقف ليبحث عن الفتاة.

لم تمر لحظات حتى لمحها في مرمى بصره فتحرك نحوها ليجدها تخرج نظارة سوداء من حقيبتها وتضعها على عينيها وهي تنظر له في تعجب.

كاد كريم أن يتراجع أمام نظراتها المتفحصة له.

اقتربت منه الفتاة ثُمَّ قالت وهي تنظر في عينه:

- طارق.

قالتها بهمس وهي تمسح دمعة تسللت من أسفل نظارتها فتعجب

هو ثُمَّ نظر خلفه يبحث عن ذلك الطارق.

نظر لها مرَّةً أخرى وهو يتساءل في حيرة:

- حضرتك بتكلميني أنا؟

- أيوة إنت طارق.

قالتها الفتاة بحزن عميق ثُمَّ نظرت له أكثر محاولة استعادة وعيها،

وضعت كفيها على وجهها ثُمَّ قالت معتذرة:

- أنا متأسفة أوي.

ثُمَّ همَّتْ بالانصراف.

استوقفها كريم قائلًا:

- متأسفة على إيه بس؟ أنا مش فاهم حاجة.

- أصل حضرتك تشبه أخويا طارق الله يرحمه بالظبط.

تنفس كريم بارتياح ثُمَّ قال وهو يرسم على وجهه علامات الأسى:

- يااااه الله يرحمه.

- متشكرة.

قالتها الفتاة وهي تهم بالانصراف مرَّةً أخرى فأخذ منها التروللي

يدفعه عنها للأمام ويسألها.

- هو مات إزاي؟

لم تعترض الفتاة على مساعدته أو سؤاله، بل مضت بجواره تدفع التروللي بالمشتريات وتحكي عن حبها الشديد لأخيها وطريقة موته غريقًا في شرم الشيخ العام الماضي.

كان كريم ينصت في اهتمام مفتعل فوقفت الفتاة فجأة لتقول:

- ممكن تقولي (يا أختي يا حبيبتي)؟

ليقول في حماس:

- طبعًا.

ثُمَّ أكمل في دعابة محاولًا رفع الحواجز سريعًا.

- ولو عايزاني أقولك يا حبيبتي بس والله هاقولها.

ضحكت الفتاة ثُمَّ قالت:

- لا بجد محتاجة أسمعها منك أوي، وأتخيلك طارق أخويا وأنت بتقولها.

ثُمَّ أخذت نفسًا عميقًا لتكمل:

- ده طبعًا لو مش هايضايقك.

هتف كريم:

- لاا‌ا يضايقني إزاي يا أختي يا حبيبتي يا روح قلبي كمان.

مضت الفتاة بجواره لتكمل مشترياتها وتقول من آن لآخر:

- قولها تاني.

ظلَّ كريم يرددها وهما يتبادلان الحوار وأرقام الهواتف حتى وصلا إلى طابور الكاشير.

استأذنها ليلتقط علبة سجائر من على الرف في محاولة لتبرير وقوفه

إلى الطابور ثُمَّ عاد ليجدها قد سبقته وجاء دورها.

ظل ينظر إليها وهي ترفع مشترياتها من التروللي وتضعها أمام الكاشير ثُمَّ إلى الشنط البلاستيكيَّة.

أشارت له من بعيد قائلة:

ـ أخويا حبيبي.

بادلها هو الآخر:

ـ أختي حبيبتي.

خرجت من الباب يتبعها العامل الذي يحمل مشترياتها ثُمَّ التفتت إليه تودعه:

ـ هكلمك أول ما أوصل البيت، لا إله إلَّا الله.

فودَّعها قائلًا:

ـ محمَّد رسول الله، هستناكي يا روح قلب أخوكي من جوَّا.

زفر في انتصار بعد أن حصل على الصيد السمين ثُمَّ تحرَّك حتى جاء دوره أمام الكاشير، قدَّم له علبة السجائر ليقول له العامل:

ـ الحساب ٨٧٤٠ جنيها.

ثُمَّ قدَّم له الإيصال.

ردَّ كريم في تعجب:

ـ أفندم.. حضرتك قلت كام؟

ردَّدها الكاشير مرَّةً أخرى فنظر كريم إلى علبة السجائر التي يجهل نوعها ثُمَّ قال بصوت نصف مسموع:

ـ يا نهار أسود دي نوعها إيه دي؟

اعتذر للكاشير ثُمَّ ذهب ليستبدل بها واحدة أخرى.

عاد مرة أخرى، وقدَّم له علبه مارلبورو ليضربها الكاشير على الماكينه ثُمَّ يقول:

- ٨٧٠٠ جنيه.

صرخ كريم في الرجل قائلًا:

- نعم يا أخويا.. هي إيه اللي بـ ٨٧٠٠ جنيه؟ دي بتتباع في كل حته بـ ٤٠ جنيه.

ثُمَّ أكمل بعصبية شديدة:

- هو فين المدير؟

حاول الكاشير تهدئته فقال محاولًا شرح سوء التفاهم.

- لا يا فندم.. حضرتك فاهم غلط.. علبة السجاير فعلًا بـ ٤٠ جنيه. بس حساب أخت حضرتك ٨٦٦٠ جنيه.

ردَّ كريم بتعجب:

- حساب مين؟!

لم يكمل الكلمه فجاءته رنة على هاتفه تفيد وصول رسالة واتساب.

فتح الرساله على الفور ليقرأ:

(أخويا حبيبي أرجوك اعتبر المبلغ ده تمن القلم اللي لطشتهولي الشهر اللي فات).

انعقد لسانه، وأخذ يقارن بين تلك الفتاة الغامضة التي ارتدت حين رأته نظارتها السوداء وبين الفتاة الأخرى التي صفعها على وجهها منذ عدة أسابيع في نفس المول.

ا،ابته حالة من الضحك الهستيري، ثُمَّ قال وهو يضرب كفًا بكف:
ـ يا بنت اللذينااااا.. خدتي بتارك!

ا،ادته نور من على المنصَّة:
ـ يا أستاذ كريم.
لم يسمعها فكرَّرتها مرَّةً ثانية لينتبه قائلًا:
ـ أيوة.
قالت:
ـ ممكن تكرَّر السؤال اللي سألته قبل البريك؟
ـ سؤال إيه؟
ـ واضح إن حضرتك نسيت.
ثُمَّ قالت وهي تستدير ناحية البورد:
ـ بس أنا فاكراه.
كتبت:
علاقة الثقة بالنفس بتطوير المؤسَّسة.
ثُمَّ توجَّهت نحوهم وقالت:
ـ الثقة مكون أساسي للتميز وده لكذا سبب.
أوَّلًا الثقة بتزرع فيك الإيمان بأنك صح، وبالتالي بتخليك ثابت على موقفك ومش متردد.. يعني بتخليك صاحب قرار.
ثانيًا الثقة بتديك قدرة على تخطي الصعاب؛ لأنك بتبقى عارف حجم قدراتك اللي بتقدر تستدعيها وقت ما تحتاجها وبالذات في المواقف الصعبة ولحظات الفشل.

وثالثًا الثقة بتديك ثبات انفعالي وقدرة على التحكُّم في الـ body language أو لغه الجسد بتاعك وبالتالي بتديك كاريزما تسمحلك بسهولة في التأثير في الآخرين وده ينفع جدًّا بتوع التسويق والسيلز اللي زي حالاتي.

ثُمَّ ضحكتْ لتكمل:

- رابعًا الثقة بتخليك دايمًا سعيد وراضي عن نفسك وممتن لكل اللي حواليك وده بيعمل ألفة بينك وبين زملائك ورؤسائك وكمان مرؤوسيك.

نظرت لكريم ثُمَّ قالت:

- إذًا الثقة بالنفس تقدر تحوِّل أي انسان عادي أو حتى فاشل لإنسان مميَّز وناجح، وبالتالي الإنسان ده هيقدر يطوَّر المؤسَّسة اللي بيشتغل فيها

ابتسمت وهي تقول:

- أعتقد نكتفي بكده النهارده.

تمتم الجميع بالشكر وهم يقفون استعدادًا للانصراف، بينما نهض كريم ليتقدَّم منها بضع خطوات ثُمَّ سألها في ارتباك:

- كنتي بتقولي إنكِ شوفتيني امبارح في كارفور؟

- أيوة.. حتى كان شكلك غريب أوي.

ارتبك كريم أكثر وهو يتساءل:

- غريب إزاي يعني؟

- كنت عمال تضحك وتضرب كف على كف.

تنفس كريم الصعداء وهو يسألها سريعًا:

ـ يعني هو ده بس اللي شوفتيه؟

نظرت له نور مستغربة من طريقة سؤاله ثُمَّ أجابت وهي تجمع أوراقها:

ـ أيوة يعني هشوف إيه تاني؟

سألها في ارتياح:

ـ طب ليه ماكلمتينيش أو حتى سلمتي عليًّا؟

ضحكت وهي تنزل من على المنصة قائلةً:

ـ والله سلمت عليك بس إنت ماردتش حتى أنا استغربت، وقلت يمكن زعلان مني ولّا حاجة.

هدأ كريم، وتمتم بكلمة الحمد لله ثُمَّ حاول أن يستوقفها قائلًا:

ـ تسمحيلي أطلبك بالليل نكمل كلامنا؟

تردَّدت نور قليلًا ثُمَّ أجابت:

ـ أوك، معنديش مانع.

* * *

ـ صاحية؟

كتب كريم على الواتس أب ثُمَّ تابع علامة وصول الرسالة حتى تحوَّلت للون الأزرق لتكتب هي:

ـ طبعًا صاحية.. الساعة لسه مجتش ١١ وأنا عادةً بسهر.

ـ طبْ الحمد لله.. خفت لتكوني من الناس اللي بيناموا بدري.

ردت بإيموشين مبتسم فأكمل متسائلًا:

- هاينفع نتكلم دلوقتي في الموضوع اللي سألتيني عليه النهارده؟

- أه طبعًا ينفع، اتفضل اطلبني على الموبايل.

فكتب سريعًا:

- لا خلينا هنا أحسن.

ردَّتْ بعلامة تعجب؛ فكتب بعد صمت قليل:

- لما بسمع صوتك مبعرفش أقول كلمتين على بعض.

- بقى معقولة كريم شهريار التجمُّع هيتلخبط من صوتي!

- آه.. والله العظيم.

- بصراحة مش مصدقاك.. بس أعتقد أني عارفة السبب.

كتب هو:

- طب قولي.. ولو قلتيه صح هجيبلك شوكلت.

ثُمَّ وضع أيموشن يخرج لسانه فكتبت:

- علشان الشات بيخلي الناس أجرأ في كلامهم.

ليكتب هو:

- صح.

فكتبت هي:

- طب إيه رأيك نعمل حاجة أسهل علشان منقعدش نكتب للصبح.

أرسل لها علامة استفهام. فكتبت مستعيدةً شخصية الكوتش:

- ابعتلي فويس نوت بكل اللي جواك واللي إنت حاسه وبكده صوتي

...ش هيوترك زي مابتقول.
...دّد قليلا ثُمَّ أرسل لها علامة أوك، وبدأ يسجل ما بداخله:
...شوفي يا نور أنا عارف إنك واخدة عني فكرة زي الزفت، وللأسف
الفكرة دي صح بنسبة كبيرة، وبصراحة هبقى بكدب لو أنكرتها وأنا
...ش ناوي أكدب عليكي مهما حصل، أنا فعلًا ليًا مغامرات كتير زي
...ما إنتي عارفة أو سمعتي أو حتى توقعتي من تصرفاتى معاكي بس
اللي إنتي مش عارفاه واللي نفسي تصدقيه إني مش حابب ده في نفسي.
تخيلي يا نور إني عمري ما دخلت علاقة إلَّا ورجعت منها ندمان،
...رغم إني أنا اللي بسيبهم، وتخيلي كمان أني عمري ما حاولت أتعرف
...على بنت مؤدبة أو ألعب بيها، بالعكس أنا دايمًا باختار بنت محترفة،
...وباختارها كده علشان ماكسرش قلب بنت بريئة وضميري يوجعني
...أكتر.

ضغط كريم زر الإرسال خطأ وهو ما زال يسجِّل؛ فسمعتها نور
وصدقت كل ما بها فكتبت له:

- كمِّلْ.. عايزة أسمعك.

استراح كريم لردِّها ثُمَّ بدأ رسالة صوتيَّة أخرى:

أقسم بالله يا نور أنا برجع مكسور بعد أي علاقة، بس للأسف
بعدها بأيام أو يمكن بساعات بلاقي نفسي داخل جوَّا تجرِبة تانية وكأني
عطشان وماسك كوباية مية بملح أشرب منها وأعطش فأندم إني شربت،
وأنسى لمَّا أعطش تاني وأشرب تاني فاندم تاني.

تنهَّد بأسى ثُمَّ أكمل:

مش بس علاقاتي بالبنات اللي بندم عليها.. أنا بندم بعد ما بروح

الشغل وبعد ما أرجع منه، وبندم لما بخرج مع أصحابي، وبندم لما مبخرجش، بندم بعد ما بشتري لبس غالي أو حتى رخيص، وبندم لو ماشترتش، أنا تقريبًا يا نور بندم على أي حاجة في حياتي عملتها أو معملتهاش.

ضحك ساخرًا من نفسه ثُمَّ قال:

والغريبة بقى واللي يجننك أني ببقى مبسوط في الأول وأنا بعمل أي حاجة من الحاجات دي بس فجأة وبمجرد ما تخلص بحس بحزن ووجع رهيب.. بيخليني أكره نفسي.

* * *

تدخَّل الدكتور حسن مقاطعًا ريهام:

ـ هايل الفويس نوت بتاع كريم.

ثُمَّ نظر إلى دكتور صبري وقال:

ـ ده تقريبًا عمل سايكو أنالسيز لنفسه.

ضحك الدكتور صبري قائلًا:

ـ وكمان لخَّص مشاعر البني آدم اللي بيمارس المتع اللحظيَّة زي ما قالت ريهام في المقدمة.

بادلهما الدكتور مهدي الحديث:

ـ الجميل في الموضوع إن كريم مكانش راضي عن نفسه، وده يأكِّد صراع الشخصيَّتين اللي جوَّاه.

ردَّ الدكتور صبري ساخرًا كالعادة:

إحنا كده داخلين على سكيزوفرينيا ولّا إيه يا دكتور.

ضحك الجميع؛ فقال دكتور صبري:

- ربنا يستر.

انفضحك ريهام ثُمَّ تنظر إلى أوراقها وتكمل:

* * *

وصلت الرسالة الصوتيَّة الثانية لنور ليخفق قلبها فكتبت:

- ممكن تطلبني يا كريم؟

ضغط كريم زرَّ الاتِّصال ليأتيه صوتها هادئًا:

- خلينا نكمل هنا يا كريم.

صمتت قليلًا ثُمَّ أكملت:

- ولّا لسه قلقان من صوتي؟

- مهو صوتك ده اللي خلاني أقول كل اللي قولته.

- طب ممكن تبطل رومانسيَّة وتكمل.. أنا محتاجة أسمعك بعقلي النهارده.

- لاااااا.. مهو إنتي لو سمعتيني بعقلك لا يمكن هتصدقي كلمة واحدة من اللي بقولها.

- ليه؟

- علشان مفيش في كلامي ولا حياتي حاجة منطقية.

- إزاي يعني؟

- مش عارف بحس إني اتنين بنيادمين جوَّا جسم واحد.. الأولاني عايز يعيش حياة، والتاني عايز يعيش حياة غيرها.

ضحك ثُمَّ قال:

- علشان كده الاتنين دايمًا متخانقين مع بعض.

- طب وإنت بتحب مين أكتر؟

ليجيب سريعًا:

- بحب اللي بيكلمك دلوقتي.

- وأنا كمان.

قالتها بنصف عقل دون أن تحلِّلها.

فردَّ مبتهجًا:

- بجد!!

ثُمَّ سألها ليتأكد:

وإنتي كمان بتحبي كريم ده، اللي أنا بحبه؟

ضحكتْ نور ثُمَّ قالت بخبث:

- مين قال كده؟

- إنتي.

- لا طبعًا أكيد سمعت غلط.

قالتها بصوت أنثوي يعترف أكثر مما ينكر؛ فخفق قلبه بشدة ثُمَّ قال بصوت هادئ:

- نور.. أنا محتاجلك أوي في حياتي.

ـ كريم إنت متسرِّع جدًّا.

ـ أقسم بالله المرَّة دي مش متسرِّع خالص، أنا فعلًا محتاجلك في حياتي.

صمت ثُمَّ قال:

ـ علشان على الأقل تساعديني أتغيَّر.

ـ وأنا موافقة.. بس بشرط.

ـ شرط إيه؟

ـ أساعدك كصديقة.

ـ بس أنا مش عايزك صديقة.

ـ أومال عايزني إيه؟ صاحبة؟

ـ أبدًا والله أنا فعلًا عايز أكمل حياتى معاكي.

ـ إزاي؟

ـ أتجوزك.

ـ مش بقولك متسرع.

ـ يا ستي إديني فرصة وجرَّبيني.

شعرت نور باندفاع كريم وتطور المكالمة بشكل لم تتوقعه؛ فقرَّرت وقف هذا التطور:

ـ كريم.. بصراحة أنا وإنت مش مناسبين لبعض بالمرَّة، أنا ليا أهداف وأحلام بعيدة عن أهدافك وأحلامك ده غير إني ماقدرش أستحمل طريقة حياتك. فهمس باسمها:

ـ نور.

ثُمَّ أكمل في رجاء:

- هغيَّر كل حاجة علشانك.

تأثرت نور وصدَّقته إلى حدٍّ كبير، ولكن فقط منعها الخوف؛ فقرَّرت أنْ تمهله فرصة للتغيير دون وعد منها بأي شيء:

- طب يالا وريني هتتغير إزأي، وبعد كده نشوف.

قرَّر كريم خوض التحدي الذي حلم به كثيرًا؛ فقد كان دائمًا في انتظار حافز يدخل حياته ليساعده على التغيير أو بمعنى أدق يساعده على استعادة نفسه التي نسيها يوم تخلَّى عن حلمه.

* * *

الفصل الثالث

مرحلة دخول الحب



دخلت كاميليا على شقيقها كريم غرفته لتجده منهمكًا في القراءة، تنحنحت مرتين قبل أن يكتشف وجودها فنظر لها مبتسمًا في سكينة لم نعهدها منه.

نظرتْ إلى ما يقرأه ثُمَّ قالت بفرحة:

ـ الله.. إيه ده يا كيمو إنت رجعت تقرا تاني زي زمان؟

ردَّ متعجِّبًا:

ـ هو أنا كنت بقرا زمان؟

ـ يا نهار أبيض.. لا ده إنت فقدت الذاكرة بجد مش هزار.

قالتها كاميليا وهي تضرب كفًّا بأخرى ثم أكملت:

ـ يا ابني ده إنت لحد الثانوية العامَّة كنا بنسمِّيك «مكتبة التجمُّع الكبرى» طب ده إنت كمان اللي حبِّبتني في القرايه.. معقولة مش فاكر؟

جلستْ بجواره ثُمَّ قالت:

ـ طب مش فاكر لمَّا جبتلي في عيد ميلادي مجموعة أشعار نزار قباني؟ ولَّا يوم ما قلتلي لازم تقري ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي؟ ولَّا...

ظلَّت كاميليا تحاول إنعاش ذاكرته حتى انتفض فجأة وسألها:

ـ هي فين المكتبة اللي كانت هنا؟

كان يشير إلى ركن خاوٍ في غرفته فأجابته:

- إنت نزّلتها دولاب التخزين اللي في الجراج يوم خناقتك مع بابا.
كاد كريم أن يشرد فصاحتْ كاميليا في مرح:
- إيه الكتاب اللي في إيدك دي؟
ثُمَّ أكملت وهي تخطفه من يده وتقرأ الغلاف:
- أوبا!!!!!!! ده الخيميائي بتاع باولو كويللو.. كتاب جامد موت.
ثُمَّ سألت في خبث:
- مين اللي قالك عليه؟
- واحد صاحبي نصحني أقرأه هو وكتاب «السر» بتاع روندا بايرن.
- الخيميائي والسر.. يبقى أنا عرفت مين صاحبك ده اللي نصحك بيهم يا لئيم.
نعم هي نور، نصحته بهما لتنمّي بداخله الحلم وتعيد كريم إلى كريم.
قالت كاملیا وهي تهم بالخروج:
- طبْ أسيبك أنا بقى يا ريس تكمل قرايه، بس إديهوني بعد ما تخلصه.
ثُمَّ أخذت تشدو بصوتها الجميل.. رائعة فيروز:
حبيبي بدو القمر والقمر بعيد
والسما عالية ما بتطالها الإيد
طلعت على السطح دلو على الناس
قالوا ما أدري شو بيها وخبروا الحراس
قلتلهم بدي القمر قالوا القمر غالي
حقوا عشر ليالي عشر ليالي سهر

* * *

..اولت سها الاتِّصال بكريم عدَّة مرَّات دون إجابة؛ فقرَّرت أن ..عه من رقم آخر.

ـ الو؟

ـ ايوة مين معايا؟

ـ لاااااا.. ده أنا المقصودة بقى.

لم يتعرف كريم على الصوت فضحكت سها في استهزاء.

كرر كريم سؤاله بحزم:

ـ مين معايا؟

ـ أنا سها يا كريم.

ـ أهلًا يا سها.

ردَّ بإستياء، فسألته معاتبةً:

ـ ليه مش بترد عليًا يا كريم؟ هو أنا عملت حاجة زعلتك؟

ـ لا خاااالص بس مشغول شوية اليومين دول.

ـ مشغول؟!

قالتها متعجِّبة ثُمَّ أكملت:

ـ الله يكون في عونك يا حبيبي، طب هشوفك إمتى؟

ـ استني بس أسبوع كده يكون بابا سافر علشان ضاغط عليًا في الشغل.

ـ وهو من إمتى كان الشغل بيخدك مني يا نصَّاب؟

ـ سها أنا قلتلك إني مشغول ياريت تقفلي دلوقتي علشان عندي ناس.

استفزت كلمات كريم سها؛ فانفعلت عليه قائلةً:

- لا مش هقفل يا كريم وهتتكلّم معايا.

- يووووه.

قالها كريم بعصبية ثُمَّ أغلق الهاتف في وجهها.

لم تمر ساعة حتى دفعت سها باب مكتب كريم بعنف متخطِّية تلك السكرتيرة التي حاولت منعها دون جدوى.

- أنا آسفة والله يا باشمهندس كريم حاولت أمنعها بس هي...

قاطع كريم السكرتيرة قائلًا:

- طبْ اتفضَّلي اخرجي انتي واقفلي الباب وراكي.

أشار لسها بالجلوس ثُمَّ قال في جدِّيَّة بالغة:

- تفتكري الطريقة دي هتنفع معايا؟

فأجابت في عتاب:

- بقى كده يا كيمو أنا تقفل السكة في وشي؟

رد بهدوء:

- إنتي اللي عصبتيني يا سها.

- منا طول عمري بعصبك وبتستحملني يا كيمو.

قالتها وانفجرت في البكاء؛ فنهض كريم ليجلس أمامها.

قال محاولًا تهدئتها:

- سها أنا مش شايف أي داعي لعياطك.. مش معقول أتشغل عنك كام يوم تقومي تعملي كل ده!

يا كريم إنت اتغيرت أوي الفترة الأخيرة، وبقيت بتتهرَّب مني كتير.
عندك حق أنا فعلًا اتغيرت.
اتغيرت ولَّا غيَّرت يا كيمو؟
مش فاهم؟!
أقصد يعني غيَّرت الحالة، ودخلت في قصة حب جديدة؟
تساءلت سها وهي تتوقع الإجابة فلم يُخيِّب ظنَّها.
- سها إحنا فعلًا مبقيناش ننفع لبعض.
فانتفضتْ واقفةً ثُمَّ صرختْ بعصبية:
- لا يا حبيبي ما هو مش بمزاجك.. تجيلي وقت ما تحب.. وترميني وقت ما تحب.
حاول كريم تهدئتها فلم يفلح فقال بحزم:
- وطي صوتكِ إحنا هنا في الشركة مش في البيت.
- طب ومالو يا حبيبي ما نروح البيت نتكلِّم براحتنا.
- قلت مش هاينفع وياريت بقى تتفضلِّي علشان ورايا شغل.
تأكَّدت سها أن كريم قد اتخذ قرارًا جادًّا في تركها هذه المرَّة، وأنه لا أمل في عودته؛ فقرَّرتْ أنْ تنتقم منه بالفضيحة.
نهضتْ من كرسيها ثُمَّ فتحت الباب وأخذت تصرخ قائلة:
- اسمعني كويس يا حبيب مامتك.. مش سهير عبد العال بنت إمبابة اللي تتاخد لحم وتترمي عضم.
تجمهر بعض الموظفين أمام مكتب كريم ثُمَّ جاء أفراد الأمن ليُخرجوا

سها بالقوة بعد أن أشار لهم كريم بذلك.

شاع الخبر في أرجاء الشركة حتى وصل إلى نور فابتسمت في ارتياح ثُمَّ أمسكت بالهاتف لتتصل بشخص ما:

- شكلي كده هكسب حضرتك في الرهان.

* * *

مرَّتْ عدة أسابيع انقطع فيها كريم نهائيًا عن الشلة حتى عن صديقه المقرَّب رمزي، وبدأ يهتم بعمله وبنفسه شيئًا فشيئًا حتى إنه بدأ في رسم بورتريه زيتي لنور قرَّر أن يهديه لها في عيد ميلادها.

كانت نور آنذاك تتابعه بدقة لتراقب قدرته على الوفاء بوعده فلمّا رأت منه تلك الخطوات الجادة قرَّرت أن تسمح له بالاقتراب منها أكثر كما أطلقت هي الأخرى العنان لمشاعرها تتحرَّك نحوه.

قال كريم:

- نور أنا عايز أتقدملك.

لترد هي:

- تاني يا كريم!! إحنا مش اتفقنا ناخد وقت لحد ما تتغيَّر.

- نور أنا بحاول أتغيَّر وأكيد إنتي شايفة ده، أرجوكي تعالي نأخد خطوة رسمي بقى؟

- طب وافرض فشلنا؟

- بقى معقول أنا اللي هفكر الكوتش بكلامها.. مش إنتي اللي دايمًا تقولي: «لئن تندم على شيء فعلته خيرًا من أن تندم على شيء لم تفعله»

... نجرَّب ومش هتخسري كتير.

ابتسمت نور وهي تتذكَّر كلماتها المأثورة والتي أصبحت حجَّة عليها؛

... ذت معلنة الهزيمة لأوَّل مرَّة:

- تكسب يا كيمو، هحدد معاد مع بابا وأقولك.

* * *

انتهز كريم فرصة تجمُّع الأسرة على العشاء في يوم استثنائي فأومأ لشقيقته برأسه حسب الاتِّفاق أن تمهِّد له الطريق.

قالت بسخريتها المقبولة لدى الجميع:

- عندي ليكوا خبر بمليون جنيه.

رفع نادر ونيِّرة رأسهما ونظرا لها في تساؤل:

- خير يا كاميليا؟

سألها الأب ثُمَّ تبعته الأم قائلةً:

- قولي يا كاميليا فرحيني.. شكلك كده ناوية تسيبي أيمن؟

ضحكت كاميليا قائلةً:

- ده بعينك يا نانا.. بس الخبر اللي عندي أحلى.

تركتْ نيِّرة قطعة الإستيك التي كانت منهمكة في تقطيعها، وهتفت تحث كاميليا على الإفصاح.

- ماتقولي يا بنت لحسن أحدفك بالشوكة دي في وشِّك.

- كيمو ناوي يخطب.

قالتها كاميليا بحروف مرحة؛ فصرخ المهندس نادر قائلًا:

- تاااني.

ثُمَّ نظر إلى كريم مكملًا:

- هو إنت يا ابني مشبتعش خطوبات و...

قاطعته نيِّرة بتحفُّز:

- إيه يا نادر بالراحة شوية عالولد هو عمل إيه غلط يعني؟

- عمل إيه غلط؟!

قالها الأب بسخرية ثُمَّ أكمل بنفس السخرية:

- لا ولا حاجة.. معملش أي حاجة غلط.. خطب السنة دي تلات مرات بس.

ردَّ كريم الذي عاهد نفسه أن يعامل والده باحترام أكثر امتدادًا لخطة التغيير التي عاهد عليها نور.

- يا بابا أنا بعترف أني عملت حاجات كتير غلط الفترة اللي فاتت بس صدَّقني أنا بحاول أتغير، والبنت دي بالذات هي اللي هتساعدني على كده.

- ومين دي إن شاء الله اللي هتقدر تغيَّر فلنتينو؟

سأل نادر ليجيب كريم:

- نور يا بابا.

لتردَّ نيِّرة في أسى:

- بقى كده يا كيمو.. وأنا اللي كنت فاكراك اقتنعت أخيرًا بريم بنت خالتك!!

ردَّتْ كاميليا ساخرة:

- يا ماما.. ريم مين بس اللي يتجوزها!! دي عندها تخلُّف عقلي أقسم بالله.

لتنهرها أمها قائلةً:

- قطع لسانك.. أهو إنتي اللي متخلِّفة.

قاطعهما نادر وهو يلقي بالفوطة على المائدة ويقول بنفاد صبر:

- يووووه هو أنا مش هخلَّص من المرستان ده.. أنا فعلًا غلطان إني رجعت البيت بدري النهارده.

حاول كريم أن يهدِّأ والده فلم ينجح.

- أسمع يا بني آدم إنت.. أنا مش هدخل بيوت تاني وأحرج نفسي مع حد، عايز تتأندل وتخطب عندك أمك أهيه.. خدها معاك.

ثُمَّ تحرَّك ليصعد درجات السلم وهو يكمل:

- وابقى بالمرَّة خد عمَّك (سعيد) مهو توأمي، يعني ممكن تنصب على أهل العروسة وتقولهم إنه أبوك.

ضحك في استهزاء ثُمَّ قال:

- زي ما كنت بتعمل زمان في المدرسة.

* * *

ترك كريم سيارته على أوَّل الشارع، ونزل مكملًا طريقه على قدميه عملًا بنصيحة جدته الدائمة:

يا ابني بلاش تدخل شارعنا بعربيتك.. الناس عينيها وحشة.

مضى بخطوات هادئة يتفقَّد المباني البسيطة في شارع طوسون المتفرع

من شارع شبرا وكأنه يراها لأوَّل مرَّة.

رائعة تلك البيوت العفويَّة المطلَّة على بعضها البعض في دفء وحميميَّة يفتقدها سكان التجمُّع والمدن الراقية الجديدة، ذلك بسبب برودة قصورهم وبُعد المسافات بين مبانيهم ومشاعرهم.

مرَّ في طريقه بتلك الأرض التي لم تزل خاوية بعد أن كانت في الأصل بيت قديم وهوى، مات أصحابه فتيتَّم البيت وشاخ ثُمَّ سقط مستسلمًا لتقلبات الزمن.

تذكَّر يوم الجمعة من كل شهر؛ حيث كان يأتي بصحبة والده لزيارة جدَّته وعمِّه فيناديه أولاد الجيران ليلعب معهم الكرة في تلك الأرض.

ضاقت خطواته عمدًا واتَّسعت ابتسامته عن غير عمد وهو يتأمَّل عبث الصبية وأصوات الباعة الجائلين.. ينادي كل منهم على بضاعته بصوت يشجيه ويشعره بالسعادة، انحدر به الشارع يمينًا ويسارًا وكأنَّه يراقصه احتفالًا بزيارته حتى وصل به إلى بيت عمِّه وجَدَّته.

صعد السلالم المتهالكة دون حذر لعلَّه يتعثر فيقع كما كان يقع عليها في طفولته فيصرخ مناديًا على عمِّه (سعيد) الذي يحمله إلى أعلى ويعوِّضه عن الألم بالحلوى بينما تحتضنه جَدَّته وتقبِّله في حنان بالغ قلما استشعره من أمِّه.

وصل إلى الباب بالطابق الثالث ليجده مفتوحًا مثل كل الأدوار؛ فسكان شبرا لا يغلقون أبوابهم أبدًا وكأنهم يعيشون في بيت واحد، وتلك الأبواب ما هي إلا أبواب غرف لشقة واحدة مفتوحة على بعضها البعض فلا تُغلق إلا ليلًا عندما ينام أهلها.

أخذته رائحة الأطعمة المختلطة إلى داخل شقة جَدَّته فوجدها تفترش

الأرض وتشاهد التلفاز بينما تتحرَّك أصابعها لتحشو ورق العنب في [illegible]ابة وسرعة لا تقل مهارة عن عازف القانون.

مال عليها يحتضنها من الخلف لتخرج منها صيحة فزع ثُمَّ تلتفت [illegible]اه فيتبدَّل حالها إلى فرحة عارمة، تحتضنه ثُمَّ تحاول النهوض فيجلسها [illegible]اس بجوارها على الأرض.

- وحشتيني أوي يا تيتة.

- وحشتني يا عين وقلب تيتة.

قالتها وهي تمسح دموعها وتكمل:

- كده يا كيمو أكتر من سنة ماتجيش تشقَّر على جدتك؟

احتضنها كريم أكثر وهو يقبِّلها معتذرًا فسألته:

- إنت جاي لوحدك ولَّا أبوك معاك؟

- لا جاي لوحدي يا تيتة.

تنهَّدت ثُمَّ قالت بفتور:

- والمحروسة أمك عاملة إيه؟

- الحمد لله كويسة، وبتسلِّم على حضرتك.

ضحكتْ في سخرية وهي تعلم أنه لا يقول الحقيقة؛ فسألها هو:

- أومال فين عمو سعيد؟

- قاعد في الشقة التانية بيرسم.

فسألها مرَّةً أخرى في تعجُّب:

- أنهي شقة؟

لتقص عليه الحكاية:

- مهو يا حبيبي الحاجة أم محمود اللي كانت ساكنة قدامنا [illegible] السنة اللي فاتت -الله يرحمها- بعد ما ولادها الاتنين سابوها و[illegible] وعاشوا في الخليج قام صاحب البيت اتَّصل بيهم وبعت لهم [illegible] علشان يوافقوا يغيَّروا العقد وبعد كده أجَّرها لعمك سعيد، راح [illegible] سعيد حاطط ولاده في أوضه وقعد هو ومراته في أوضه وعمل الأو[illegible] التالتة مرسم.. ولَّا أتاليه.. والنبي منا عارفة بتسموه إيه.

ضحك كريم ثُمَّ قال مرددا ماقالت:

- مرسم ولا اتيليه والنبي منا عارفه بتسموه ايه!! تصدقي [illegible] اغنيه تحفه.

ضحكت جدته قائلة:

- يخيبك ياكيمو كده برضو تتريق على تيتك.

قبل كريم يدها ثم قال:

طبْ هروح أسلم على عمو وأرجعلك.

- أوعى تمشي.. أنا النهارده على حظك عاملة ورق عنب وملوخية على شوربة كوارع إنما إيه.. يستاهلوا بوقك.

- يا نهاااار، ودي أكلة تتفوِّت!! طبعًا قاعد وهتغدَّى وهتعشَّى معاكوا كمان.

تركها ثُمَّ وقف بين الشقتين ينادي على عمِّه سعيد خشية أن تكون زوجته بدون حجاب، فخرج له عمُّه مسرعًا يقبِّله ويحتضنه بحرارة ثُمَّ أخذه للداخل.

أخذ كريم يتجوَّل ببصره بين أركان الغرفة المزدحمة وهو يستعيد ذكرياته البعيدة، كانت الغرفة تشبه تمامًا تلك الغرفة التي كانت في شقة جدته؛ نفس العشوائيَّة والتمرُّد والجنون نفس الهمجيَّة والحريَّة.. ألوان تعانق بعضها البعض دون خجل وفرشاة تلوين عديدة ملقاة هنا وهناك دون اكتراث بأحد.. ألوان مختلطة ببعضها البعض تداعب الأرض والجدران ليصنعوا دون قيود لوحات همجيَّة خاصة بهم.

تنفس بعمق لتتخلل مسام جسده رائحة زيوت الألوان النفاذَّة ثُمَّ صاح بصوت يملأه الحنين:

- يااااه يا عمو وحشتني الريحة دي أووووي.

ردَّ عمُّه مازحًا:

- ريحة الألوان ولَّا ريحة ملوخيَّة جدتك؟

فأجاب كريم في شوق:

- الاتنين والله يا عمو،

ثُمَّ أكمل وهو يتحسَّس اللوحات:

- كل حاجة هنا وحشتني.

قال عمُّه مازحًا:

- معقولة الزريبة دي وحشتك!!

فردَّ كريم بصوته بينما تحتضن عيناه الغرفة:

- ماتقولش كده يا عمو دي جنة.

سأله عمُّه وكأنما يبحث بداخله عن شيء ما:

- طب وإيه أخبار جنتك؟ مش ناوي تفتحها تاني؟

كان كريم قد صنع غرفة مثلها تمامًا في مرحلة الثانويَّة العامَّة في بدروم منزله بالتجمُّع وكان ذلك تأسيًا بعمِّه ومحاولةً للسير على دربه، ولكنَّ والده أغلقها له عنوةً بمجرَّد دخوله الجامعة؛ ليجبره على ترك الفن والتفرُّغ للهندسة.

ردَّ كريم بفرحة انتابته فجأةً متجاهلًا تلك الذكريات السيئة التي تسلَّلت إلى رأسه:

- لا.. منا فتحتها تاني الأسبوع اللي فات وابتديت كمان في رسم بورتريه جديد.

اتسعتْ ابتسامة عمِّه ثُمَّ هتف في سعادة:

- أخيرًا يا كيمو.

لتدخل زوجة عمِّه قاطعة حوارهما فترحِّب بكريم وتعاتبه على غيابه الطويل ثُمَّ تؤكِّد عليه أنْ يمكث للغداء معهم.. فيجيبها:

- طبعًا قاعد معاكم النهارده طول اليوم لحد ما تزهقوا مني كمان.

دخل نبيل ابن عمِّه الذي أتمَّ عامه السابع عشر فعانق كريم وسلَّم عليه مكرِّرًا العتاب ثُمَّ تركه ليدخل بين ذراعي والده وكأنَّه طفل صغير فاحتضنه والده بحب شديد.

ابتسم كريم وهو يتساءل بداخله:

يا ترى أنا وكاميليا أسعد من ولاد عمي بجد؟

ثُمَّ هزَّ رأسه بالنفي وهو يكمل حواره الذاتي:

لو بابا خدني مرَّة واحدة في حضنه يمكن كنت صدقته لما حلفلي أن

عمي سعيد أناني وضحَّى بسعادة ولاده علشان سعادته، لكن للأسف مش عمو سعيد هو اللي أناني يا بابا.

ربت العم سعيد على كتف كريم وهو يسأله في شغف:

ـ قولي بقى يا بطل إيه آخر مشاريعك.

ردَّ كريم مبتسمًا:

ـ منا جايلك علشان كده يا عمو.. أصلي نويت أخطب.

تهلَّل وجه عمِّه ثُمَّ احتضنه ثانيةً بحرارة وقال:

ـ ألف ألف مبروك يا حبيبي.

لم يكن عمه يعلم بسوابقه في الخطوبة، ولكنه كان يدرك أن كريم شابًا مدلَّلًا للغاية وغير مؤهل للزواج فسأله ليضعه أمام نفسه:

ـ بس تفتكر يا كريم إنت جاهز نفسيًّا إنك تفتح بيت وتشيل مسئولية زوجة وولاد؟

ـ طب وإيه المانع يا عمو؟

ـ مش عارف بس آخر مرَّة شوفتك فيها من حوالي سنة كنت بتتكلَّم عن حاجات تانية خالص.

تذكَّر كريم عندما كان يحكي لعمه بفخر في تلك الزيارة الأخيرة عن مغامراته ورحلاته ويأخذ رأيه في الساعة والسيَّارة وغيرها من مقتنياته الغالية وكأنَّه يحاول أن يخدع نفسه ويخدعه برسم سعادة وهميَّة هروبًا من مواجهته بالحقيقة المريرة وهي أنه أصبح شخصًا تعيسًا.

صمت قليلًا دون رد فأكمل عمه في خجل:

ـ طبعًا يا كريم إنت بقيت راجل ومش من حقي أسألك أو أتدخل في حياتك بس حبيت أ...

قاطعه كريم ليعفيه من التبرير:

- عمو أنا عارف إنت تقصد إيه بس أحب أطمنك، أنا اتغيَّرت كتير أوي في الشهور اللي فاتت.

تهلَّل عمه أكثر وهو يلمح في صوته نغمة جديدة تنم عن تغيير حقيقي؛ فسأله في سعادة بالغة:

- ومين بقى اللي قدرت توقَّع كيمو معشوق النساء وتغيَّره كده.

- تعالى معايا يوم الخميس وإنت تشوفها.

- الله الله.. ده الموضوع بجد بقى وحددت كمان معاد الخطوبة.

- لا هي مش خطوبة أوي يعني.. ده أنا لسه رايح أتقدم.

ليقول عمه:

- طب بص يا كيمو طالما لسه رايح تتقدم يبقى روح إنت ونادر ومامتك وكاميليا كفاية أوي.

ردَّ كريم بصوت حزين:

- مهو بابا مش هيقدر ييجي علشان جاتله سفريَّة.

ربت عمه على كتفه قائلًا:

- معلش يا كيمو، مهو برضه بيعمل كل ده علشانكوا.

قالها وهو يعلم كما يعلم كريم أنها ليست الحقيقة ثُمَّ هتف محاولًا تغير الموضوع:

- الله أكبر ريحة الملوخية ظهرت يالا بينا على شقة جدَّتك لحسن عصافير بطني ابتدت تصوصو.

* * *

دق جرس الباب لتفتح الخادمة وهي تزفر في ملل قائلةً:

- تاااااني!

ثمَّ أخذت بوكيه الورد السابع ووقَّعت للرجل على استلامه، أغلقت باب الفيلا ثُمَّ نظرت خلفها لتجد نور في أعلى درجات السلم تضع يديها على وجهها وتضحك في هيستيريا متسائلةً:

- بعت ورد تاني؟

ثُمَّ أمسكت بهاتفها لتتصل به هي ما زالت تضحك:

- أقسم بالله إنت مجنون رسمي.

ليضحك كريم على الجانب الآخر ويرد قائلًا:

- ليه بس أنا عملت إيه؟

فردَّتْ:

- إنت بتستعبط يا كريم!! حد يبعت ٧ بوكيهات ورد في ساعتين؟

ثُمَّ أكملت وهي تشير للخادمة أنْ تضعه بجوار من سبقوه:

- دي حنان الشغالة بتدعي عليك؛ قاعدة من الساعة ٣ تستلم في بوكيهات ورد.

رغم خفَّة ظلِّ كريم المعروف بها إلا أنه لم يسبق له أن جعلها تضحك بتلك السعادة من قبل، لذا فقدْ قرَّر الاحتفاظ بضحكتها أطول وقت ممكن؛ فقال مفتعلًا الجدِّيَّة:

- طب اجري بسرعة اعملي بروفة على تكسير البندق بسنانك لحسن حماتك جايبالك خمسة كيلو تختبرك بيهم.

ارتفعت ضحكة نور أكثر ليخفق قلب كريم أكثر ثُمَّ يقول بصوت هادئ:

- نور، أنا بحبك أوي.

صمتتْ نور لحظات بعد أن لمست الكلمة قلبها ثُمَّ ردَّتْ مازحة:

- لااا وحياة طنط نيِّرة مش وقت رومانسيك خاالص.

تحرَّكتْ نحو غرفتها ثُمَّ فتحت دولاب الملابس وهي تقول:

- ده فاضل أقل من ساعة على تشريف سيادتكم وأنا لسه مالبستش.

- يااا خبر أبيض.. ده أنا كمان نسيت عمو سعيد تحت.

أنهى معها المكالمة والتقط الجاكيت ليركض خارج الغرفة.

نزل الدرجات مسرعًا حتى وصل إلى الرسبشن فاستقبلته كاميليا بغمزة من عينيها،

ثُمَّ قالت وهي تشير لعمها سعيد:

- كل ده بتلبس يا كريم؟ عمو كان خلاص قايم يمشي.

ضحك سعيد وقال نافيًا:

- ماتقوليش كده يا كاميليا.. هو أنا عندي أغلى من كيمو!!

خرجت نيِّرة التي كانت تنتظر في غرفتها متجاهلةً سعيد فصافحته ببرود ثُمَّ توجهوا جميعًا للخارج.

قاد كريم سيَّارته وبجواره عمه، بينما حاولت كاميليا التي جلست بجوار نيِّرة في المقعد الخلفي أن تصنع جوًّا من البهجة لكسر الصمت؛ فظلت تغني حتى وصلوا إلى فيلا دكتور أبو المكارم.

* * *

فتحت نور بنفسها الباب مستقبلةً كريم الذي عرَّفها بوالدته، عانقتها بترحاب شديد ثُمَّ التفتت لكاميليا فقبَّلتها بحب.

عرَّفها أيضا بعمه سعيد فصافحته بحفاوة ثُمَّ قادتهم جميعًا إلى غرفة الاستقبال.

لم تمر دقائق حتى ظهر الدكتور أبو المكارم يهبط درجات السلم في مهابة واضحة ثُمَّ يتقدَّم نحوهم في خطوات واثقة.

نهض كريم ليصافحه ثُمَّ بدأ في تقديم أسرته الصغيرة قائلًا في مرح:

ـ عمي سعيد أبو الفتوح.. الفنان التشكيل الكبير.

فردَّ سعيد في خجل:

ـ ماتصدقوش يا دكتور.

ثُمَّ أكمل:

ـ أنا اتشرفت بحضرتك جدًّا وطبعًا بعتذر بالنيابة عن أخويا المهندس نادر؛ لأنه للأسف جاله سفر مفاجئ.

ردَّ الدكتور أبو المكارم في أدب جمٍّ:

ـ مفيش بيننا اعتذارات.

ثُمَّ أكمل:

ـ يرجع بالسلامة إن شاء الله.

توجَّه كريم نحو أمِّه التي جلست في كبرياء تضع ساقًا فوق الأخرى ليقول معرِّفًا:

ـ ماما نيِّرة يا دكتور.

- اتشرفت بيكي يا هانم.

قالها الدكتور أبو المكارم في رسميه تليق بجلستها فردَّتْ هي بنفس الرسميَّة:

- الشرف لينا يادكتور.

نهضت كاميليا لمصافحة أبو المكارم قبل أن يصل إليها وهي تقول في مرح:

- أنا بقى كاميليا أخت كريم.

ثُمَّ نظرت إلى نور وأكملت:

- وحماة نور التانية بإذن الله.

ليضحك الجميع.

قال دكتور أبو المكارم محاولًا التماشى مع مرحهم:

- إنت بقى الوحيد يا كريم اللي لسه معرفتنيش بنفسك.

فأجابت نيِّرة بلهجة تفاخر معتبرةً سؤال الدكتور جادًّا:

- ابني كريم بكالوريوس هندسة من جامعة ميونيخ في ألمانيا، وأكيد حضرتك عارف إنه بيمتلك أكبر شركة مقاولات في البلد اللي نور بنت حضرتك بتشتغل فيها.

شعر أبو المكارم بالغطرسة والتعالي في كلمات نيِّرة؛ فردَّ بسخرية:

- مبدئيًا هي مش شركة كريم.. هي شركة والده وهو بيشتغل فيها زي نور بالظبط، ثانيًا كنت أتمنَّى إن كريم هو اللي يعرَّفني بنفسه.

كانت نور قد عقدت ذراعيها أمام صدرها ووضعت هي الأخرى إحدى ساقيها على الأخرى في ضيق واضح من طريقة نيِّرة في الحديث.

اسمها كاميليا وأدركت أن الموضوع قد بدأ يتأزَّم.

فنظرتْ إلى عمِّها وقالت في دعابة:

- إيه يا عمو هتطلب إنت إيد العروسة ولَّا أطلبها أنا؟

لم يضحك أحد هذه المرَّة فنظر سعيد للدكتور أبو المكارم ثُمَّ قال الجملة التقليديَّة والمعتادة في هذا الموقف:

- إحنا يشرِّفنا نطلب إيد الآنسة نور لابننا كريم.

- الشرف لينا يا أستاذ سعيد.

دخلت الخادمة لتقدم لهم أكواب العصير؛ فنظر الدكتور إلى كريم وقال:

- شرَّفتنا يا باشمهندس.

ثُمَّ أكمل:

- قولي بقى شقتك فين؟

ردَّت نيِّرة قبل أن يجيب كريم:

- كريم عنده فيلا في الميراج سيتي وواحدة تانية في...

قاطعها الدكتور في تجاهل ليسأل كريم مرَّةً أخرى:

- وبابا عامل لك مرتب كام في الشركة؟

لم يعتاد كريم على هذا النوع من الاستجواب، وتلك اللهجة فلولا تمسكه بنور لنهض على الفور لكنَّه تمالك نفسه وأجاب:

- حوالي خمس آلاف دولار في الشهر ده غير نسبة من الأرباح.

- وتفتكر لو اشتغلت في مكان تاني ممكن تاخد مرتب زي ده؟

عقدتْ نيِّرة حاجبيها وكادت أن ترد لولا إشارة من يد كلاميا ترجوها أن تدع كريم يجيب، فأجاب:

- مجربتش بصراحة.. بس إيه اللي يخليني أسيب شركة بابا؟

- لو يعني لا قدَّر الله حصل أي اضطراب في أحوال الشركة أو يا سيدي لا قدَّر الله مثلًا اختلفت مع والدك.

هزَّ كريم رأسه في تعجب فأكمل دكتور أبو المكارم:

- سامحني يا بشمهندس أنا من حقي أخاف على مستقبل بنتي وأستفسر عن كل حاجة.

ليردَّ العم سعيد قائلًا:

- طبعًا من حقك يا دكتور.

رمقته نيِّرة بنظرة حادة كادت أنْ تخترقه ثُمَّ قالت موجه الكلام لأبو المكارم:

- رغم أن كلام حضرتك مستحيل يحصل لكن بافتراض.. ساعتها يبقى يمسك شركة خاله مراد أو خاله بهجت وأعتقد إن شركاتهم ماتقلش مستوى عن شركة باباه.

نظرت نور إلى كريم وقالت شارحة وجهة نظر والدها:

- يعني يا كريم بابا يقصد إنك لو اشتغلت لوحدك وبمجهودك بدون مساعدة باباك أو خالك هتقدر تعيش وتعيشني في نفس المستوى؟

أجاب كريم على الفور:

- طبعًا.

فابتسم أبو المكارم قائلًا:

ـ هابل.

ثم أكمل:

ـ طب ما تيجي نجرَّب.

بدا التعجب وعدم الفهم على الجميع، بينما تساءلت نيَّرة في نفاد صبر:

ـ نجرَّب إزاي يعني؟

قال:

ـ يشتغل في مكان تاني ونشوف.

قامت نيَّرة تريد أن تهمَّ بالانصراف فأجلسها كريم قائلًا:

ـ ثواني يا ماما بس.

ثُمَّ نظر لدكتور أبو المكارم وقال:

ـ ياريت توضح لي وجهة نظر حضرتك أكتر.

اعتدل أبو المكارم في جلسته ثُمَّ قال في هدوء وهو ينظر للعم سعيد:

ـ يعني كريم يشتغل في مكان تاني بعيد عن باباه وخيلانه لمدة سنة مثلًا ونشوف لو قدر يستحمل يبقى ساعتها هكون متطمن على بنتي معاه ولو مقدرش...

قاطعه العم سعيد قائلًا:

ـ لا طبعًا هيقدر.. أنا واثق في كريم.

ردَّتْ نيَّرة في عصبية:

ـ وليه المفروض ابني يعمل كده؟ وعلشان خاطر مين يعني؟

تجاهل الدكتور أبو المكارم الإهانة التي وجِّهت له ولابنته؛ فقال شارحًا لكريم:

ـ شوف يا كريم إنت شاب محترم وأي عيلة تتمنَّاك بس أنا ر...
نور بنتي على الكفاح والطموح والاعتماد على النفس، وأعتقد من ...
اختار ليها زوج من نفس قناعاتنا.

حاول كريم المقاطعة فأكمل دكتورأبو المكارم:

ـ يعني إنت يا كريم ماتزعلش مني لابس بدلة وساعة وجزمة ...
فوق ١٠٠ ألف جنيه.

تمتمت نيِّرة بصوت غير مسموع مستعيذةً بالله.

فأكمل هو:

ـ لو حصل لا قدر الله تغيير في ظروفك هتعمل إيه؟

صمت كريم ولم يجد ما يقوله، فردَّتْ نيِّرة:

ـ طب ولو رفضنا يا دكتور؟

فقال:

ـ يبقى ده اختياركم.

نهضتْ قائلةً وهي تتوجَّه نحو الباب:

ـ اتشرفنا بيك يا دكتور.

ثُمَّ أكملت موجِّهةً كلامها إلى كريم الذي تسمَّر في مكانه:

ـ جاي معايا ولَّا قاعد؟

ثُمَّ أشارت لكاميليا وقالت بعصبية:

ـ ماتقومي!

لتخرج فيتبعها كريم وهو ينظر لنور ـ كأنه يعاتبها ـ لماذا لم تنطق بكلمة واحدة دفاعًا عنه.

أولته نور نظرة مستاءة ثُمَّ عانقت كاميليا وودَّعتها معتذرةً.

انتفض العم سعيد يصافح الرجل قائلًا:

- معلش يا دكتور هي نيِّرة عصبية حبتين بس والله قلبها أبيض.

ثُم يكمل:

- بإذن الله لينا قعدة تانية لما المهندس نادر يرجع من السفر.

يومئ أبو المكارم برأسه قائلًا:

- بإذن الله.

ثُمَّ يقول:

- بكل الأحوال إحنا اتشرفنا بيكم.

ثُمَّ يرافقه مودِّعًا حتى الباب.

* * *

كان كريم يقود السيارة صامتًا في طريق العودة للبيت عندما صرخت فيه نيِّرة:

- هي دي البنت اللي فضَّلتها على ريم بنت خالتك؟ دي تغور من وش أبوها.

لتكمل:

- يالا وصلني النادي أقعد مع صاحباتي شوية لحسن لو فضلت كده هايحصلي حاجة.

استجاب كريم لطلب والدته فأوصلها للنادي ثُمَّ توجَّه إلى منزله برفقة أخته وعمِّه الذي ترك سيَّارته أمام منزل كريم.

قالت كاميليا بعد أن نزلت أمها:

- طب والله أنا مش شايفة الراجل قال حاجة غلط.

فأيَّد سعيد كلامها قائلًا:

- وأنا كمان من رأي كاميليا.. إيه المانع أنك تجرب يا كيمو وتثبتلهم إنك قد التحدي؟

لم يرد كريم وظلَّ ممسكًا بعجلة القيادة في ضيق شديد ليكمل عمه:

- صدَّقني يا كريم إنت محتاج تعمل كده علشان تثبت لنفسك قبل ما تثبت لهم إنك تقدر تعيش في أي ظرف وتحت أي ضغط.

ردَّتْ كاميليا في حماس:

- آه والله يا كريم.

ثُمَّ أكملت:

- أعمل ده علشان نفسك مش علشان نور أو باباها.. إنت طول عمرك أصلًا بتحب التحدي.

لم يرد كريم هذه المرَّة أيضًا، وأخذ يفكِّر حتى وصل إلى المنزل فودَّع عمه معتذرًا:

- متأسف يا عمو أنا فعلًا متلخبط ومش قادر أفكر.

فربت على كتفه قائلا:

- فكَّر يا كيمو في الموضوع، وصدَّقني الناس دي محترمة، والبنت تستاهل إنك تعمل أي حاجة علشانها.

أومأ كريم برأسه، وابتسم لينطلق عمه بعد أن ودَّع كاميليا هي الأخرى.

* * *

لم تأتِ نور للعمل في اليوم التالي ثُمَّ ليومين متتالين بعده، بينما أخذ
أبو يفكِّر فيما حدث وما آلت إليه الأمور، ظل يستعيد المشهد من آن
لآخر محاولًا الوصول إلى قرار، كان بحاجة إلى شخص يحسم القضيَّة
بعدما انقسم من حوله إلى فريقين؛ فريق أسرة والدته الذي تقوده نيِّرة
نفسها والذي يصر بشدَّة على أن ما حدث هو استخفاف حقيقي وإهانة
كبيرة لكريم وأسرته، وفريق آخر هو أسرة والده بقيادة كاميليا وكان
رأيهم أن الدكتور أبو المكارم على حق في تقرير ما شاء للاطمئنان على
مستقبل ابنته الوحيدة، وأن على كريم أن يخوض التجرِبة لإثبات ذاته
قبل أي شيء.

لم يكن كريم يتوقَّع أن يحسم والده هذه القضية ولكنه فعل، فبعد
عودته من السفر قال مؤيدًا اقتراح أبو المكارم:

ـ وإيه المانع لما تجرَّب.

هكذا قطع المهندس نادر حيرته لينحاز لأول مرَّة إلى شيء يميل له
كريم ويخشى الإقدام عليه.

ـ ألوو.. إزيك يا نور.

ـ أهلًا يا كريم.

ـ إيه.. بقالك كام يوم مبتجيش الشركة؟

بصراحة كنت مستنية الجو يهدأ علشان أقدِّم استقالتي.

ـ طب وإيه علاقة استقالتك بموضوعنا؟

ـ أعتقد مابقاش ينفع نبقى مع بعض في مكان واحد وخصوصًا
بعد اللي حصل.

ضحك كريم قائلًا في خبث:

- هو عنوان مستشفى أبوكي فين؟ أقصد يعني مركز أبو المكارم للطب النفسي؟

ثُمَّ ضحك مرَّةً ثانية ليكمل:

- أصلي بصراحة بفكَّر أتعالج.

* * *

«مركز أبو المكارم للطب النفسي»

مرَّ كريم باللافتة الكبيرة متجاوزًا الباب الزجاجي وصولًا إلى بوابة الأمن ثُمَّ توجَّه إلى مكتب الاستقبال ليقول للموظف الجالس خلفه:

- عندي معاد مع دكتور أبو المكارم.

أجرى الموظف اتِّصالًا داخليًا ليتأكَّد من صحة الميعاد ثُمَّ رافق كريم حيث السكرتيرة الخاصة التي صاحبته هي الأخرى بدورها إلى مكتب دكتور أبو المكارم.

قابله الدكتور بحفاوة شديدة ثُمَّ دار حديث هادئ بين الاثنين، أكد كريم على رغبته في الحصول على ثقة حماه المستقبلي وأذعن لطلبه الغريب ثُمَّ سأله بعد أن وافق على دخول التجرِبة:

- حضرتك رفضت إني أشتغل مع بابا أو أي حد من قرايبي! طب ترشحلي أشتغل فين؟

ليقول أبو المكارم:

- إيه رأيك تشتغل على هوبر؟

تلعثَمَّ كريم بالكلمات وهو يرددها محاولًا التأكد من صحة ما سمعه.

- هووووبر.. حضرتك عايزني أشتغل سواق على هوبر!!

- وإيه المانع؟

- حضرتك أنا كريم أبو الـ...

توقّف قبل أن ينهي الجملة حتى لا يؤكِّد ظن الرجل فيه ثُمَّ أكمل مصححًا:

- أقصد يعني إزاي أبقى مهندس وأشتغل سواق؟

- طب وإيه المانع؟ نص شباب البلد مهندسين ودكاترة وشغالين سواقين على (هوبر أو كريم).

- بس...

أراد كريم أن يرد فقاطعه أبو المكارم شارحًا:

- بص يا كريم يا ابني الموضوع أسهل وأبسط مما تتخيَّل.. إنت هتروح الصبح شغلك عاااادي جدًّا في شركة والدك، بعد كده ترجع البيت تتغدي وتناملك ساعتين.

ثُمَّ ضحك ليقول:

- زي أي موظف صالح.

ثُمَّ أكمل:

- وبعد كده تصحى المغرب تنزل بعربيتك وتفتح الأبليكيشن بتاع هوبر تشتغلك ساعتين تلاتة برضه، وبعد كده ترجع تنام.

ضحك مرَّةً ثانية ثُمَّ قال:

- شفت سهلة إزاي.

ثُمَّ أكمل متجاهلًا الذهول الذي ملأ عين كريم:

- هاتقابل ناس جديدة وهاتتعلِّم حاجات جديدة وهتكتشف قدراتك الحقيقيَّة.

صمت لحظة ثُمَّ نظر للفراغ وهو يقول مبتسمًا:

- وأنا كمان هكتشف قدرات جوز بنتي.

كانت الكلمة الأخيرة وحدها كفيلة بأن ينهض كريم مبتسمًا، ويقول لحماه في حماس:

- وأنا موافق.

ثُمَّ أكمل في رجاء:

- بس حضرتك وعدتني إن التجرِبة سنة واحدة وبعد كده نتجوز أنا ونور.

ردَّ حماه مطمئنًا:

- طبعًا.

ثُمَّ ابتسم قائلًا:

- كمان يا سيدي هاخليهم ست شهور عشان خاطرك بس بشرط أنك تصبر وما تترفدش.

- أوعدك أني هكون عند حسن ظنك بس...

سكت في حيرة ليسأله أبو المكارم:

- بس إيه يا كيمو؟

- بس أنا معرفش فين شركة هوبر دي ولا عمري رحتها؟

فتح أبو المكارم أجندة كانت على مكتبه وقال:

- اكتب يا سيدي.. ده رقم فرع هوبر التجمُّع.

ثم أكمل:

ـ تصدق إني معايا رقمهم أصلي جبته من كام يوم علشان أقدّم شكوى في سواق لطعني في الشارع نص ساعة.

انتهى اللقاء المريح والدافئ جدًّا بوعود من الطرفين ثُمَّ خرج كريم وأغلق الباب خلفه مودِّعًا حماه.

ليفتح باب آخر من داخل المكتب فتدخل منه نور، وتقول لدكتور أبو المكارم في تحدٍ مرح:

ـ مش قلتلك أنا اللي هكسب الرهان.

فردَّ عليها دون أي اندهاش لدخولها:

ـ لمَّا نشوف.

* * *

حاولت كاميليا أن توقظ كريم عدة مرات لينام ثانيةً بعد كل مرَّةٍ تتركه فيها فصاحت فيه:

ـ أقسم بالله يا كريم لو ما صحيت المرَّة دي لأسيبك وأنزل الشغل وأبقى استلقَّى وعدك بقى من حماك لمَّا يعرف إنك مانزلتش بدري.

كان كريم كان قد اتفق مع كاميليا أن توقظه مبكرًا بعد أن حكى لها عن اللقاء الذي تمَّ بينه وبين الدكتور أبو المكارم، لذا فقدْ استجاب لتهديدها المرح ونهض يفرك عينيه متسائلًا:

ـ هي الساعة كام دلوقتي؟

ـ تسعة يا أسطى.

قالتها كاميليا بسخريتها المعتادة فردَّ كريم:

- إيه يا أسطى دي؟

لترد هي في مرح:

- إنت مش رايح تشتغل سواق؟ تبقى أسطى ولا مش أسطى؟

قال كريم ضاحكًا وهو يرفع الغطاء عن جسده ويعتدل:

- والله وبقيت أسطى على آخر الزمن يا كيمو.. الله يسامحك يا نور إنتي وأبوكي.

* * *

وصل كريم بصعوبة إلى العنوان الذي أبلغه به الموظف بعد اتِّصال دار بينهما أمس؛ حيث تحدَّد له ميعاد المقابلة الشخصيَّة صباح اليوم في مقر شركة هوبر فرع التجمُّع الخامس.

كان المكتب بلا لافتة فدقَّ الجرس مجرِّبًا ليفتح له الساعي، ثُمَّ يأخذه للداخل دون سؤال.

وصل إلى مكتب الأستاذ عصام الذي بدا منشغلًا في أوراقه فأشار له بالجلوس وهو يعطيه ورقة مكتوب فيها:

الأوراق المطلوبة: (رخصة سارية - فيش وتشبيه - تحليل بول)

قرأها كريم بصوت منخفض ثُمَّ نظر إلى الموظف ليقول له في بلاهة:

- بص حضرتك هو أنا فاهم موضوع الرخصة السارية ده.. لكن إيه بقى موضوع الفيش والتشبيه والحاجات الغريبة التانية؟.

ثُمَّ نظر إلى الورقة مرَّة ثانية وقال:

- يعني تقصد حضرتك تشبه عليًا وأشبِّه عليك وكده.. طب ما
[illegible]

ما[illegible]عه الموظف وهو يضرب على المكتب بيده ثُمَّ صرخ فيه:

- اقرأ وإنت ساكت.

انتفض كريم ليضحك الرجل من انتفاضته، ألقى نظرة على مظهره [illegible] بدا أنيقًا للغاية، ثُمَّ سأله متعاطفًا:

- هو إنت أول مرَّة تشتغل؟

- بصراحة آه.. بس كنت بشتغل في شركة والدي.

- شركة والدك؟

ردَّد الأستاذ عصام الكلمة في تعجُّب ثُمَّ أكمل مازحًا:

- يعني نقدر نقول كده إن حضرتك عزيز قوم ذلَّ.

ليردَّ كريم مازحًا هو الآخر:

- لا يا فندم أنا نادر أبو الفتوح مش عزيز قوم ذل.

ثُمَّ يكمل ضاحكًا:

أكيد حضرتك تقصد واحد تاني.

ليطلق عصام ضحكة عالية ثُمَّ يقول شارحًا:

- شوف يا أستاذ كريم إنت هتسأل عن أقرب قسم شرطة لبيتك وتقولهم عايز أعمل فيش وتشبيه موجَّهًا لشركة هوبر بعد كده هتروح أي معمل تحاليل وتجيبلي تحليل بول علشان نتأكد إنك مبتشربش أي نوع من أنواع المخدرات.

ابتسم كريم في قلق بعد أن توقَّع نتيجة التحليل مسبقًا ثُمَّ قرَّر أن يتركها على اللـه.

أكمل الرجل قائلًا:

- وضروري تتأكد إن رخصة سواقتك سارية، بعد كده هاتجيب لنا كل الأوراق دي وتجيب عربيتك علشان نتأكد أن حالتها كويسة والأهم التكييف يكون شغال.

صمت لحظة ثُمَّ سأله:

- مش برضه التكييف عندك شغال؟

- أعتقد.

أجاب كريم ليسأله عصام مرَّةً أخرى:

- تعتقد إزاي!! مهو لازم يكون شغال.

ثُمَّ سأله:

- هو نوع عربيتك إيه؟

فأجاب كريم:

- بورش.

ليقول الرجل متعجبًا:

- أفندددم!! عربية حضرتك بورش!!

ردَّ كريم بثقة:

- آه واللـه العظيم بورش وموديل السنة دي كمان.

ليسأله عصام بضجر:

ـ يعني حضرتك عايز تقولي إن عربيتك تمنها مليون ونص؟

ـ تقريبًا.

أجاب كريم ببساطة لينفجر فيه الموظف قائلًا:

ـ إنت جاي تشتغل ولَّا تهرج؟

لا يدري كريم لماذا قرَّر فجأةً أن يتقمَّص شخصيَّة يحيى الفخراني في فيلم الكيف فأجاب هو يضحك:

ـ هههههه جاي أهرَّج.

ليقول الرجل بحروف متقطعة:

ـ امشي اطلع برَّه.

قال كريم في هدوء شديد وهو يخرج رخصة السيَّارة من محفظته ويقدِّمها له.

ـ اتفضل حضرتك أدي رخصة العربية.

أخذها الموظف وأخذ ينقل نظره بينها وبين كريم ثُمَّ قال معتذرًا:

ـ أنا أسف واضح أنك فعلًا ابن عز.

ثُمَّ أكمل:

ـ بس والله حرام عليك تهلك عربية زي دي في الشغل.

قالها بتعاطف ثُمَّ أكمل متسائلًا:

ـ طب ماعندكش عربية غيرها.

فأجاب كريم:

ـ أيوة عندي هامر.

كاد الموظف أن يقذفه بالطفاية المعدنيَّة التي أمامه على المكتب لولا ثقته أنه صادق.

فقال وهو يزفر في الهواء:

- خلاص سيبك من العربيات وخلينا في الموتسيكلات.. يعني لو عندك موتوسيكل هاشغلك عليه (هوبر سكوتر) وأريح دماغي ودماغك.

قالها ثُمَّ تساءل:

- أكيد عندك موتوسيكل؟

- أيوة عندي.

- هاااايل.

أجاب الموظف في ارتياح وكأنما ذهب عن صدره حمل ثقيل.

ثُمَّ أكمل:

- هاتتفضل دلوقتي مع السلامة من غير مطرود ولمَّا تخلَّص أوراقك هاتشرفني هنا تاني أي يوم الصبح أدام المكتب وهتجيب معاك الموتسيكل بتاعك علشان أعاينه وأسلمك الأبليكيشن.

* * *

بعدها بثلاثة أيام حضر الأستاذ عصام إلى مكتبه مبكرًا ليستوقفه شاب أمام مدخل المبنى.

كان الشاب يرتدي جاكيت جلد أسود أعلاه خوذة فضيَّة ونظارة سوداء عريضة وأسفله بنطلون جلد أسود وحذاء ضخم، ابتسم الشاب

...ام وهو يستند على موتوسيكل هارلي ويقول:

- صباح الخير يا أستاذ عصام.

فأجاب عصام:

- صباح النور.. مين حضرتك؟

ردّ الشاب مستنكرا:

- هو مش حضرتك قولتلي أجيب الموتوسيكل بتاعي علشان تعاينه؟

ليقول عصام قبل أن يسقط مغشيًا عليه:

- إنت تااااني؟!

* * *

- ههههه بس يا عم أنا لقيت الراجل هايغمي عليه رحت سانده من إيده ومدخله مكتبه وهو على كلمة واحدة:

دوا السكر.. ادوني دوا السكر يا ولاد الكلب.

- هههههه.

ضحك رمزي وهو يسعل من الشيشة ويقول لكريم:

- يا ابن اللذينا كنت هاتموت الراجل.

ضحك كريم ثُمَّ قال متعجبًا:

- بس الغريبة إن الساعي صوّرني وأنا داخل ماعرفش ليه!

فردَّ رمزي مازحًا:

- يا عم تلاقيه افتكرك مخلوق فضائي بلبس الهارلي بتاعك ده.

ضحك كريم ثُمَّ قال:

تيجي أقولك خبر حلو؟

- قول.

- قررت أبطل شرب.

- اخص عليك ياكيمو وأنا هشرب مع مين؟

- اشرب مع فتحية.

ثم أكمل ضاحكا:

- وبعدين في حد عاقل يحب واحدة اسمها فتحية!

- اسكت ياكيمو دي مطلعة عيني.

- طبعا مش اسمها فتحية!! يبقي لازم تطلع عين أهلك كمان.

- امبارح سخنتني عليها في التليفون رحت قايللها لازم أجيلكم حالا، مش قادر، قالتلي مش هاينفع أصل البيت فاضي، قلتلها عزالطلب، قفلت معاها وعشر دقايق كنت بارن الجرس عندها، مافتحتش رحت متصل بيها وقايلها بصوت واطي افتحي يا فتحية أنا على الباب، قالتلي ياحبيبي مش قلتلك البيت فاضي! احنا كلنا بره.

ضحك كريم ثم سأله:

- صحيح يا رمزي متعرفش حد محترم يسلفني شوية بول؟

لم يفهم رمزي الكلمة فاستفسر قائلا:

- إزاي يسلفك شوية بول؟

- يا سيدي طالبين تحليل بول.. آل إيه.. علشان يتأكدوا إني مش بتعاطى مخدرات لا سمح الله.. تخيَّل يا رمزي أنا يشكُّوا فيا!!

ا ضحك رمزي ويقول مازحًا:

لا إزاي طبعًا ماهمش حق.. وإنت وش كده برضه.

ثم أخذ نفسًا من الشيشة وقال في جدِّيَّة كاملة:

خلاص اطتمن أنا هجيبلك عيِّنة من وليد ابن أختي.

ثم نفث الدخان مؤكِّدًا في ثقة:

- هو الوحيد اللي أضمن إنه مابيشربش حاجة.

لينظر له كريم في تعجُّب متسائلًا:

- هي أختك عندها عيال يا رمزي؟

أجاب رمزي وهو يأخذ نفسًا آخرَ:

- أيوة يا عم.. لسه مخلِّفة الأسبوع اللي فات.

* * *

اتصل كريم بنور وقال:

- صباح الفل يا قمر.. وصلتي ولَّا لسه؟

- وصلت طبعًا من بدري.. هو أنا زيك بأصحى الضهر.

- ضهر إيه بقى؟ الكلام ده كان زمان.. أنا دلوقتي بأصحى الفجر حضرتك.

- طب والله أنا فرحانة فيك.

قالتها نور وهي تضحك على الجانب الآخر من الهاتف ليرد كريم بصوت دافئ:

- طب ماتيجي.

لا تحب نور تلك النبرة من الصوت وتلك العبارات التي تحمل في طيَّاتها تلميحات غير لائقة لذا ترد دائمًا بنفس الطريقة الحازمة:

- كريم، من فضلك بلاش تكلمني بالطريقة دي.. أنا مش واحدة شاقطها من الشارع.

- طب أقسم بالله ما أقصد حاجة.. ده أنا كان قاصدي أقولك تعالي المكتب علشان أحكيلكِ عملت إيه في موضوع هوبر إمبارح.

قالها كريم مبرِّرًا لترد هي بوقارها المعتاد:

- أوك يا كريم، بس فيه موظف جايلي دلوقتي مكتبي علشان عنده مشكله.. هخلص معاه وأجيلك.

مرَّت ساعة تقريبًا قبل أن تطرق نور باب مكتب كريم ليأذن لها بالدخول ثُمَّ يستقبلها قائلًا:

- وحشتيني أووي.

نظرت له ثُمَّ قالت مازحة:

- مافيش كلام حب في أوقات الشغل يا أستاذ.

ثُمَّ أكملت بعد أن جلست أمامه:

- يالا انجز ورايا مواعيد تانية.

- طب ماحدش قاللك قبل كده إنك أمورة أوي؟

- لا يا سيدي انت أول واحد والله.

- بس أنا ماقولتش، أنا بسأل.

ضحكت نور قائلة:

- طب ماحدش قاللك انك رخم قبل كده؟

قال كريم:

- بصراحة كتيير.

- ثم أكمل ساخرا:

- شوفتيني وأنا سواق تاكسي؟

ثمّ قال:

- إمبارح يا ستي استلمت الأبليكيشن بعد ما عملت الاختبار بعربية ماميليا، وناوي إن شاء الله أخلَّص المكتب النهارده وأنزل ألقَط رزقي وأشتغل ساعتين.

شعرتْ نور بالفرح تغمرها فقالت مشجِّعةً:

- هايل، والأجمل من كده إنك نزلت المكتب بدري النهارده.

لأوَّل مرَّة يشعر كريم بثناء من أحد منذ فترة طويلة.

فنظر لها بارتياح لتكمل هي:

- صحيح يا كيمو.. أنا جالي المكتب النهارده موظف غلبان من قسم التشغيل وقالي حاجة استغربتلها أوي.

- قالك إيه؟

- قالي إن أستاذ كريم...

ثُمَّ نظرت له في إعجاب لتكمل:

- اللي هو حضرتك يعني، عملت زيادة ٥٠٪ في مرتبات العمال وكمان عملت مبلغ عشرين ألف جنيه لكل موظف بيجوِّز واحدة من بناته.

ثُمَّ تساءلت:

- صحيح الكلام ده يا كيمو؟

ليرد هو:

- طب وإيه المشكلة في كده.. هو مش ده حقهم؟

- مفيش مشكلة ولا حاجة.. بالعكس، بس اللي أعرفه إنك كنت رافض أي زيادة في مرتبات الموظفين!!

ابتسم كريم ثُمَّ قال:

- طبعًا اللي قالك كده أستاذ شريف؟

حاولت نور أن تردَّ فأكمل:

- صدَّقيني يا نور لو شريف كان بيعمل كده حب في الموظفين كنت وافقت فورًا.. بس للأسف شريف بيعمل أي حاجة علشان يبان بطل أدام الموظفين وأنا مش بحب الطريقة دي.

نظرت له في إعجاب وهي تقول:

- تصدَّق يا واد إنك من جواك حلو أوي.

خفق قلبه من كلماتها فأكملت قبل أن يستعيد رومانسيته.

- يالا بقى أحكي لي قبلوك إزاي في هوبر؟

- أبدًا يا ستي طلبوا شوية أوراق والحمد لله خلَّصتها.

قالها ثُمَّ ضحك فسألته:

- بتضحك ليه؟

- افتكرت اللي حصل في معمل التحاليل.

ضحك مرَّةً أخرى ثُمَّ واصل:

- لقيت ياستي راجل محترم كده واقف جنب مراته وبيدفعلها ٢٠٠٠ جنيه تحاليل وهو بيطبطب عليها.

تفاعلت نور مع قصَّته فقالت مقاطعة:

- الله.. بجد.. ده راجل رومانسي أوي.. هو فيه كده!!

- ضحك كريم وهو يقول لها:

- استني استني.

ثُمَّ أكمل:

- أنا برضه حبيته في الأول زيكِ كده، رحت واخده على جنب وقلت له تصدَّق إنك راجل محترم وأنا حبيتك. راح رادد عليًا وهو بينفخ ويبص لمراته:

- المصيبة لا بعد كل المصاريف دي ما يطلعش عندها حاجة.

* * *

تناول كريم وجبة الغذاء بعد عودته من المكتب ثُمَّ قرَّر أن يجرِّب تلك القيلولة التي يسمع عنها، حاول مرارًا فلم يفلح، دامت معاناته ساعتين على الفراش فنهض ليرتدي ملابسه.

أدار محرِّك السيارة ثُمَّ قام بتشغيل الأبليكيشن لتأتيه بعدها بقليل رسالة تؤكد أن هناك زبونًا في انتظاره، ضغط زر الموافقة وتحرَّك على اللوكيشين في اتِّجاه المتَّصل.

لم تمر دقيقتان حتى دقَّ هاتفه مرَّةً أخرى ليأتيه صوت رمزي على الطرف الآخر:

- إنت فين يا معلم؟ مش جاي ولَّا إيه؟

- جاي فين؟

- إنت نسيت؟ مش النهارده الشلَّة كلها متجمَّعة ورايحين عالـ...

- محدش قالي يعني؟

- ياريس مكتوب عالجروب بس تقريبًا إنت مفتحتش الوا... من إمبارح، طب يالا انجز.

- خلاص ماشي يا رمزي هحصلكم عند البوابات.

انطلق كريم بسرعة أكبر محاولًا اللحاق بأصدقائه.

مرَّت عشر دقائق ليأتيه اتِّصال آخر فيردَّ:

- مين معايا؟

- هو إيه اللي مين معاك؟

- بقول مين معايا؟

ردَّ كريم للمرَّة الثانية بعصبية ليردَّ عليه المتَّصل بعصبية أكثر منه:

- يعني حضرتك لاطعني بقالك ربع ساعة وفي الآخر تقولي مين معايا؟!

تذكَّر كريم الأبليكيشن والمتَّصل فأوقف السيارة فجأةً ثُمَّ استدار عائدًا للرجل.

* * *

قضى كريم ما يقرب من أسبوع في عمله الجديد وهو يكاد لا يصدق ما يدور حوله كأنه في حلم سخيف ودَّ لو استيقظ منه سريعًا، هو لم يقضِ من المهلة التي حدَّدها له والد نور إلَّا تلك الأيام الثقيلة فكيف سيصبر على باقي الستة أشهر القادمة.. هو بالطبع لا يدري.

لا يدري أيضًا إلى متى سيظلّ يتحمّل ذلك الشعور الرهيب بالإهانة
لما يصعد أحدهم سيّارته وجلس في المقعد الخلفي ليراه كريم في المرآة
الأمامية يجلس منتفخًا ويقول بصيغة الأمر:

- اطلع يا أسطى.

اسطى!! يا لها من كلمة تهزّه هزًّا وتحطِّم كبرياءه، تعسًا لذلك الاتفاق
الذي كسر أنفه.

هو لا ينكر أن غالبية الركاب يعاملونه بأدب جم، أولئك الذين
يفهمون جيدًا طبيعة سائق (هوبر) ويعلمون أنه في الغالب يحمل
إحدى الشهادات الجامعية وربما يعتلي منصبًا يفوقهم بكثير، ولكن
ماذا عن أولئك الحمقى الذين يتخيلونه مجرَّد سائق تاكسي يجري وراء
قوت يومه، وسيهرع نحوهم يحمل عنهم الحقيبة ليقول في بانكسار:
اتفضل يا سعادة الباشا.

طرد تلك الأفكار من ذهنه ثُمَّ عادت الثقة تغزوه مرَّةً أخرى بعدما
ذكّر نفسه بالحقيقة ثُمَّ قال مشجِّعًا لنفسه:

(هو فيه إيه ياض يا كريم.. إنت هتعيش في الدور؟ منتا عارف إنها
مسرحيَّة هبلة وهتنتهي بعد كام يوم وهترجع تاني كريم باشا اللي عنده
ألفين موظف بيترعشوا لمّا يشوفوه).

رغم حماقة الكلمات وخلوِّها من التواضع الذي بدأ يميِّز شخصية
كريم إلا أنه كان بحاجة ماسة لها كي يستطيع المواصلة مطمئنًا الطفل
الذي بات يتذمَّر بداخله كلَّما فتح ذلك الأبليكيشن الملعون.

فتح كريم الأبليكيشن من جديد ليستقبل أوَّل رحلة له في يومه
الثامن فيذهب به اللوكيشين لإحدى الفيلل بحي الأشجار.

خرج من بابها الحديدي رجل عجوز يبدو عليه الفقر والإعياء يسنده رجل آخر بسيط مثله أسمر البشرة يتبعهما رجل ثالث في أواخر العقد السادس من عمره تبدو عليه علامات الثراء رغم ملابس ال... التي يرتديها.

فتح الرجل الأسمر باب السيارة الخلفي للرجل العجوز ليقول للرجل الثالث ذي المهابة الواضحة:

- خليك إنت يا سعادة البيه.

أخرج الرجل المهيب بعض النقود الورقيَّة من جيبه ودسَّها في ... الرجل العجوز قائلًا:

- ألف سلامة عليك يا راجل يا عجوز، ابقي طمنِّي أوَّل ما توصل

ثُمَّ أكمل:

- ده مرتب الشهر وعليهم ٢٠٠ جنيه.. أبقى حاسب السوَّاق لما توصل إن شاء الله.

عاد الرجلان لداخل الفيلا فلوَّح الرجل العجوز بيده ممتنًا ثُمَّ مال على الكرسي مسترخيًا خلف كريم مباشرة.

قال بصوت يغلب عليه الإعياء:

- والنبي يا أسطى وطي التكييف شوية عشان عضمي تعبان.

ابتلع كريم تلك الكلمة التي يكرهها شفقةً بالرجل المتهالك ثُمَّ سأله:

- فين بهتيم دي يا حاج؟

ردَّدها مرتين ليسمعه الرجل بصعوبة الذي بدا ضعيف السمع:

- بعد مسطرد يا ابني.

أجاب الرجل؛ فضحك كريم بصوت عالٍ ثُمَّ قال مازحًا:

- يا عم هو أنا عرفت الأوَّلانيَّة علشان تقولي التانية.

صمتت ضحكة كريم باب الحديث مع الرجل الطيِّب ليروي له الأخير حكايته.

- شوف يا ابني.. أنا بقالي أكتر من عشر سنين شغَّال طبَّاخ عند إبراهيم باشا.. الراجل اللي كان بيوصلني ده.

صمت لحظةً ليكمل:

- ربنا يديله كمان وكمان، راجل إنما إيه متواضع وشهم وكريم.

ردَّ كريم مازحًا ليخفِّف من الموقف التراجيدي:

- أنا كمان كريم.

فقال الرجل في جدِّيَّة دون أن يفهم دعابة كريم:

- طبعًا يا ابني مهو باين عليك كريم وابن كورما كمان، ربنا يزيدك من فضله. ثُمَّ ابتلع ريقه بصعوبة وواصل:

- المهم يا سيدي ربنا قدرني وبنيت نص بيت في بهتيم، وعايش فيه دلوقتي أنا وولادي و...

قاطعه كريم متعجِّبًا:

- نص بيت إزاي؟ طب ليه مابنتش البيت على بعضه؟

لم يفهم الرجل هذه الدعابة أيضًا، فأجابه قائلًا:

- عادي يعني.. اشتريت أنا وأخويا أرض ٢٠٠ متر.. وكل واحد بنى نص.

كالعادة يتعثَّر كريم في فهم إجابات الرجل الثانية أكثر من الأولى، فابتسم قائلًا:

- طب كمِّل يا حاج.

- عندي زينب وعيشة ورقيَّة وخديجة وسوسن.

ارتفعت ضحكة كريم هذه المرَّة ليقول مازحًا:

- أكيد (سوسن) دي خلفتها قبل الفتح الإسلامي.

للمرَّة الثالثة لم يفهم الرجل ولكنَّه ضحك مجاملةً لكريم.

توقف الحديث بينهما دقائق ليغفو الرجل قليلًا من فرط الإعياء، اتَّصل كريم بنور وقال مازحًا:

- الله يسامحك.. عاجبك كده اللي بيحصل لي ده!!

- ليه بس.. إنت فين؟

- أنا في التاكسي يا ستي.

ثُمَّ قال مصحِّحًا:

- أقصد في عربيتي شغَّال ورايح عقبال عندك كده توصيلة لحد مدينة بهتيم الكبرى.

- ياااا ده أنا أسمع إنها بعيدة أووي ربنا يعينك بجد.. طب اتغديت قبل ما تنزل؟

- لا منا مارجعتش البيت النهارده بعد المكتب.. أنا خلعت من برَّه برَّه، وخدت ساندوتش سريع من أون ذا ران.

- كريم أنا بجد مبسوطة أووي أنك واخد الموضوع بجد كده.

استيقظ الرجل العجوز لينظر حوله ويسأل:

ـ هو إحنا بقينا فين دلوقتي؟

رد كريم:

ـ اللوكيشين بيقول لسه بدري يا حاج.. كمّل إنت نومك وهصحيك لما نوصل.

ثُمّ عاد لنور قائلًا:

ـ أيوة يا حبيبتي كنا بنقول إيه؟

ـ كنا بنقول إنك تكمل شغلك وتسيبني علشان عندي مذاكرة.

ـ طب أشوفك بكره بعد الشغل.

ـ لا خليها الجمعة، وممكن تأخده أجازة من هوبر كمان ونقضيه مع بعض.

ـ الله أكبر.. أهو ده الكلام.

أغلق كريم مع نور على أمل اللقاء القريب ليسمع صوت كلاكس سيّارة بجانبه ثُمَّ يتبعه صوت أنثوي يناديه:

ـ كريييييم.

نظر جانبه ليجد رباب صديقته التي لم يراها منذ شهور، فوقف ببطء محازيًا للرصيف، تبعته هي لتقف خلفه ثُمَّ نزل كل منهما يعانق الآخر.

قالت رباب:

ـ إنت فين يا ندل؟

ثُمَّ أكملت ضاحكة:

ـ ماشفتكش من يوم ما قولتلي هاجي بكره أخطبك.

ضحك كريم وهو يحاول أن يجد سيناريو مناسب يبرر به نذالته..

فأكملت هي قبل أنْ يردَّ لتعفيه من كذبة أخرى:

- المهم طمّنّي عليك.

فتح الرجل العجوز باب السيارة ونادى على كريم قائلًا:

- ما تيالا يا أسطى.

نقلت رباب عينيها بين الرجل العجوز وبين كريم وهي تتساءل في تعجب:

- مين ده يا كريم، وإزاي بيقولك يا أسطى كده؟

كان كريم قد نسى الرجل فشعر أنه في ورطة خاصة وأنه يعلم جيدًا أن رباب ثرثارة تعشق الفضائح.

كان ذلك مبرِّره الأول للهروب من خطبتها قديمًا.. أما مبرِّره الثاني فكان صفحتها على الإنستجرام والتي يتابعها مليون مراهق أو ربما أصبحوا الآن أكثر. ينتظرون جميعهم بشغف صورة جديدة لرباب تنزلها كل نصف ساعة مرفقة بفضيحة جديدة لأحد خصومها ومتحرشيها، فهل سيصبح هو اليوم مانشيت جديد على صفحتها مرفق بصورة ستلتقطها خلسة له وهو يقود سيَّارته وخلفه الرجل العجوز ومكتوب عليها بخط كبير «الأسطى كريم».

لاااا.. لن يحدث هذا أبدًا.

صرخ كريم بداخله وهو ينوي فعل أي شيء للخروج من المأزق.

نظر إلى الرجل ثُمَّ إلى رباب وقال في بلاهة:

- مين ده؟

ثُمَّ تحرَّك ناحية الرجل وهو يقول بصوت تسمعه رباب:

إنت مين يا حاج ، ودخلت عربيتي إزاي؟

ألجمت الصدمة الرجل، فمدَّ كريم يده يخرجه من السيَّارة بهدوء وهو يقول قاطعًا عليه أي فرصة للحوار:

ـ وامسح يا حاج إنك ركبت عربيتي غلط.

ظل الرجل مذهولًا لا يجد ما يقول فعاد كريم إلى صديقته يضحك بسخرية مرتبكة ويقول:

ـ يا عيني الراجل تقريبًا افتكر عربيتي تاكسي فركبه.

ضحكت رباب ثُمَّ عادت تعاتب كريم الذي كرَّر اعتذاره مرَّةً أخرى، ووعدها بلقاء قريب فودَّعته قائلةً:

ـ عارفة إنك كداب.

ثُمَّ انطلقت بسيَّارتها ليعود كريم إلى سيَّارته فيجد الرجل جالسًا على الرصيف يسعل بشدة وقد زاد عليه الإعياء.

انتفض جسد كريم وتعالى صوت ضميره ينهره بشدة وهو يرى الرجل متكوِّرًا حول نفسه يسعل وكأنَّه يسلم الروح.

فجلس على ركبتيه أمامه يكاد يقبِّل يديه معتذرًا ثُمَّ وضع ذراعه تحت إبطه ليساعده على النهوض فيعيده إلى السيَّارة مرَّةً أخرى.

* * *

ـ قال الدكتور صبري:

ـ يا دكتورة إنتي مختارة نموذج مشوَّه للرسالة بتاعتك.

فردَّتْ ريهام ضاحكةً:

- لا والله يا دكتور، ده ابن حلال.

* * *

صعدت نور المنصَّة للمرَّة الثالثة بعد توقف عن محاضراتها دام لأسبوعين بناءَ على توجيهات عليًا من المهندس نادر نظرًا لانشغال الموظفين بتسليم مشروع كبير.

وقفتْ مبتسمةً وهي تلقي التحيَّة على الحضور ثُمَّ تقول في مرح:

- طبعًا إنتوا استريحتوا منّي الأسبوعين اللي فاتوا؟

صدرت همهمات من الحاضرين مجاملةً لها بمعنى (لا طبعًا) فأكملت وهي تتَّجه للبورد لتكتب عليه بخط واضح:

لماذا نعمل؟

ثُمَّ التفتت إليهم متسائلة:

- هو إحنا بنشتغل ليه؟

رفع بعض الحاضرين أيديهم فاستراحت كثيرًا لحماستهم ثُمَّ اختارت أحدهم مُشيرةً له أن يجاوب.

فقال:

- بنشتغل علشان نجيب فلوس.

أشارت له علامة الموافقة ثُمَّ أذنت لرجل آخر أن يتحدَّث فقال:

- علشان نحس إننا لنا قيمة.

أومأت برأسها في إعجاب قائلةً:

- هايل.

ثم أشارت لثالث فأجاب:

- علشان نعرف نتجوز ونخلّف ونفتح بيت.

ابتسمت قائلةً:

- والله الإجابات كلها معقولة.. برافو عليكم.

ثم أكملت:

- بس خلّوني ألخصهم بشكل سريع.

رفعتْ أصبعها ثُمَّ قالت:

- أوّلًا بنشتغل علشان نحس بمتعة الحصول على المال.

ثُمَّ أكملت شارحة:

- الحصول على المال في حد ذاته متعة؛ يعني فكرة إنك تقدر تجيب فلوس حتى لو هتحوّشها أو تديها لحد شيء ممتع.. حاجة كده زي ماتقعد عالبحر طول اليوم تصطاد سمك، وفي الآخر تديه لأي حد وتمشي.

تصاعدت ضحكات خفيفة تدل على الاقتناع؛ فأكملت وهي تشير بأصبعين عاليًا:

- ثانيًا.. تأكيد الشعور بالذات زي ما قال صديقنا.. يعني رغبةً في إثبات وجودنا وإحساس بإننا نقدر نعمل ده.

كادت أن تنتقل إلى النقطة الثالثة فرفع أحدهم يده مستفسرًا عن الجملة الأخيرة؛ فقالت له:

- أنا متعمِّدة أسيب شرح النقطة دي بالذات للآخر.

أنزل يده لتكمل هي:

- ثالثًا.. تحقيق الأمان المادي وده تقريبًا السبب اللي معظمنا بيشتغل علشانه.

صمتت لحظةً ثُمَّ قالت:

- بنشتغل علشان نحقق الأمان المادي لينا وللناس اللي مسئولين منا والشعور ده جزء منه رغبة وجزء منه خوف.

قال رجل من الحاضرين ذي لحية كثيفة معقِّبًا:

- ربنا قال كده في كتابه العزيز.

فابتسمت نور قائلةً:

- صح.

ثُمَّ أكملت وهي تنظر للرجل:

- فعلًا عندك حق.. حتى ربنا سبحانه وتعالى لما طلب من البشر أنهم يعبدوه وعدهم بالأمان كمقابل للطاعة.

ثُمَّ قالت:

- «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾».

ظهرت علامات الإعجاب على وجه الجميع وخاصة المهندس نادر وكريم لاستشهاد نور بالآية الكريمة؛ فهو جزء لم يكن ظاهرًا في شخصيَّتها غير إنها ليست محجَّبة ولم يراها أحد تصلِّي من قبل أو تتحدَّث في الدين.

اتَّجهت نور مرَّةً أخرى إلى البوورد، وكتبت أسفل عبارة «لماذا نعمل؟»:

«علاقة العمل بالسعادة»

ثُمَّ رسمت بجانبها عدة دوائر، ظلَّلت واحدة منها ثُمَّ قالت:

- دي مجموعة كور موجودة في حياتنا كلنا، كل الكور دي زجاجيَّة،

الزجاجي ما عدا كورة واحدة هي اللي مطاطيَّة.

ملت البلاهة من عين الحاضرين؛ فأكملت مبتسمةً:

- الكورة المطاطيَّة دي هي «العمل» يعني هي الوحيدة اللي مش ممكن تتكسر مهما وقعت مننا، أما باقي الكور اللي هي الأهل والصحة والأصدقاء والروح كلهم مصنوعين من إزاز يعني للأسف لو وقعوا هايتكسروا وصعب نصلِّحهم.

رفع كريم يده لأوَّل مرَّة في جدِّيَّه غير معهودة؛ فأشارت له نور قائلةً:

- اتفضَّل.

فقال:

- يعني الأب اللي مقضِّي حياته كلها شغل وسفر تحت مبرِّر أنه بيحقَّق الأمان لأسرته.

ثُمَّ اختلس نظرةً عن يمينه وقال:

- مع إن عنده فلوس تكفيه هو ومراته وولاده ويمكن إحفاده مدى الحياة.

ابتلع ريقه ثُمَّ قال:

- أفهم من كده أن الراجل ده بيكسر أهم كوره في حياته اللي هي الأسرة؟

هزَّت نور رأسها في تأكيد لكلامه ثُمَّ قالت:

- ده مش بيكسر كورة واحدة.. ده بيكسر كور كتير، بيكسر كورة الأسرة والصحة والروح والأصدقاء وده تقريبًا نفس الأب اللي بيسافر ويعيش طول عمره بعيد عن أسرته تحت مبرِّر أنه بيحقق لهم الأمان،

وده للأسف بيكون عقابه إنه بيرجع بعد سنين يحس بالغربة بينهم وكأنه اتنسى لما قرَّر يتحوَّل لماكينة ATM ثُمَّ أكملت ضاحكةً:

- زي الدكتور اللي خرج من أوضه العمليات علشان يقول للأب متأسف أنا اضطريت أضحي بالأم والجنين علشان نجاح العملية.

ضحك الجميع بصوت عالٍ عدا المهندس نادر الذي كان يجلس عن يمين كريم، ابتسم في سخرية ثُمَّ قرَّر دخول المعركة،

فقال ردًّا على تلميحات ابنه:

- اسمحيلي يا نور أعقَّب على النقطة دي.

فرحت نور كثيرًا لتفاعله فأسرعت تقول بحماس:

- طبعًا اتفضل يا فندم.

ليتكلم هو بعصبية لم يلمحها الكثير:

- كنت عايز أتكلم عن الأب اللي بيشتغل وبيسافر وبيضيَّع عمره رغم أن عنده فلوس كتير.

صمت قليلًا ثُمَّ تساءل:

- مش يمكن يكون هو نفسه مش حاسس بالأمان؟

نظر له كريم مستفهمًا:

- إزاي يعني؟

ليُجيبه المهندس نادر:

- يعني يكون مثلًا عنده ولاد مش حاسين بالمسئولية؛ ولاد بيصرفوا عشرات الآلاف كل شهر بدون ما يحسُّوا الفلوس دي بتيجي إزاي.

زفر في ضيق ثُمَّ أوضح:

ولاد يمكن لا قدر الله لو توفي أبوهم يضيعوا ويضيَّعوا كل
[illegible] عمله؟

خيَّم الصمت على القاعة، وبدأت كلماته تلمس شيئًا ما بداخل
[illegible] فأطرق برأسه،

قالت نور محاولةً تخفيف حدَّة المشهد الذي بدأ الحاضرون يلاحظونه
ويفهمون أبعاده.

- طبعًا موافقة حضرتك، وارد جدًّا أن أطراف تانية تدخل على
العمل وتغيَّر معادلتنا.

استأذن المهندس نادر في الانصراف متحجِّجًا بمكالمة هامة جاءته
[illegible]ج.

قالت نور مكمله:

- زي ما اتفقنا إن الأسرة والروح والأصدقاء والشغل كلها كور
مهمة في حياتنا، بس ليه كلنا بنهتم بالشغل أكتر؟

ثُمَّ أجابت قبل أن يرفع أحد يده:

- لسببين:

الأوَّلاني أن مردود الشغل سريع ومباشر، يعني لما بنشتغل بنشوف
النتيجة علطول ودي بنسمِّيها المكافأة السريعة، وطبعًا النفس البشريَّة
مفطورة على حب المكافآت، وده عكس باقي الكور اللي بتكون نتايجها
معنويَّة وغير واضحة وكمان بتاخد وقت.

ابتسم الجميع في فهم واضح، بينما ظلَّ كريم شاردًا في أفكاره فرفعت
نور صوتها لتوقظه:

- والسبب التاني يا باشمهندس كريم هو:

انتبه كريم فأكملت بنفس الحماس:

- إن الشغل مش موجود في حياتنا لكن إحنا اللي بنصنعه، أما باقي الكور اللي هي الأسرة والروح والأصدقاء وغيرها فموجودة بالفعل في حياتنا وكل اللي مطلوب مننا علشان تفضل موجودة إننا نعتني بها ونتابعها ونعمل لها صيانة دوريَّة كل فترة.. ودي حاجة بتفتر مع الوقت.

شاركهم النقاش موظف كبير كان يحضر لأوَّل مرَّة:

- مش شايفة إن موضوع محاضرتك ضد مصلحة المؤسسة؟

أومأت نور برأسها مستفهمةً؛ فوضَّح كلامه:

- أعتقد فيه شعور وصلني ووصل لكل الموجودين إن الشغل لازم يكون في آخر اهتماماتنا؛ لأنه كورة مطاطية وعادي يتكسر ونبقى نصلّحه أو منصلحوش مش فارقة.

قرَّرت نور أن يكون التعقيب من الحاضرين نفسهم فسألت:

- طب مين فهم كده؟

لم يرفع أحد يده في انتصار تمهيدي لها؛ فأكملت وهي تنظر له:

- أنا دوري كـ HR إني أوصل بالعنصر البشري لأعلى مستوى من الكفاءة في الإنتاج وده مش معناه خالص إني أرتب له الشغل في أول اهتماماته بالعكس، ده لو موظف اهتم بشغله على حساب بيته وولاده وكانت النتيجة أنه فقد علاقته بيهم هايبقى المردود عكسي تمامًا.. يعني هايبتدي مع الوقت يقصَّر في شغله نتيجة عدم استقرار بيته وحياته.

استسلم الرجل للهزيمة بالصمت فختمت نور حديثها:

ـ اممم.. وقت المحاضرة خلص.. حد عنده سؤل تاني؟

* * *

ازدحم المارة واصطفَّت السيَّارات على جانبي الطريق تتابع ذلك الشجار العنيف الذي دار بين مجموعة من الشباب.

حاول بعض الناس التدخل لفض الاشتباك دون جدوى، بينما وقف البعض الآخر يراقب في فضول ويتوقَّع ما ستؤول إليه المعركة.

سأل أحد المتابعين:

ـ هو إيه اللي حصل؟

ليهزَّ آخر رأسه بمعنى لا أعرف، في حين تطوَّع رجل ثالث للرد، كان رجلًا أربعينيًّا أصلع الرأس ممتلئ الجسم يغطي جهة شارب عريض وقال بصوت قوي:

ـ عليًّا الطلاق دي عيال هلس.

فسأله كريم الذي ركن سيَّارته هو الآخر ليتابع المعركة:

ـ هو حضرتك شوفت الخناقة من أوَّلها؟

ـ أيوة طبعًا، شوفتها من الأوَّل خالص لَمَّا كانوا لسه اتنين بس بيتخانقوا، وحاولت أحجز بينهم راحوا قاطعنلي القميص رحت شاتم اللي جابوهم ووقفت أتفرج.

ـ ليعاود كريم السؤال مرَّة أخرى:

ـ إيه ده!! هما كانوا اتنين بس؟ أومال إزاي بقوا العدد الكبير ده كله.. دول ييجوا عشرين واحد ولَّا أكتر!!

قال الرجل:

- منا لسه كنت بحكي قبل ما جنابك تقاطعني.

اعتذر كريم في أدب ليكمل الرجل:

- أنا كنت راكب التاكسي بتاعي ده.

ثُمَّ أشار لتاكسي أبيض قديم ويواصل حديثه:

- ماشي على مهلي يمكن ربنا يرزقني بزبون.

ثُمَّ أخرج من جيبه علبة سجائر، وأشعل واحدةً، وبدأ ينفث دخانها في الهواء ويقول:

- منهم لله بقى اللي نشّفوها علينا.

ثُمَّ أشار للمعركة ليكمل:

- مهو اللي بيجرالهم ده من غضب ربنا عليهم.

سأله أحد المتابعين غير فاهم:

- تقصد مين اللي نشّفوها عليكم؟

ليقول السائق في استياء:

- اصبر يا أخينا منا جايلك أهوه في الكلام.

ثم يكمل متسائلا:

- هو أنا وصلت لحد فين؟

ثُمَّ يجيب على نفسه:

- أيوا ان.. كنت ماشي بالتاكسي على مهلي لقيت فجأة عربية حمرا ماشية ورايا، كانت على آخر سرعتها راحت واخده مني غرزه وركنت أدامي.

ومعدين؟

سأل كريم الذي بدا عليه الاندماج.

فأكمل الرجل:

- وحياة أبوك أنا بفرمل بالعافية لقيت عربية تانية سودا فرملت ورايا..

ونزل كل واحد من عربيته وهاتك يا ضرب في التاني.

أخذ نفسًا من سيجارته ثُمَّ أكمل ضاحكًا:

- ههههه مش بقولكوا عيال هلس.

سأله كريم:

- طب ومعرفتش حضرتك اتخانقوا ليه؟

ليدخل رجل آخر في الحديث:

- أكيد واحد حضَن عالتاني من غير قصده؟

فهزَّ السائق رأسه نافيًا:

- أبدًا.. دي عنصرية بعيد عنكوا.

لم يصدِّق المتابعون أن يقول السائق كلمة كهذه (عنصرية).

فسأل كريم ساخرًا:

- عنصرية إزاي يعني؟

ثُمَّ يوضح:

- واحد مسيحي وواحد مسلم يعني ولَّا واحد أهلاوي وواحد زملكاوي؟

ضحك الجميع ليجيب الرجل في جدِّيَّة:

- أبدًا.. لا ده ولا ده.. البشوات واحد منهم شغَّال في شركة هوبر والتاني شغال في شركة كريم.. وواضح كده أنهم يعرفوا بعض من زمان!!

- وعرفت منين حضرتك؟

سأل كريم ليجيب الرجل:

- مهو أبو عربية سودا لما نزل راح مناول أبو عربية حمرا بونية في وشه وقاله يا بتاع هوبر يا معفن، راح أبو عربية سودا مكيله بونية في خلقته وقاله معفن مين يا سوَّاق كريم يا جربان.

ضحك الجميع ليكرِّر كريم سؤاله للمرَّة الثالثة.

- برضه ما قولتلناش إزاي بقوا العدد الكبير ده؟

تنهَّد السائق وهو يأخذ نفسًا أخيرًا من السيجارة ثُمَّ قال في تعجُّب:

- ما هو كل واحد كان بيشوف الخناقة كان بيركن عربيته وينزل يحوش فيطلع إما سواق على هوبر أو سواق على كريم.. ولما يسمع شتيمة الشركة بتاعته يروح ضارب في التاني علطول.

ليتمتم كريم بصوت لم يسمعه غيره:

- يا نهاااار دي البلد كلها عايزه تتجوِّز نور على كده.

ثُمَّ ينظر للشباب وسياراتهم الحديثة الأنيقة، ليطرح سؤالًا جديدًا:

- طب يا أسطى بالنسبة للشباب اللي واقفين على جنب ومش بيتخانقوا دول إيه نظامهم؟

- منا روحت سألتهم طلعوا البشوات شغالين على الشركتين في نفس الوقت يعني معاهم أبليكيشن هوبر وكريم.

تعالت الضحكات أكثر فسأل أحد المتابعين:

ـ طب وبعدين يا رجالة هانسيب العيال دي كده يموتوا بعضهم بس؟

رد كريم ولمعت في عينيه فكرة فنظر إلى السائق الضخم قائلًا:

ـ إنت اللي هتحلها...

* * *

كانت كاميليا تجلس بجوار كريم في الليفينج، وتستمع إليه في اندماج كامل فسألته:

ـ طب وبعدين إيه اللي حصل يا كيمو؟

اعتدل في جلسته وأمسك بالريموت كنترول ليحوِّل القناة، ويقول في ثقة:

ـ أصل أنا كنت أعرف من زمان إن سواقين التاكسي الأبيض أعداء لسواقين هوبر وكريم، فقلت يبقى الحل أني استخدم العدو القديم ضد الأعداء الجداد.

نظرت له كاميليا ببلاهة ليكمل هو:

ـ رحت واخد السوَّاق الضخم من إيده وقلتله أقف أشرب سيجارتك وإنت راكن على التاكسى بتاعك وخليك باصص على الخناقة واضحك بصوت عالي.

ـ قالت كاميليا في شغف:

ـ وبعدين؟

فأكمل كريم ضاحكًا:

الراجل عمل زي منا قلتله بالظبط.. رحت سايبه وداخل وسط

الخناقة وقعدت أزعق فيهم وأقول وأنا بشاور على سواق التاكسي كفاية بقا شمتوا فينا الأعداء.

ضحكت كاميليا فقال هو:

- أنا يدوب مكملتش الكلمة لقيت الشباب سابوا بعض وجريوا على الراجل، هو يا عيني شافهم بيجروا ناحيته راح راكب التاكسي وطار من غير ما يفهم أي حاجة.

* * *

صباح الجمعة

«يتوقف الصباح على ما حدث في الليل»

لا يعلم أحد من المحنَّك الذي قالها ولكنها بكل الأحوال جملة حقيقيَّة.

فقط ليس بمقدورك أن تفهمها إلَّا عندما تنظر في عين المهندس نادر في ذلك الصباح؛ حيث استيقظ مبتسمًا على غير عادته ليجد نيِّرة تغفو بين ذراعيه، ظلَّ لحظات يتأمَّلها وهي نائمة في استكانة وسلام -قلما يراها هكذا- حمد الله أنَّها لم تحبطه ليلة أمس بعبارتها التي يكرهها: «حبيبي بلاش لحسن قلبك يتعب أكتر».

لم تقولها بالأمس، فصمد قلبه أمام كل التحديات واستحق النهار أنْ يغدو مشرقًا ومختلفًا كما نرى.

مرَّر يده على شعرها في حنو ورقة لتتثائب هي ثُمَّ تفتح عينيها لتقول مبتسمةً:

- أحضر لك الفطار يا سي نادر؟

الطاعم نيِّرة لم تقولها ولكنَّه حلم بها، فابتسم مغترًا بفحولته التي

اظهرها البلاء، ثُمَّ قال مازحًا:

ـ مبش أحضرلك الفطار يا سي نادر؟

ـ ضحكت نيِّرة وقد تدفقت الدماء إلى وجنتيها كأنثى في العشرين

الهمست بصوت مثير:

ـ أحضرلك الفطار يا سي نادر؟

ليقفز نادر من فوق الفراش ويضرب صدره بيديه مثل طرزان ثُمَّ

يقول في مرح:

ـ ياهوووووهووووو.

ثم يكمل مداعبا:

ـ صدق اللي قالold is gold .

ـ ترجم يا حبيبي.

ـ قصدي أقول الدهن في العتاقي يا روح قلبي.

حضنته نيرة وهي تستعيد مشاعرها كلها دفقة واحدة، وكأن كلماته قد أزالت الصدأ المتراكم بينهم عبر السنين، غاصت أكثر بين ذراعيه وهي ترجوه:

ـ تعالى نرجع زي زمان، بجد أنا محتاجالك أوي يا نادر.

ضمها نادر أكثر وهو يقبلها ويقول:

ـ وأنا كمان محتاجلك يا نيرة.

ثم عدل ملابسه ليكمل في رجاء:

ـ عارفة يا نانا نفسي أفطر إيه؟

لترد هي بنفس الإثارة المرحة:

- أؤمر يا سي نادر!

فأجاب وهو يبلع ريقة:

- نفسي أفطر فول وطعمية وبتنجان مخلل!

كان اليوم برمته مبهجًا وغير اعتياديًا ليس فقط بسبب ما حدث بالليل وامتد أثره إلى الصباح، ولكن بفضل تلك المشاعر الدافئة التي بدأت تغزو المهندس نادر وتنعكس بدورها إيجابيًا على كل أفراد أسرته.

حاول أن يتساءل بداخله عن سر تلك المشاعر المفاجئة فأرجعها مرَّة إلى تأثير محاضرات نور وخاصة المحاضرة الأخيرة، وأرجعها مرة أخرى إلى خوفه من تدهور الحالة الصحيَّة لقلبة وخوفه من فقدان هذا الجو الأسري، ولكنه في النهاية قرَّر أن يستمتع بتلك المشاعر دون أن يحلِّلها أو يبحث لها عن سبب.

ارتدى جلبابه الأبيض ثُمَّ مضى في خطوات هادئة تملؤها السكينة حتى وصل إلى المسجد القريب من بيته فخلع حذاءه ودخل ليصلي ركعتي تحية المسجد.

صعد الإمام المنبر ثُمَّ حمد الله وصلَّى وسلَّم على نبيِّه الكريم -صلى الله عليه وسلم وبدأ في خطبته قائلًا:

- المولى عزَّ وجلَّ يقول في محكم آياته.. «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ صدقَ الله العظيم».

ثُمَّ أكمل:

- النهارده يا أخواني هنتكلِّم عن التأسِّي بسيدنا محمد -صلَّى الله عليه وسلَّم- بس مش بمحمَّد النبيِّ زي كل مرَّة، لأ.. إحنا عايزين نتكلِّم النهارده عن محمَّد الإنسان، عايزين ندخل بيته -صلَّى الله عليه وسلَّم- ونشوف كان بيعامل أهل بيته إزاي،

صمت لحظةً ثُمَّ قال:

- السيِّدة عائشة -رضي الله عنها وأرضاها- تقول في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد: (كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ).

ثُمَّ ضرب كفًّا على أخرى ليكمل في تعجب:

- تخيَّلوا معايا محمَّد رئيس الدولة وقائد الجيوش وحامل الرسالة وهو قاعد بيساعد مراته.

ثُمَّ صاح:

- مهي السيِّدة عائشة بتقول إنه كان في مهنة أهله يعني بيساعدها في شئون البيت، وكمان كان بيخيط ثوبه بنفسه، مش زينا بيشخط في مراته علشان زرار القميص المقطوع.

ابتسم المصلون ليكمل الإمام:

- طب حد فيكم يعرف حديث أم زرع؟

أومأت بعض الرؤوس بمعني نعم فأكمل:

- أهو في الحديث ده قعدت السيِّدة عائشة تحكي للنبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- قصص وحكايات يجي ساعتين وهو قاعد يسمعها باهتمام..

لا قالها عندي صداع ولا ورايا شغل ولا قام يكلم حد من أصحابه.

جلس المهندس نادر في الصف الأوَّل يستمع إلى الخطبة بكل حواسه وهو يتعجب من تلك الرسائل الربانيَّة التي تصله الواحدة تلو الأخرى، فبالأمس تحدَّثت نور عن نفس الموضوع ولكن من الجانب العلمي، واليوم يتحدَّث الإمام عن الموضوع ذاته من المنظور الديني، إنها ولا شك رسالة من السماء وعليه أن يعيها جيدًا.

- طب مين فيكوا يعرف ولاده في سنة كام؟

سألهم الإمام بابتسامة مرح لتعلو الضحكات على استحياء مؤكدة ما يعنيه.

نعم فالإجابة عن هذا السؤال وخاصة في هذا المكان معروفة مقدَّمًا.. بالطبع الكثير لا يعرف.

وكيف يعرفون وهم سكان كمبوند الصفوة.. كبار رجال الأعمال في مصر أولئك الذين تفرَّغ الكثير منهم لجمع الأموال وتحقيق الشهرة والمجد على حساب علاقاتهم بذويهم.

لمس السؤال جميع من حضروا؛ فمنهم من عاتب نفسه وقرَّر الإصلاح مثل المهندس نادر ومنهم من تجاهل السؤال ومضى في طريقه.

استشهد إمام المسجد بالكثير من الأمثلة، وقدَّم الكثير من النصح والتوجيه ثُمَّ أشهد الله -عزَّ وجلَّ- على ما قاله وبلَّغه، ثُمَّ رفع يده بالدعاء ليأمن وراءه المصلون ثُمَّ يقومون للصلاة.

* * *

عاد نادر إلى منزله متوضئًا بكلمات الإمام فاستقبلته كاميليا بعناق حار.

- وحشتني أوي أووي يا ندورة يا حبيبي!

فردّ عليها نادر مبتسمًا:

- جرى إيه يا مجنونة منا لسه كنت معاكي قبل ما أنزل الصلاة!

لتضحك هي وتجذبه من يده قائلةً:

- غمَّض عينيك.

فقال:

- لاااا إنتي فعلًا مجنونة النهارده.

قالت في إلحاح:

- طب غمَّض يا ندورتي عينك وهوريك حاجة بقالك سنين مشوفتهاش.

ليرضخ نادر ويغمض عينيه فتقوده كاميليا إلى حديقة المنزل ثُمَّ تتوقَّف قائلةً:

- دلوقتي تقدر تفتح عينك.

فتح عينيه، وصاح في فرحة:

- إيه ده مين اللي عمل الوليمة دي؟

أشارت كاميليا إلى نيِّرة التي جلست متلهفة لردَّة فعل زوجها تجاه ما صنعت.

كانت المائدة عبارة عن أطباق من الفول بأنواعه المختلفة: فول

بالخلطة، فول إسكندراني، فول بالزيت الحار، بالسمن البلدي، بالبيض، يتوسطهم طبق كبير ممتلئ عن آخره بأقراص الطعمية، تلك الأقراص التي تسمِّيها نيِّرة (جرين برجر) تحيطهم جميعًا أطباق مختلفة من السلطات والباذنجان المخلل.

نظر نادر لزوجته في حبٍّ ثُمَّ ألقى لها قبلةً في الهواء ليحمرَّ وجهها خجلًا ثُمَّ جلس يبتلع ريقه ويصرخ قائلًا:

- مش قادر أمسك نفسي.

ثُمَّ يكمل:

- حد يطلع ينادي الواد كريم من فوق بسرعة.

أشارت نيِّرة إلى الخادمة (سوينتي) لتصعد إلى الطابق العلوي وتبلِّغ كريم، ولكن يبدو أن رائحة الطعام قد سبقتها إليه فأيقظته.

نزل درجات السلم ثُمَّ دخل الحديقة وقال مازحًا:

- إنتو فتحتوا فرع للشبراوي هنا ولَّا إيه يا جماعة؟

ليضحك الجميع ببهجة غير معهودة.

نصف ساعة كانت كفيلة بأن تعود الأطباق لامعة فارغة، أشارت بعدها نيِّرة إلى سوينتي لتأتيهم بصينية كبيرة، كان عليها برَّاد شاي نحاسي وحوله عدة أكواب زجاجيَّة فهتف نادر:

- الله أكبر.

ثُمَّ قالت كاميليا وكأنَّها تعلِّق على ماتش كورة:

- ودلوقتي هننقل لكم بث حي من قهوة الفيشاوي بالحسين.

ضحك الجميع ثُمَّ صاح كريم قائلًا:

- وعندك واحد شيشة تفاح هنا للمعلم نادر وصلحووو.

تعالت الأصوات أكثر بالضحك ثُمَّ هدأت بعدها بدقائق وساد الصمت، فتح المهندس نادر اللاب توب ليتابع مجريات الأمور كعادته، فصرخ فيه إمام المسجد قائلًا:

- لا قال لها عندي صداع.. ولا ورايا شغل.. ولا قام يكلم حد من أصحابه.

ثُمَّ أشارت له نور بأصبعها علامة الرفض؛ فابتسم وكأنه يراهم الفعل ثُمَّ قال بصوت لا يسمعه غيره:

- حااضر.. حاااضر.. هقفله أهووو.

ثُمَّ أغلقه ونظر لنيّرة التي كانت تتابعه وتنتظر ما سيفعله، ابتسم لها ثُمَّ أخذ يتجوَّل ببصره بين أفراد أسرته ويتأمَّلهم بحب.

تنحنح ثُمَّ قال:

- هاااا ايه الأخبار؟

ثُمَّ أكمل موجِّهًا الحديث إلى كريم الذي بدا عليه الانتفاخ من كثرة الأكل:

- عامل إيه يا ريس مع المزة الجديدة؟

ليضحك كريم وكاميليا بينما تبتسم نيِّرة في استياء؛ فهي لا تحب تلك الكلمة (مزة) وتصفها كمعظم كلمات نادر بالسوقيَّة.

أخذت نفسًا عميقًا ثُمَّ فكَّرت سريعًا، وقرَّرت أن تخفِّف من حدَّتها اليوم تماشيًا مع جو البيت المبهج فرفعت صوتها تشاركهم في الضحك.

قال كريم لوالده في ارتياح وهو يعلم أن علاقتهما قد تحسَّنت كثيرًا في

الفترة الأخيرة بفضل التزام كريم في العمل بالإضافة إلى عمله المسائي الجديد:

- بصراحة يا بابا نور فرقت كتير في حياتي.

ليرد نادر مؤيِّدًا:

- عندك حق يا كيمو.. كمان فرقت كتير في الشركة.

فقالت كاميليا مازحة:

- وكفاية إنها خلت كريم سواق تاكسي قد الدنيا.

لم يعد كريم يخجل من تلك الكلمة، لكنها دائمًا ترن في أذن نيِّرة وتذكِّرها بذلك اليوم، يوم انتصر عليها الدكتور أبو المكارم وكسر أنفها ليجبر ابنها الوحيد على الإذعان لقراره.

كادت أن تتذمَّر من الكلمة ولكنَّها تراجعت هذه المرَّة أيضًا فضحكت مسايرةً للجميع.

قالت كاميليا:

- صحيح يا بابا ليه مأخدتش كريم معاك الصلاة زي الجمعة اللي فاتت؟

- وانا مجنون أعملها تاني!

خبأ كريم رأسه ضاحكا بينما تساءلت كامليا:

- ليه عمل ايه يابابا احكيلي؟

- أبدا خلا المصلين كلهم يقعوا من الضحك.

- ازاي؟

سألت كامليا وهي تنظر لكريم فقال والدها:

الإمام بيقول ساووا صفوفكم حتى لايدخل الشيطان بينكم، يقوم [illegible] قايل يعني الشيطان ربنا هداه وجاي يصلي نقوم احنا نطفشه!!

* * *

قالت ريهام:

- سنة ١٩١٥ كتب سيجموند فرويد في مقدمة كتابه (مدخل إلى التحليل النفسي)

ثمّ نظرت إلى أوراقها لتكمل:

- الحب هو مركز الحياة ومصدر السعادة الأوَّل لدى عموم البشر، والغريزة الإنسانية بمفهومها الأعمق هي أعظم مظاهر ذلك الحب [illegible] أنها تكسبنا تلك الحالة من الشعور باللذة والتي تقودنا بدورها إلى السعادة.

رفعت رأسها ناظرَة إلى لجنة الممتحنين لتكمل:

- يعني فرويد كان شايف إن الغريزه الجنسيه هي مصدر أي سعادة في حياة الإنسان والمحرك الأوَّل لكل نوازعه.

ثُمَّ صمتت لتقول:

- وده بالتحديد اللي...

قاطعها الدكتور عبد العظيم قائلًا:

- بقى يا دكتورة معظم علماء النفس دلوقتي مختلفين مع فرويد وإنتي جاية تستشهدي بنظرياته.

ردَّتْ قائلةً:

- طبعًا يا دكتور أنا عارفة إن حضرتك مختلف مع مدرسة التحليل النفسي لفرويد، وفاهمة كويس إنها بتتعارض مع منظورك الديني والقيمي بس محدش يقدر ينكر إنها أصل التحول في العلاج النفسي الحديث.. وبالتالي طبيعي إني أستشهد بأجزاء منها على الأقل.

نظر الدكتور مهدي إلى دكتور صبري ثُمَّ قال مازحًا في محاولة لفض الاشتباك:

- طب خليها تكمل يا دكتور لما نشوف آخرتها معاها.

ثُمَّ أشار لها قائلًا:

- اتفضلي قولي لنا ناوية تستشهدي بأي جزء في النظرية؟

فقالت:

- الاختلال الروحي.

ألقت ريهام بالكلمة وهي تعلم وقعها على دكتور صبري الذي عقد حاجبيه في استياء فأكملت:

- فرويد بيقول إن أي اختلال روحي بيحصل للإنسان بيكون سببه اضطراب في الغريزة الجنسيه وده بالتحديد اللي حصل لكريم.

ثُمَّ نظرت إلى أوراقها وقالت:

- كريم لحد دلوقتي يعتبر قضى نص المدة.. يعني حوالي ٣ شهور تقريبًا، قدر فيهم يقاوم نفسه بشكل مذهل وكل ده بسبب الطاقة التحفيزيَّة الأولى في الحياة.. اللي هي الحب.

أخذت نفسًا عميقًا ثُمَّ أكملت:

- عمل بلوك لسُها وكل البنات اللي كان يعرفهم ورفض دخول أي

... ه جديدة واكتفى بنور، لكن للأسف مش هيقدر يصمد وهيصاب
... الة الخلل الروحي اللي اتكلم عليها فرويد.

❊ ❊ ❊



الفصل الرابع

مرحلة دخول الغريزة



قال لها كريم وهو يمازحها:

ـ مش عارف ليه الواحد مبقاش حاسس بأي إحساس من الأحاسيس

اللي كان بيحس بيها أيام ماكان بيحس.

ضحكت نور قائلة:

ـ مافهمتش ولا كلمة.

قال:

ـ بصراحة ولا أنا.

ثم أكمل:

عايز أقول يعني مفيش أي مكافأة للراجل اللي قضى نص المدة

حسن سير وسلوك؟

ابتسمت نور على الجانب الآخر من الهاتف لتقول مازحة هي الأخرى:

ـ عايز تخرج من السجن ولَّا إيه؟

ـ لاااااا بالعكس أنا عايز أتعمَّق جوَّا السجن أكتر.

ـ أفهم من كده إنك شايفني سجن بجد!!

ـ أجمل وأحلى سجن في الدنيا بس علشان خاطري خلينا نقرَّب

من بعض أكتر.

- نقرّب من بعض أكتر إزاي.. ده إحنا طول اليوم مع بعض في الشغل وطول الليل مع بعض في التليفون!!.. حتى يوم الأجازة بنقضيه مع بعض!! عايز إيه تاني يا طماع.

- أيوة بس زي الإخوات.

كانت نور تعرف ما يلمح له فقالت في محاوله مرحه للهروب:

- ياواد اجري نام بقى الساعة داخلة على ٣.

ليرد بصوت دافئ:

- طب برضه مفيش مكافأة؟

- عايز إيه يعني؟

- عايز بوسة عالسريع.

- اتلم.

- هفضل ملموم كده لحد امتى؟ ده أنا طلعلي جناحات.

- جناحات ملايكة والا جناحات شياطين؟

- إنتي شايفة إيه؟

- بصراحة دلوقتي شايفاها جناحات شياطين.

- طب وافقي أبقى شيطان انهارده بس وأوعدك هرجع ملاك تاني الصبح.

- ولا انهارده ولا بكره ويالا اجري اتخمد بقى.

قالتها نور ففلتت منها ضحكة أنثوية سمعها كريم ليزداد اشتعاله ويقرر الاقتحام:

ـ ايه رأيك آجي أتعشى معاكي بكره.. مش احنا أجازة برضه ولا ايه؟

ـ مصدق كنت لسه هطلب منك كده ،انا فعلًا مليش نفس أخرج من البيت بكره.

لم يصدق كريم نفسه عندما وافقت نور على استقباله في بيتها، هو بلا شك زارها مرات عديدة ولكن كان ذلك في وجود والدها، ولكنه يعلم أن والدها قد سافر بالأمس لحضور مؤتمر طبي خارج مصر! فهل وافقت على استقابله لتكافئه؟! ياله من تصور أدهشه، كان يعلم في قرارة نفسه أن نور ورغم تحفظها الشديد إلا أنها في النهاية مجرد أنثى قد يغلب عليها أحيانا الضعف البشري والاحتياج.

لذا فقد بات ينتظر هذه اللحظة.. لحظة الانهيار.

❋ ❋ ❋

دق جرس الباب لتفتح نور فيقابلها كريم بورود الصباح المشرقة قائلًا:

ـ صباح الفل يا قمري.

ثُمَّ يكمل وهو يبحث بعينية عن الخادمه ويدعو الله أن تكون في أجازه.

ـ وكمان بتفتحيلي الباب بنفسك!!

ابتسمت نور دون أن تفطن لما يلمح له ثُمَّ قالت وهي تنظر للورود:

ـ الله يا كريم.. تحفة.. بموت في الورد الأبيض.. متشكرة أووي.

ابتسم كريم وهو يقدم لها خده الأيمن لتقبله فدفعته قائلة بسرعة

- يا ابني اتلم بدل ما ألطشك بالقلم.

ثُمَّ سبقته إلى الريسيبشن ليقول هو:

- وأنا موافق تلطشيني بالقلم.

قالها كريم وهو يتبعها وعيناه تتفرسها برغبة للمرة الثانية.

كانت المرة الأولى في مكتبه عندما تقدمت نور للعمل ومن يومها وللآن لم يسمح لنفسه بتلك النظرة الحيوانية مرَّة أخرى، ربما بسبب قوة شخصيتها وجديتها في العمل تلك التي أجبرته على احترامها؟أو ربما بسبب مشاعره نحوها والتي احتلت مكان الرغبة بداخله.

ولكنه اليوم ينهار بفعل الاحتياج الغريزي الذي بات يغلب حتى على مشاعره..هكذا هو الرجل دائمًا لا يكتفي بمشاعر الحب العذرية.

جلست نور ووضعت اللاب توب على فخذها وفتحته ثُمَّ طلبت من كريم أن يجلس بجوارها:

- تعالى أوريك لقطه تحفة على اليوتيوب.

يعلم كريم أن نور تعشق برامج اليوتيوب ولكن ما يشغله الآن هو أنها طلبت أن يجلس بجوارها وهو أمر بلا شك مطمئن للغاية.

جلس بجانبها وهو يواصل بعينيه رحلة البحث عن الخادمة ثُمَّ سال في مكر:

- أومال فين حنان؟ مش هاتيجي تعمل لنا حاجة نشربها؟

أجابت نور في عدم اكتراث وهي تعبث باللاب توب.

- سيبك منها تلاقيها مريحة في أوضتها.. اتفرج بس وهبقى أقوم أعمل لك اللي إنت عايزة.

ان كريم لإجابتها فنظر إلى اللاب توب مفتعلًا الاهتمام ثُمَّ ما
وضع يده على يدها.
له في جدية ثُمَّ سحبتها وهي تقول محذِّرةً:
بعدين! والله هلطشك بالقلم.
ب كريم منها أكثر حتى التصق كتفه بكتفها ثُمَّ قال وهو ينظر
ها:
تقدين إيه.. هو أنا موحشتكيش؟
عدت نور وقد ارتفع صوتها:
كريم أنا قلت لك مية مرة مش بحب الطريقة دي.
- هو أنا بعمل إيه يعني؟ مهو أي اتنين مخطوبين بيبقى بينهم الحاجات

- بس أنا عمري ماهعمل كده يا كريم.
استفزَّته كلماتها فقال بعصبية:
- هو أنا بقولك نعمل حاجة غلط!! ده أنا بمسك إيدك!!
لترد هي بمرح:
- كل المكر اللي في عينيك ده ومش عايز نعمل حاجة غلط!!
ثُمَّ تغلق اللاب توب وتقول:
- وأدي اللاب توب.. اتفضل بقى أرجع مكانك.
لم يستجب لها فتركته ونهضت قائلةً:
- أقسم بالله شكلك شارب حاجة النهارده.
تحركت نحو المطبخ وهي تسأله:

- تشرب إيه يا مجنون.

لم يجب بل نهض محاولًا أن يقبّلها بالقوة.

لتنظر هي في عينيه بتحدٍ ثُمَّ تتركه يفعل دون أن تتحرك أو تتفاعل معه

لاحظ كريم جمودها فتركها متسائلًا:

- مالك؟

فتساءلت بجدِّيَّة جعلته يتسمَّر في مكانه:

- خلَّصت؟

- خلَّصت إيه؟ هو إنتي بتعامليني ليه كده؟ مش فاهم!! قلتلك بحبك وعايز اتجوزك.. قولتيلي اشتغل واديني اتنيلت اشتغلت.. قولتيلي متعرفش بنات تاني قلتلك ماشي وبطلت كل حاجة حتى الشرب بطّلته.. أعملّك إيه تاني؟ أنا عمري ما واحدة عاملتني كده.

- أيواان.. عمرك ما واحدة عاملتك كده.. وهي دي مشكلتك.. إنك دايمًا شايفني مجرد واحدة زي اللي عرفتهم.

- والله العظيم أبدًا.. أنا بحبك بجد.

- طب ليه بتعمل كده النهارده بالذات؟!

سألته ثُمَّ أجابت بنفسها:

- علشان لوحدنا؟

ليُسرع هو في الردِّ:

- لا مش حقيقي.

- لا دي الحقيقة.. إنت تخيلت إني علشان وافقت تجيلي وأنا لوحدي

مش هاص فورت أبقى زي سها.

حاول كريم أن يقاطعها فأكملت بسرعة قبل أن يرد:

- لا يا كريم.. لا المكان ولا الناس هما اللي بيقرّروا نعمل إيه.. إحنا بنقيم غلط.

- يعني أنا بحبك وليا احتياجات زي أي شاب.

قاطعته نور ضاحكةً في سخرية:

- لا استنى خليني أكمل أنا الأسطوانة دي أصلي قريتها في كتاب (الفالوجي سي السيد) اللي جبتهولي.. (لو الحاجات دي ما أخدتهاش منك هاخدها من غيرك).. هاااا إيه رأيك فيا.. مذاكرة كويس؟

نظر لها كريم في تحدٍ، وقال وهو يلتقط موبايله، ويهم بالخروج:

- هو ده فعلًا اللي هيحصل.

لم ترد نور بكلمة وأصابها الوجوم فخرج كريم وأغلق الباب خلفه.

* * *

قرأت ريهام من الورق:

- اسبينوزا بيقول: (الرغبة هي التي تشكل ماهية الإنسان) ثُمَّ رفعت راسها لتكمل:

- وهنا كريم كان واقع تحت تأثير الرغبة اللي جردته من آدميته وأفقدته السيطرة على أفكاره وتصرفاته وخلته يقرر الانتقام من نور بأي طريقة حتى ولو بالخيانة، خرج من عندها وقعد يطلب أرقام بنات قديمة كان عامل لهم بلوك، منهم اللي مردتش، ومنهم اللي كانت مشغولة، ومنهم

اللي خدتها الكرامة وقفلت في وشه السكة من باب رد القلم.

وفي النهاية اضطر يلجأ للوحيدة اللي عمرها ما رفضته.

❊ ❊ ❊

اتَّصل كريم بسُها فردَّتْ عليه ببرود:

- أهلًا أهلًا بالهراااب.

- إنتي فين؟

- موجودة يا حبيبي يعني هروح فين؟.

- طب عايز أجي لك دلوقتي.

أدركت سها بخبرتها ومعرفتها القوية بكريم أنه إما تحت تأثير رغبة شديدة وإما تحت تأثير صدمة شديدة، وفي الحالتين سيكون بحاجة إلى لاصقة جروح مؤقتة فقرَّرت أن تأخد التمن مقدمًا وقبل أي شيء..

أسرعت في القول:

- طبعًا يا حبيبي تشرف ده بيتك ومطرحك.

- طب أنا جايلك في السكة.

- يوووه استنى كنت هتنسِّيني ده أنا عندي معاد دلوقتي مع صاحب معرض العربيات اللي على أول الشارع علشان أدفع له مقدم العربية الجديدة.

قالتها بخبث لم يعتاده منها كريم ثُمَّ أكملت بنفس اللهجة:

- بس لو مش عايزني أنزل عدي إنت على الأجنص وادفع له أي مبلغ تحت الحساب حتى ولو ٥٠ ألف.

صمت كريم لحظات فسألته سها:

- ها يا حبيبي هتروح تدفع ولَّا أنزل؟

كان المبلغ كبيرًا من وجهة نظر كريم ولكن الطريقة التي طلبته بها جعلته أكبر من أن يدفعه، فهذا المبلغ أصبح الآن يساوي كرامته.

أغلق الهاتف في وجهها ثُمَّ انطلق بسيَّارته لا يدري إلى أي وجهة يسير.

لم يتصل برمزي صديق عمره المتاح دائمًا، ولم يتَّصل بأي صديق العمر، هو لم يكن بحاجة إلى أحد يعرفه فيسأله ذلك السؤال الذي يستفزُّه دائمًا ولا يجد له إجابة (مالك؟) هو دائمًا يعاني حتى في أقصى لحظات استمتاعه يعاني ولكنه لا يشكو ولا يقص على أحد وجيعته.. وكيف له أن يشكو وينتظر من الناس أن تصدقه وهو الذي يمتلك كل شيء ولا يأتيه ما يأتى الناس من كرب ظاهري.. كل أحزانه بداخله، كل أحزانه غير منطقية وغير مبررة من وجهة نظر الجميع.

فهل من المنطق مثلًا أن يصدقه أحدهم لو شكى أمامه من الحزن الذي أصابه بعدما قضى ليلة دافئة مع فتاة ساحرة كان يطاردها منذ شهور؟

وهل يصدقه أحدهم لو شكى له من كآبة انتابته بعدما عاد من رحلة لجزر الكاريبي؟

لم يكن أمامه إلا أن يفتح أبليكيشن هوبر ليغرق في ذلك العالم المتجدد دائمًا والذي لا يعرفه فيه أحد.

فتحه مستسلمًا فجاءته بعد دقائق رنة تشير إلى وجود زبون بانتظاره.

ضغط سريعًا زر الموافقة ثُمَّ تحرَّك نحو المكان المطلوب حتى وصل...

يا لها من مفارقة لا تحدث إلا مرات قليلة في العمر.. هل تكون تلك الفتاة المثيرة التي تتوسط الشارع هي صاحبة الاتِّصال!! ليتها

تكون.. فهو بحاجه ماسه الآن إلى هذا النوع من الزبائن بعدما
كل الزبائن القدامى.

اشارت له مبتسمه فوقف على الفور لتصعد هي وتجلس في الم
الخلفي وفي مكان يجعله يراها بأكملها من خلال مرآته العاكسة.

أبتسمت له مرَّةً أخرى وهي ترى عيناه تتفرسها في المرآة ثُمّ قال
بصوت مثير:

- إيه مش ناوى تمشي؟

استعاد كريم هدوءه فقال:

- حاضر حاضر..

ثُمَّ أكمل وهو يتحرك بالسيارة:

- حضرتك رايحة المهندسين مش كده؟

فأجابت بنفس اللهجة المثيرة:

- لو عندك حتة أحلى من المهندسين معنديش مانع.

نعم هي المفارقة التي تحدث في العمر مرة واحدة.

وقف كريم فجأة بالسيارة بعد أن أستعاد حماسته للحياة فانتفضت
الفتاة واضعة يدها على ظهر الكرسي حتى لا تصطدم به ثُمَّ صاحت قائلة:

- فيه ايه يا عم كنت هتخليني أقطع الخلف.

- بعد الشر عليكي يا قمر.. ما إنتي اللي قاعدة في الكرسى الوراني..
تعالي هنا جنبي أريح.

ضحكت الفتاة بعدما أدركت أنها لم تراهن على سائق مبتدئ، ثُم
فتحت الباب وأنتقلت لتجلس بجواره.

- [illegible].. وحي فين؟

- مالك لو عندك مكان حلو نروحه.

- [illegible] ولو معنديش؟

- أهلك أنا.

قالها الفتاة بضحكة عالية فرد كريم بلهجة تليق بها:

- أموت إنا.

* * *

صعد كريم السلالم برفقة الفتاة، وكما لم يسألها عن اسمها لم يسألها أيضًا عن اسم الحي الذي استضافهما، نعم فليس للأسماء قيمة في مواقف كهذه.

انتهى به المطاف في الطابق الخامس حيث طرقت الفتاة على باب الشقة الخشبي ليفتح لها رجل ضخم الجثة يرتدي فانلة حمالات بيضاء:

- اتفضلوا.

قالها الرجل ثُمَّ سبقهم للداخل دون أن يسأل الفتاة عمن برفقتها.

ارتعد كريم من هيئته وكاد أن يتراجع فأوقفته الفتاة قائلة:

- استنى بس رايح فين، تعالى متخافش ده ما بيعضش.

- انتي مقولتيش إن معاكي حد في الشقة؟

قالها كريم بصوت منخفض فجذبته الفتاة للداخل قائلة:

- هو دقيقتين وهينزل، تعالى بس متخافش.

جلس كريم ينظر حوله في ارتباك شديد، فخرج الرجل بعد دقائق

مرتديًا جلبابًا رماديا ثُمَّ قال وهو يلف كوفية من الصوف.. [illegible]

- منور يا باشا.

ثُمَّ أكمل:

- مش تعرفينا عالباشا يا منال.

جلست الفتاة بجانب كريم ووضعت يدها على كتفه وهي [illegible] للرجل الضخم قائلة بمياعة:

- خطيبي!

ضحك الرجل قائلًا:

- تشرفنا يا خطيبها.

ثُمَّ نظر لها وقال:

- طب أنا نازل عندي مشوار كام ساعة كده وراجع تاني.. مش عايزين حاجة أجيبهالكوا وأنا جاي؟

- أه يا خويا هاتلنا أي حاجة نتعشى بيها لحسن ده أنا على لحم بطني من الصبح.

ثُمَّ نظرت لكريم قائلة:

- والنبى يا اسمك أيه.

ثُمَّ أكملت ضاحكة:

- هو انت اسمك ايه صحيح؟

فأجاب كريم مرتبكًا:

- اسمي محمود.

ثُمَّ أكمل:

محمود عبد العزيز.

ضحكة الفتاة أكثر وهي تقول في سخرية كاملة:

اوعى تكون محمود عبد العزيز بتاع السيما.

ثم اكملت:

ـ والنبي يا سي محمود ادي لأخويا ٥٠٠ جنيه يجيب لنا عشا

:

أخرج كريم من جيبه النقود بنفس ارتباكه ثُمَّ أعطاهم للرجل فمدت

يدها تلتقطهم، ليصيح الرجل قائلًا:

ـ ايه يا بت ما تجيبي الفلوس.

أخذت منهم ورقة بمائتي جنيه ثُمَّ قالت وهي تعطيه ماتبقى:

ـ كفاية عليك دول، يالا هوينا بقى علشان ورانا شغل.

ثُمَّ ضحكت وهي تجذب كريم من يده للداخل.

* * *

قالت نور وهي تهاتف كاميليا:

ـ ازيك يا كاميليا، عاملة إيه؟

ـ أهلًا أهلًا بمرات أخويا.

ـ خلاص خليتيني مرات أخوكي، هو احنا لسه اتخطبنا من أصله؟

ـ خلاص هانت يا نور كلها ٣ شهور وينجح في الامتحان ويتجوزك.

ـ و الله يا كاميليا مش باين.

ـ ليه حصل بينكم حاجة؟

- أيوة، انهارده جالي البيت واتخانقنا مع بعض ومشي زعلان ومن ساعتها موبايله مقفول.

رغم اعتياد كاميليا على اختفاء كريم الدائم إلا إنها شعرت بخوف لا تدري مصدره، فسألتها بقلق حقيقي:

- هو مشي من عندك الساعه كام؟

- تقريبًا العصر.

- يا خبر! ده الساعه داخلة على ١٢ ولسه قافل موبايله، أنا حاسة إنه حصل له حاجه.

- بعد الشر ماتقلقيش، أنا بس قلت أطلبك يمكن يكون رجع عندك البيت.

حاولت كاميليا أن تتغلب على خوفها فقالت:

- طب ممكن تحكيلي ايه اللي حصل بينكم؟

رفضت نور في البداية أن تقص عليها ماحدث ولكنها أمام إصرار كاميليا وخوفها اضطرت أن تسرد الروايه بأكملها.

لترد كاميليا بعد أن سمعتها للنهاية:

- صدقيني ده مش كريم.

قالت نور في تعجب:

- أومال مين؟

- كريم عمره ما كان الشخصية دي.. بس الله يسامحه اللي كان السبب.

- أنا فاهمة تقصدي مين، أصل كريم كان حكالي إن باباه منعه من

..ل كلية فنون جميلة وصمم يبعته ألمانيا يدرس هندسة.

- مش بس كده.. ده منعه كمان يخطب البنت اللي كان بيحبها.

صمتت نور على الجانب الآخر من الهاتف لتكمل كاميليا:

- بعد ما بابا أجبره يسافر يدرس هندسة، سافر فعلًا بس رجع من ..اك واحد تاني خالص. قعد مقاطع كل أصحابه شهور، حتى عبير اللي كان بيحبها بطل يكلمها، لحد ما في يوم جت له البيت وقالت له إنه لازم يخطبها علشان باباها مصمم يجوزها واحد تاني.

راح لبابا وقال له عايز أخطب عبير وبابا طبعًا رفض علشان كان عايزه يتفرغ للشركة.

- يا نهار! وكريم استسلم وساب البنت؟

- يا بنتى بقولك كريم وقتها كان إنسان مختلف تمامًا.. كان مؤدب وخجول ومطيع بشكل غريب.

- خجول!!

قالتها نور متعجبة، لترد كاميليا في أسى:

- أيوة خجول.. طب والله كريم عمره ماكلم بنت غير عبير لحد الجامعة.

- غريبة أووي! طب ايه اللي خلاه يتحول كده؟

- مش عارفة، بس حاسة إنه بيعاقب نفسه علشان استسلم لقرارات بابا وضحى بحلمه في الكلية والحب.

- عندك حق.

قالتها نور ثُمَّ تذكرت اختفاء كريم فتساءلت بقلق:

- طب وبعدين هنتطمن عليه إزاي دلوقتي؟

- لترد كاميليا:

- واللـه منا عارفة بس هحاول اتصل بكل أصحابه يمكن حد منهم يكون عارف مكانه.

* * *

استيقظ كريم على صداع رهيب ثُمَّ نظر حوله متسائلًا:

- هو أنا فين؟

لم يجبه أحد فنهض من الفراش يترنَّح وهو يسد أنفه من رائحة الغرفة الكريهة. فتح الباب وبدأ يتذكر ما حدث.

- أيووة أنا جيت هنا امبارح مع البنت اللي اسمها إيه دي..

ليجدها ممدة على الإنتريه في الصالة تشاهد التليفزيون، فنادى عليها قائلًا:

- إنتي يااااا...

لتجيب هي:

- منال يا سيد الناس.. نسيت واللا ايه!!

ثُمَّ ضغطت على الريموت وأخذت تتنقل بين القنوات دون أي اكتراث.

ليسألها:

- هو انا بقالي كام ساعة نايم؟

- كتيييير.. تلاقيك يا حبة عينى كنت تعبان وما صدقت لقيت سرير.

... يم إلى ملابسه ليتأكد أنه بالفعل نام متعبًا دون أن يحدث ... ها، فسألها:

ـ طب وهي الساعة كام دلوقتي؟

ـ ملامس الضهر هيأذن أهووو.

ـ الضهر!

... كريم في تعجب ثُمَّ سألها مرة أخرى:

ـ هو احنا شربنا حاجة بالليل؟

... د هي:

ـ ضربنا سيجارتين من بتوع أخويا.

ثُمَّ نهضت وكأنها تذكرت شيئًا ما لتقول في عجلة:

ـ ياللا بسرعة البس هدومك لحسن زمانه راجع تاني.

دخل كريم إلى الغرفة مرة أخرى محاولًا استعادة وعيه ليرتدي ملابسه ويجمع أشياءه، ثُمَّ يفتح هاتفه الذي أغلقه بالأمس هربًا من أي اتصال.

أخذ مفاتيح سيارته ونزل دون أن يودعها بكلمة، فأغلقت الباب خلفه وكأن شيئًا لم يحدث.

نزل كريم إلى الشارع الذي تغيرت ملامحه بالكامل بين ليلة وضحاها فأصبح ممتلئًا على آخره بالمارة والتكاتك حتى إنه لم يستطع أن يتذكر مكان سيارته، مرت عشر دقائق أو يزيد وهو يبحث عنها دون جدوى حتى بدأ القلق يتسلل إليه.

فإذا بطفل صغير يشده من ملابسه قائلًا:

ـ خد يا عمو محمود الورقة دي صاحبك سايبهالك.

التقط كريم الورقة من الطفل الذي ركض مسرعًا من حيث أتى، ثُمَّ فتحها ليجد مالم يخطر له ببال:

(اتصل بيا على الرقم ده وأنا أقولك عربيتك فين)

لم يتصل كريم بالرقم كما طلب منه من أرسلها، ولكنه صعد مرَّةً أخرى إلى الفتاة. أخذ يطرق الباب بقوة فلم يجبه أحد.

جلس لحظات على درجات السلم يلتقط أنفاسه ثُمَّ عاد ليطرق الباب مرة أخرى حتى كاد أن يكسره.

خرجت له من الباب المقابل سيدة ممتلئة القوام ترتدي قميص نوم فاضح، وصرخت فيه قائلة:

- هو فيه ايه يا سي الأستاذ؟ مالك بترزع عالباب كده ليه؟!

فزع كريم من صوتها الذي زلزل جنبات البيت ثُمَّ رد في ارتباك:

- أنا آسف بس كنت عايز الآنسة اللي اسمها.. اسمها..

صمت لحظة يتذكر ثُمَّ قال:

- أيوة الآنسة منال.

ضحكت المرأة مرددة كلمته في سخرية:

- آنسة!!

ثُمَّ قالت في نفس السخرية:

- لا يا ضنايا احنا معندناش هنا في البيت آنسات.. احنا كلنا مدامات.

ثُمَّ أطلقت ضحكة رقيعة لتواصل قائلة:

- لو تلزمك واحدة، اتفضل ادخل معايا..

ثُمَّ أكملت بالفصحى:

- ستجدون ما يسركم.

أدرك كريم أنه وقع ضحية مؤامرة محكمة وأنه لا جدوى من البحث بتلك المنال، فقرر مستسلمًا الاتّصال بالرقم المكتوب.

- ألووو.. أيوة يا فندم أنا صاحب العربية اللي حضرتك...

قاطعه الرجل على الجانب الآخر من الهاتف:

- أيوة وانا اللي استلفت عربيتك يا أستاذ محمود، سامحني والله، كان عندي مشوار ضروري، بس بإذن الله ساعة زمن وهتكون عندك.

- طب أنا مستني حضرتك في نفس المكان.

ضحك الرجل من رد كريم الساذج ثُمَّ قال:

- لاا بلاش عندك، أصل الدنيا زحمة أوي في عزبة الهجانة زي ما أنت شايف، تعالى نتقابل في المهندسين أحسن.. الدنيا هناك رايقة أكتر.

- فين في المهندسين؟

- شوف يا مدير أنت هاتجيب معاك شنطة مقفولة فيها ٢٥ ألف جنيه وتقابلني قدام مؤمن في ميدان لبنان الساعة ٤.

ثُمَّ أكمل:

- بس اوعى تتصل بالشرطة لأزعل.. وأروح أبيعهالك حتت في الحرفيين.

كان كريم يتوقَّع طلب الرجل مسبقًا ولكنه كان يجيبه بنصف عقل، ثُمَّ ما لبث أن استعاد عقله مرغمًا ليرد على الرجل بالموافقة.

كان كريم قد سمع مرات عديدة عن سرقة السيارات تلك التي أصبحت ظاهرة في الفترات الأخيرة ويعلم جيدًا ما ستؤول إليه الأمور

إذا اتصل بالشرطة، غير أنه لم يكن ليفعل ويفضح أمر علاقته بالـ[illegible]
المشبوهة، لذا فقد استجاب لتهديد الرجل..

اتصل بصديقه رمزي الذي أتاه على الفور بسيارته ثُمَّ صحبه [illegible]
إلى ماكينة الصرافة.

سحب منها كريم المبلغ المطلوب ثُمَّ توجها إلى المكان المتفق عليه

- حمد الله عالسلامة يا باشا إحنا شايفينك بس معلش هتطلع
عالدائري وتوصل لحد يافطة مرسيدس تستلم عربيتك من فوق.

كان ذلك اتصال من رقم مجهول طلبه بمجرد وصوله ميدان لبنان.

أشار كريم لرمزي أن يتحرك بالسيارة أعلى الدائري حتى وصلا
إلى اللافتة ليأتيهما اتصال آخر:

- بص يا كبير تحتك علطول هاتلاقي أرض زراعية.. ارمي فيها
الفلوس وإحنا هنلقفها بإذن الله وبعد خمس دقايق هتلاقي واحد
بيركن عربيتك قدامك.. هتديلو خمسين جنيه إكرامية علشان غسلهالك
وتاخدها وتمشي بالسلامة.

فكَّر كريم في البداية أن يرفض إلقاء النقود ولكن لبساطة المبلغ مقارنة
بقيمة السيارة التي تتعدى المليون جنيه لم يجد أمامه مفرًّا من المخاطرة.

ألقى الشنطة ليلتقطها شخص بالأسفل ثُمَّ يرن هاتفه مرَّةً أخرى:

- ألف شكر يا باشا.. عربيتك مركونة قدام كشري هند في الحي
السابع.

❋ ❋ ❋

تحرَّك كريم في يأس تام متوجهًا إلى الحي السابع ليخيب ظنه هذه المرَّة

سيارته مركونة بالفعل، فيقول لرمزي في سعادة يغمرها الأسى:

طب والله ولاد حلال.

رمزي مودعًا كريم الذي جلس على مقعد سيارته في إجهاد

كريم يراجع عشرات الاتِّصالات والرسائل التي جاءته من
وكاميليا وآخرين.. لم تمر لحظات حتى جاءه اتصال من نور فلم
عليها.

اتصال آخر من كاميليا فردَّ مطمئنًا:

ـ أنا كويس يا كاميليا متقلقيش.

لم تكن كاميليا هي المتصلة هذه المرَّة بل كانت نور فبادرته على
الفور قائلةً:

ـ مبتردش عليَّا ليه يا كريم؟

ليرد عليها مرغمًا:

ـ أكيد مش قاصد ماردش عليكِ.

صمت ثُمَّ سألها:

ـ بس إنتي إزاي بتتكلمي من موبايل كاميليا؟!

ـ أصل أنا عندكوا في البيت حضرتك.. وكامليا دخلت تعمل لي
قهوة فقلت أكلمك من موبايلها يمكن جنابك ترد.

ـ وإيه اللي جابك عندنا؟

ـ إيه يا ابني قلة الذوق دي!! جيت علشان أخد أختك وننزل
ندوَّر عليك.

ـ ده على أساس إني طفل صغير وتاه!!

- طب ما إنت طفل صغير.

- احترمي نفسك.

- احترم إنت نفسك بدل ما أجي أخنقك مش كفاية اللي إنت ...
إمبارح يا مجنون.. أنت يا واد كنت شارب إيه؟

كانت عبارات نور جذَّابة وخوفها عليه حقيقي مما جعله يس...
مشاعره، ويصمت محدِّثًا نفسه في عتاب:

هو إيه الهبل اللي أنا عملته إمبارح ده؟ أنا أكيد فعلًا كنت شارب
حاجة.. طب والله العظيم أنا اللي ما أستاهلهاش.

- إيه ساكت ليه؟

قالتها نور على الجانب الآخر من الهاتف ليرد هو في حماس:

- خليكي عندك أنا نص ساعة وهجيلك.

ثُمَّ صمت لحظةً ليكمل:

- على فكرة أنا بحبك أووووي.

- وأنا كمان بحبك يا مجنون.

لأول مرَّة تقولها نور.. قالتها لتعيده إلى الحياة وتنسيه تلك الليلة السوداء والساعات الرهيبة التي قضاها منذ الأمس، بل لتنسيه تلك السنوات الحزينة التي قضاها قبل أن يلقاها.

انطلق كريم بسيارته مسرعًا في لهفة للقائها وكأنه اللقاء الأول بينهما، ولكنه بمجرد وصوله إلى صينية التجمُّع الأول استوقفته لجنة شرطة.

- اركن على جنب وافتح شنطة عربيتك.

كانت لهجة الظابط غريبة وطلبه أكثر غرابة.

... ما يطلب الضابط أو أمين الشرطة الرخصة بهدوء، ولكن ما
... التي حدَّثه بها ولماذا طلب منه هو بالذات أن يفتح شنطة
... دون باقي السيارات الأخرى التي كان يتركها تمرَّ؟

... كريم شنطة السيارة ليجد أمامه شنطة جلد سوداء.

... له الضابط وسأله:

- الشنطة دي فيها إيه؟

حاول كريم أن يتذكر أي شيء عن تلك الشنطة فلم يجد.. فهزَّ
... متعجبًا ثُمَّ قال:

- صدقني أنا أول مرَّة أشوفها.

- ليه هو فيه حد مايعرفش إيه اللي في شنطة عربيته؟

- يا فندم أصل عربيتي كانت مسروقة ولسه مستلمها.

- طب معاك محضر بكده؟

- لَّا منا معملتش محضر.

- وليه معملتش محضر؟

قالها الضابط وهو يفتح الحقيبة الجلدية ليجد أمامه أكياس بنية الشكل متراصة وأسفلها مسدس.

تلعثمَّ كريم وهو يرى تلك الأشياء ولا يكاد يصدِّق ما يرى.. حاول أن يتكلم فأسكته الضابط بإشارة من يده ثُمَّ تحدَّث في جهاز اللاسلكي قائلًا:

- تمام يا فندم الإخبارية طلعت صحيحة.

ثُمَّ نظر إلى كريم ليكمل:

- لقينا معاه مخدرات وسلاح.

* * *

لم يعترف كريم في التحقيق الأول بأي شيء.. فكيف له أن يصرح بقصة سرقة السيارة وعلاقتها بالشقة المشبوهة لذا فقد اكتفى بقول أن السيارة كانت مسروقة حتى يحضر والده برفقة المحامي.

كان كريم قد أجرى اتِّصالات عديدة أثناء انتقاله في سيارة البوكس ولكنها فشلت جميعًا فاضطر للاتصال بوالده الذي أجرى هو الآخر عدة اتِّصالات ليأتيه نفس الرد من الجميع:

- أنا تحت أمرك طبعًا يا نادر باشا بس أنا مقدرش أتدخل في تلات حاجات، المخدرات والدعارة والسياسة.. الحاجات دي تلطني وإنت عارف.

كانت تلك هي الجملة المشتركة التي تردَّدت على لسان كل الشخصيات الهامة التي اتَّصل بها نادر؛ لذا فقد أحضر أكبر محامٍ في البلد ليرافقه إلى القسم.

لم يدخل كريم غرفة الحجز الاحتياطي ليبقى في غرفة المأمور حتى حضر نادر برفقه المحامي، وذلك أقصى شيء استطاعت علاقاته أن تفعله.

قال المأمور الذي بدا عليه الاهتمام بناء على توصيات عديدة وصلته:

- قول لي يا كريم كنت فين لما العربية اتسرقت؟

تعلثم كريم ثُمَّ قال في ارتباك:

- أبدًا كنت قاعد مع أصحابي في كافيه في مصر الجديدة.

.. المهندس نادر إلى المأمور ثُمَّ قال:

.. داهية العربية.. المهم موضوع المخدرات والسلاح ده.

.. المحامي قائلًا:

.. استنى بس يا نادر بيه.. سيادة المأمور صح جدًّا.. مهو لو عرفنا .. اتسرقت فين وإزاي ومين اللي سرقها هنقدر نثبت أن الشنطة .. فيها مش بتاعة كريم.

.. المأمور رأسه مصدِّقًا على كلام المحامي ثُمَّ نظر ثانيةً إلى نادر قائلًا:

- مخبيش عليك.. لو مقدرناش نثبت واقعة السرقة دي.. ابنك .. الليلة كلها.

ظهر الخوف على كريم في حين قال المهندس نادر منفعلًا:

- مهو يا سيادة المأمور بالعقل كده، إزاي يطلبوا ٢٥ ألف جنيه .. عربية بورش!! دول واضح جدًّا إنهم قاصدين يلفِّقوا له القضيَّة.

حاول المحامي تهدئته قائلًا:

- يا نادر بيه حاول تفهم إننا لسه مش قادرين نثبت إن العربية اتسرقت من أصله.

صدَّق المأمور مرَّةً ثانية على كلام المحامي ثُمَّ قال ناظرًا لكريم الذي بدا مشتتًا:

- الحل إننا نراجع المكالمات اللي جتلك من الراجل اللي سرق العربية يمكن نقدر نوصل لحاجة.

ثُمَّ أكمل موجِّهًا الكلام للمحامي:

- وللأسف كريم لازم يبات معانا في الحجز النهارده لحد ما يتعرض

الصبح على النيابة، وكده كده النيابة هتطلب فحص الأحراز.

- طب ماينفعش يخرج بكفالة أو أي ضمان؟

سأل نادر متوسلًا ليجيب المأمور معتذرًا:

- مش هنعرف نعمل أي حاجة غير بعد فض الأحراز.. بس أوعدك هحاول أسرَّع الإجراءات على قد ما أقدر.

ثُمَّ نادى على الأمين وطلب منه أن يصحب كريم إلى الحجز ويوصي عليه حتى لا يؤذيه أحد من المحجوزين.

نزل كريم بصحبة الأمين وبجواره والده والمحامي لتقابلهم نور وكاميليا وقد بدا عليهما الفزع الشديد.

- إيه اللي حصل يا كريم؟

قالتها كاميليا بدموعها فردَّ كريم محاولًا طمأنتها:

- اطمني يا كاميليا الموضوع بسيط إن شاء الله.

ثُمَّ نظر إلى نور وقال:

- ليه جيتي يا نور مكنتش أحب إنك تشوفيني في موقف زي ده.

قالت نور محاولة افتعال المرح:

- يا ابني بطل هبل.

ثُمَّ أكملت:

- أومال مين اللي كان هيجيبلك العيش والحلاوة غيري.

حاول كريم أن يبتسم فجذبه الأمين من يده قائلًا:

- معلش يا جماعة الباشا لازم ينزل الحجز ومتخافوش أنا هنزل

ماشي ماله علشان محدش يتعرضله.

زاد توتر كريم وهو يستمع لكلمات الأمين ويتذكَّر ما كان يشاهده في الأفلام والمسلسلات العربية من إهانة وتعذيب للنزيل الجديد بمجرد دخوله إلى غرفة الحجز.

لاحظت نور توتره فطلبت من الأمين أن يتركها مع كريم لحظات قليلة بعد أن دس له نادر في جيبه ورقة نقدية كبيرة.

قالت نور وهي تنظر في عين كريم:

- كريم بص لي.

كان كريم أشبه بمن تناول عدة أقراص مخدِّرة فلم يعد يميز كثيرًا ما يحدث حوله.. هزَّته نور بقوة وهي تعيد عليه الجملة:

- كريم.. بقولك بص لي.

ثُمَّ أكملت:

- أنا عارفة إن الموقف صعب وجديد عليك.

استعاد كريم انتباهه وهو ينظر لها في انكسار لم تعهده فخفق قلبها.

حاولت التماسك معتمدة على مهنتها التي علمتها الثبات الانفعالي في تلك المواقف فقالت وهي تشد على يده:

- أنا واثقة إنك هتعدي من الأزمة دي.. لكن كل اللي بطلبه منك دلوقتي إنك متنهارش.. أنا عايزاك تكون في قمَّة تركيزك وثباتك علشان تقدر تدير كل الأمور لصالحك.

ثُمَّ أكملت:

- كريم إنت تقدر تعيش الموضوع على إنه تجرِبة، كمان تقدر تخرج

منها بخبرات جديدة ودروس تضيفها لشخصيتك.

ربتت على كتفه في حنو ثُمَّ قالت:

- أنا لحد دلوقتي معرفش إيه تهمتك.. لكن كل اللي أقدر أقولهولك إنك هتتخرج منها بسرعة جدًّا.

انتبه كريم للجملة الأخيرة فسألها مستوضحًا:

- ليه واثقة أوي كده وإنتي حتى متعرفيش التهمة.

شعرتْ نور أنها قد تكون بالغت في ثقتها لما ستؤول إليه الأمور.. فابتسمت ثُمَّ قالت:

- مش عارفة.. بس إحساسي بيقول كده.

* * *

فتح الأمين باب الزنزانة ثُمَّ أشار لأحد المساجين قائلًا:

- قوم ياض فز من هنا واتلقح في أي حتة تانية.

ثُمَّ نظر إلى كريم قائلًا:

- اقعد أنت هنا يا كريم باشا.

تحرَّك كريم بارتباك ليجلس بينما رفع الأمين صوته قائلًا:

- كريم باشا ضيف عندنا ومالآخر كده يخصّني واللي يخصّني مينفعش حد يتعرَّض له.

ثُمَّ أكمل وهو ينظر إلى سجين كان يجلس شبه غائب عن الوعي بفعل تأثير الترامادول:

- سامعني يا شطة ولَّا أقول تاني؟

رفع شطة رأسه بصعوبة ليتساءل بحروف متثاقلة:

ـ طب والباشا تهمته إيه يا عم بيومي؟

أجاب الأمين بيومي:

ـ مخدرات وسلاح.

رفع شطة رأسه أكثر وهو ينظر إلى كريم، ويتحدث بنفس الطريقة:

ـ كده يبقى باشا وابن باشا كمان.

خرج بيومي وهو يقول لشطة:

ـ الباشا في عهدتك.. يعني مفيش حفلة استقبال.

ثُمَّ رفع يده يسلِّم على كريم قائلًا:

ـ طب أستأذنك أنا يا مدير.. وأي حاجة تعوزها.. قول بس يا بيومي بصوت عالي.

أغلق بيومي الباب الحديدي خلفه ليرتعد قلب كريم.

ثم يجلس يتفحَّص الوجوه، ويدعو الله ـعزَّ وجلَّـ أن يكون ما يعيشه الآن كابوس وسيفيق منه في الصباح.

غاب شطة مرَّةً أخرى عن الوعي ليقترب رجل بدين من كريم، ويجلس بجواره بعد أنْ أزاح رجل آخر.

قال الرجل ليتعرَّف على كريم:

ـ بقى الباشا مخدرات وسلاح؟

ثُمَّ أكمل مرحبًا:

ـ ده إحنا حصل لنا الشرف والله.

كاد كريم أن يردَّ بلهجته المرتبكة وصوته المتحشرج لكنَّه استعان
ذاكرته السينمائيَّة ليراجع المشاهد المماثلة ويتذكَّر كيف يعامل المساجين
ضيفهم الجديد خاصة إذا بدا عليه علامات الارستقراطيَّة مثله.. لذا
فقد قرَّر صناعة مشهد تمثيلي مختلف يضمن له الحماية والتميز.

اعتدل في جلسته واضعًا قدمًا فوق الأخرى ثُمَّ أخرج علبة سجائره
ليشعل إحداها، لم ينظر للرجل بل قال بصوت خشن:

- خليك في حالك.. وارجع مكان ما كنت قاعد.

نظر الرجل إلى شطة وكأنه يستأذنه ماذا يفعل معه ليشير له شطة أن
يعود إدراجه في حين تعلَّقت كل الأنظار بعلبة سجائر كريم.

حاول شطة أن ينهض بصعوبة حتى كاد أنْ يسقط.. فصاح قائلًا
لرجل نحيف كان يجلس على الأرض:

- ما تقوم يا حرامي الساعات يا ابن الجزمة تسندني علشان أقعد
جنب الباشا.

نهض الرجل على الفور، ووضع يده تحت إبط شطة يسنده حتى
أجلسه بجوار كريم.

- ماتجيب سيجارة.

قالها شطة وهو يبتلع ريقه وينظر للعلبة فقدَّم له كريم العلبة بأكملها
في رد فعل مرتبك وسريع.

أخذ شطة العلبة وأشعل واحدة ثُمَّ وضع العلبة في جيبه.. لتتعلَّق
العيون مرَّةً أخرى بالعلبة.

استجمع حرامي الساعات شجاعته ثُمَّ قال:

ـ ماتجيب سوجاره يا عم شطة والمصحف خرمان من إمبارح.

اجيب شطة:

ـ ليه كنت فاتحها سبيل وحياة أمك!!

ثُمّ ينظر إلى كريم متسائلًا:

ـ والباشا منين؟

ـ من دوران شبرا.

قالها كريم بصوته الجديد متقمصًا الدور الذي اختاره لنفسه ليقول شطة مبتسمًا وكأنه يعلم أن كريم يرسم شخصيَّة أخرى.

ـ أجدع ناس.

شعر كريم بالثقة وهو يتفاخر بانتمائه إلى شبرا لأول مرَّة في حياته.. فأخذ نفسًا كبيرًا من السيجارة، ربَّما أكثر من اللازم بكثير جعله يسعل بشدة.

ربت شطة على كتفه قائلًا بسخرية:

ـ ألف سلامة يا كبير.

ثُمَّ أكمل مبرِّرًا بالنيابة عنه:

ـ معلش أصل المكان هنا مكتوم شوية بس يومين وهتتعود عليه.

زاد ارتباك كريم فتساءل بصوته الحقيقي المرتعش دون وعي:

ـ يومين إزاي؟ ده أنا هتعرض على النيابة بكره وغالبًا هيخلوا سبيلي لأني مش...

انتبه كريم إلى صوته وأدرك أن قناع القوة الزائف الذي وضعه قد سقط فصمت.

ابتسم شطة في خبث بعد أن وصل للنتيجة التي توقعها وهي أن كريم شاب ثري ابن ناس وليس له أي علاقة بالمخدرات أو السلاح، ولكن ماذا أتى به إلى هنا؟

ذلك هو السؤال الذي لم يصل شطة إلى إجابته حتى الآن.

لم يجد كريم بدًّا من الانخراط مع المساجين.

جلس بينهم محاولًا قتل الساعات والحصول في الوقت ذاته على إجابات من ذوي الخبرة، علّها تساعده على فك طلاسم المؤامرة التي أوقعت به وقادته إلى هنا، لذا فقد بدأ في سرد ما حدث وسط إنصات من الجميع.

انتهى من قصته ليقول الرجل البدين:

- يا باشا عليًا الطلاق أبوك هو المقصود بالضربة دي.. أكيد واحد من الكبار زعل منه وحب يعوَّره في ابنه.

ليشير له شطة قائلًا:

- اسكت يا حمار.

ثُمَّ يكمل بحروفه المتقطِّعة:

- عليًا الطلاق أبوك هو المقصود بالضربة دي.. أكيد واحد من الكبار زعل منه وحب يعوَّره في ابنه.

ضحك الجميع من تكرار شطة للجملة دون وعي.

ثُمَّ دار حديث طويل بين كريم ومعظم المساجين حتى تسلَّل نور الصباح من بين قضبان الشباك الحديدي الوحيد الموجود في غرفة الحبس؛ فتساقط الجميع في النوم واحدًا تلو الآخر، بينما بقي كريم مستيقظًا يفكِّر فيما هو قادم.

جاءت الساعة التاسعة صباحًا ليتم عرضه على النيابة؛ حيث وجد والده وعمه سعيد وخاله أدهم وبرفقتهم ثلاثة من من أكبر محامين البلد في انتظاره.. حاولوا جميعًا نفي كل التهم الموجَّهة لكريم وطالبوا النيابة بتفريغ المكالمات وقت سرقة السيارة للوصول إلى الجاني الحقيقي، كما طالبوا بإخلاء سبيل كريم بأية ضمانات.. رفضت النيابة، وأمرت بتجديد حبس كريم إلى حين فض الأحراز وفحصها كما أمرت بالتواصل مع شركة المحمول للحصول على تفريغ المكالمات.

* * *

دخلت نور على والدها غرفة مكتبه بالمستشفى وقالت بانفعال:

ـ لا بجد كفاية أوي كده.. كريم بينهار خلاص.

رفع دكتور أبو المكارم عينه عن الأوراق التي كان منهمكًا في قراءتها ثُمَّ خلع نظارته ليقول مبتسمًا:

ـ كده تبقى وقعتي في الحب يا دكتورة.

ثُمَّ أكمل:

ـ بس افتكري أني حذَّرتك من البداية.

لترد هي:

ـ بصرف النظر عن كوني حبيِّته أو لأ بس اللي بيحصله ده كتير.. سرقة عربية ومخدرات وسلاح وسجن.

ابتسم الدكتور مرَّةً أخرى لتكمل هي في رجاء:

ـ أعتقد يا بابا كفاية اللي حصله وننهي بقى المهلة دي.

ثُمَّ أكملت:

- وبعدين أربع شهور كفاية أوي.

بدا الاستياء على وجه والدها فقال:

- أربع شهور كفاية إزاي؟

ثُمَّ أكمل بعصبية:

- إنتي مادرستيش أن الدورة النفسيَّة للتغيير مابتقلش عن ست شهور ولَّا خلاص العاطفة دخلت على الخط وابتدت تشوشر على قرارك.

لتقول هي:

- عارفة طبعًا بس اللي حصل لكريم كفيل بأنه يغيَّره بجد.. صدَّقني ده كان هايجيله صدمة عصبية في القسم.. حضرتك ماشوفتوش.

احتبست الدموع في عينها فأشار لها والدها بالجلوس.

نهض من كرسيه ووقف بجوارها يربت على كتفها ويقول:

- حبيبتي أنا حاسس بيكي وعارف أنكِ ابتديتي تحبيه بس صدَّقيني المشاعر دي مش لصالحه دلوقتي.

ثُمَّ أكمل:

- كمان حاولي تفهمي إننا كل ده كنا دايسين على سوسته وبمجرد ما نشيل إيدينا كريم هيرجع زي ما كان.

ثُمَّ مرَّر يده على شَعرها وقال:

- علشان خاطري اصبري لَمَّا نشوف هيعدي إزاي من الأزمة دي.

* * *

عاد كريم إلى زنزانته منهكًا بصحبة الأمين بيومي ليلقي بجسده

على المقعد الأسمنتي.

ربت بيومي على كتفه قائلًا:

- يا باشا اطمن كل حاجه هاتبقى زي الفل بعون الله.. ده المأمور

بيجي له كل نص ساعة مكالمة توصية عليك.

ثم تركه وهو يكمل في ثقة:

- القضايا دي مابيشيلهاش البشوات اللي زيك يا باشا.. دي ليها

ناسها اللي بيشيلوها في الآخر.

اطمأن كريم قليلًا لكلمات بيومي ثُمَّ أغلق عينيه من فرط الإجهاد

ليغفو بعض الوقت.

* * *

قالت ريهام بصوت عالٍ:

من أهم الفروق بين المتعة والسعادة أن المتعة مش ممكن تحصل غير في ظروف سويَّة لكن السعادة ممكن تحصل في أي ظروف حتى ولو صعبة زي اللي يمر بيها كريم.

* * *

استيقظ كريم ليجد نفسه ممددًا على بطانية وأسفل رقبته مخدة مصنوعة من الأكياس البلاستيكيَّة.

نظر حوله يتفحَّص الوجوه علَّه يجد الفاعل فيشكره.

سأل الرجل النحيف وهو ينظر إلى الساعة التي في يد كريم:

- هي الساعة دي رولكس بجد ولّا مضروبة؟

ليصيح فيه شطة قائلًا:

- غور ياض يا ابن الجزمة.. اقعد مكانك.

ثُمَّ نظر إلى كريم قائلًا:

- معلش يا باشا أصله حرامي ساعات وسخ، بس متخافش محدش يقدر يهووب ناحيتك وإنت في حمايتي.

سعل رجل عجوز كان يجلس في زاوية الغرفة فنهض كريم ليربت على كتفه:

- سلامتك يا حاج.

ليرد الرجل وهو يتنفس بصعوبة:

- أنا الحمد لله زي الفل.. طمنني إنت بس عملت إيه في النيابة.

ردَّ شطة موجِّهًا كلامه لكريم وهو يشير للرجل العجوز:

- آه نسيت أعرَّفك بعم زينهم.. راجل إنما إيه حتة سوكره.

ثُمَّ أكمل في أسى:

- ربنا ينتقم من اللي نيِّموه عالبورش وهو في السن ده.

ليسأله كريم:

- ليه.. هي إيه تهمتك يا عم زينهم؟

فيرد الرجل في استسلام كامل:

- أبدًا يا ابني أصل البت الكبيرة ربنا فك عقدتها وجالها عدلها.. فقلت أسترها حتى لو اداينت كام شهر.. ميلت على ولاد الحلال وخدت

من ده قرشين ومن ده قرشين لحد ماجهزتها.

بس في الآخر عجزت معايا على خشب المطبخ.. تقوم أم العريس لمان راسها وألف جزمة ألا البت لازم تدخل بغسَّالة نص أوتوماتيك.

تنهّد في حسرة ثُمَّ أكمل:

- قال يعني أنا قدرت أخلص اللي علينا لما تبليني بغسَّالة.

صمت وكاد أن يقطع النفس فناوله شطة زجاجة مياه،

ثُمَّ قال مازحًا:

- احكي على مهلك يا عم زينهم إحنا ماوراناش حاجة.. أديك شايف كلنا سايبين أشغالنا وقاعدين نسمعك.

حاول عم زينهم أن يضحك وفشل فأكمل:

- الفلوس كانت خلصت.. قلت مابدهاش بقى.. أجيب لها الغسَّالة شُكك واللي يحصل يحصل ويبقى ربنا يفرجها في خشب المطبخ.

دفعت أول قسطين برضو بمساعدة ولاد الحلال بس الدنيا جت ع الآخر ونشفت،

سعل ثُمَّ قال:

- عدى عليَّا كام شهر مش عارف أسدِّد قام صاحب المحل مودِّي الكمبيالات اللي باقية للقسم وحبسني زي ما إنت شايف.

لا يعرف كريم ماذا تعني كلمة نص أوتوماتيك وربما لا يعرف أصلًا معنى كلمة غسَّالة؛ فهو في منزله لا يسمع من أمه أو من الخادمة سوى كلمة ووشينج ماشين.. فكيف له أن يعرف سعرها.

نظر للرجل في بلاهة لا تخلو من التعاطف ثُمَّ سأله:

- وهي الغسَّالة دي تمنها كام يا عم زينهم؟

تنهَّد الرجل قائلًا:

- ٢٠٠٠ جنيه يا ابني.

ليرد كريم بنفس لهجة سعيد صالح في مسرحيَّة العيال كبرت:

- ألفين جنيه في الإيه؟ أول كل شهر يعني؟

صاح شطة:

- لأ يا باشا.. الغساله كلها بألفين جنيه.

فتح كريم فمه في ذهول وأخذ يتأمَّل الرجل ويقول:

- يعني إنت محبوس علشان ألفين جنيه؟!

ليرد الرجل بثقة وكبرياء:

- لاااا.. اتحبست علشان ألف جنيه بس.. منا دفعت أول قسطين ٥٠٠ و٥٠٠.

ازداد ذهول كريم فقال وكأنَّما يحدِّث نفسه:

- ألف جنيه؟!

ثُمَّ أكمل:

- فيه بني آدم ممكن يتسجن علشان ألف جنيه؟! ده أنا...

كاد أن يقول ده أنا بصرف أكتر منهم في نص ساعة ولكنَّه صمت.

ربت شطة على كتف عم زينهم وهو يقول:

- ياريت على قد كده وبس.. ده اتحرم كمان من أنه يحضر فرح بنته.

- ليه هو الفرح إمتى؟

ال كريم ليجيب الرجل العجوز:

اول الشهر الجاي.. أصل أنا قلت للعريس أني مسافر كام شهر
... ومعنديش مانع يدخل عالبت وأنا مسافر.

ثمَّ قال:

بصراحة خفت أأجل تاني تروح أمه مفركشة الجوازة.. وبعدين
... امش هاخد أقل من ست شهور سجن.. ده لو القاضي رأف بحالي.

صمت كريم مرَّة أخرى ثُمَّ غرق في أفكاره.

أخذ يتذكَّر حياته ويحصى كمَّ الترف والنعم التي يحيا فيها منذ ولادته
... الآن، قارن نفسه بالرجل الذي سُجن وحُرم من فرح ابنته بسبب
... لغ أقل بكثير من تكلفة سهرة من سهراته اليومية، بل أقل بكثير من
سعر وجبة يتناولها في أحد المطاعم فاستعاد وعيه ثُمَّ نهض يمسك
بقضبان الباب الحديد ويصرخ قائلًا:

ـ فين المأمور؟ هاتولي المأمور.. أنا عايز أكلِّم المأمور.

ليضحك الجميع ويقول له شطة:

ـ إيه يا باشا الفيلم العربي ده.. مأمور إيه بس استهدى بالله.

ثُمَّ اقترب من أذنه يكبر فيها بمرح:

ـ الله أكبر.. الله أكبر.

ليزداد ضحك الجميع.

فتح الأمين بيومي الباب قائلًا:

ـ إيه يا أستاذ كريم مالك؟ صوتك جايب لآخر القسم؟

ليرد كريم بنفسس الحماس:

- اسمع يا بيومي أنا لازم أسدد حالًا فلوس عم زينهم.

صمت الجميع وتوقَّفوا عن الضحاك بعد أن تبدَّلت نظرتهم لكريم

نهض الرجل العجوز، واحتضن كريم باكيًا:

- ربنا يخليك يا ابني ومايرميكش في ضيقة.

ثُمَّ قال شطة وهو يصافحه:

- توشكر يا أستاذ كريم والنبي إنت ابن أصول.

ليجلس الرجل العجوز يتنفَّس الصعداء، ويكمل دعواته لكريم

قال كريم وهو يربت على كتف زينهم:

- صدَّقني الموضوع بسيط المهم تخرج لبنتك وتحضر فرحها.

فقال عم زينهم:

- بس الأول يا ابني لازم أجيب الراجل اللي معاه الكمبيالات أديله فلوسه علشان يتنازل عن المحضر.

ردَّ كريم:

- بسيطة.

ثُمَّ أخرج من جيبه كارت فيزا وأعطاه للأمين بيومي الذي تساءل:

- إيه دي يا باشا؟!

- دي فيزا.

قالها كريم فردَّ عليه بيومى بنفس التعجب:

- أيوة أعمل بيها إيه؟!

- متقلقش.. أنا هقولك تستخدمها إزاي.

ـ الرقم السري ده وروح أي ماكينة بنك اسحب منها ٥٠٠٠ ، اشتري لنا غدا على ذوقك وهات الباقي ندفع فلوس عم زينهم.

وقف الجميع يهتفون في فرح حقيقي:

ـ يعيش كريم باشا.. يعيش كريم باشا؛ فصاح فيهم الأمين بيومي ضاحكًا:

ـ متخرس ياض منك له.. خلوني أشوف الباشا هياكل إيه.

ثُمَّ أكمل متسائلًا:

ـ وجنابك هتاكل إيه؟

ليرد كريم:

ـ شوفهم هما هياكلوا إيه أنا خلاص شبعت.

* * *

قالت ريهام وهي تقرأ من الورق:

ـ السعادة عبر الآخر.. مفهوم أوسع وأشمل للسعادة.

ثُمَّ أكملت:

ـ كريم برغم كل الظروف اللي كان بيعيشها لكن حس بالسعادة الحقيقية لأوَّل مرَّة لما قرر يساعد غيره، وده فرق تاني بين المتعة والسعادة..

المتعة مش ممكن نحسَّها غير لما نعمل حاجة علشان نفسنا، لكن السعادة ممكن نحسَّها لما نعمل حاجة علشان غيرنا.

* * *

قضى كريم خمسة أيام متواصلة في زنزانته التي تحوَّلت إلى وطن صغير.. غمرته الألفة مع أولئك البسطاء؛ فشعر لأوَّل مرَّة بالسعادة الحقيقيَّة.. تلك السعادة التي سمتها ريهام في رسالتها السعادة عبر الآخرين.

ما أروع أن تملك القدرة على إسعاد غيرك.. هي ولا شك سعادة يجهلها الكثيرون.

خرج عم زينهم من سجنه..

استطاع كريم بألف جنيه فقط أن يسد عنه دينه ويردَّ له كرامته ويعيده إلى الحياة!

يا له من مبلغ كان يظنُّه زهيدًا فأدرك اليوم أنه كبيرًا جدًّا لدرجة جعلته يساوي الحياة.

تغيَّر كريم كثيرًا في تلك الأيام القليلة.. عاتب نفسه وعاهدها أن يواصل ما بدأه مع نور.

تسلَّلت أشعه الشمس من بين قضبان النافذة فوقف على المقعد الأسمنتي محاولًا أن يطل برأسه.

سأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يخرجه من كربه.. ثم أغمض عينيه ليتنفس الهواء محسنًا الظن بربه.. فلم يخذله.

فتح الأمين بيومي باب الزنزانة ثُمَّ دخل ليقول متهلِّلًا:

- مبروك يا باشا.. مش قلتلك ربَّك هايفرجها.

نهض كريم ليسأله في لهفة:

- مبروك على إيه؟

فردَّ بيومي في سعادة:

ـ المهندس طلعت فشنك يا كبير.

* * *

جلس كريم بين أسرته في حديقة المنزل ينظر لهم في شوق وكأنه لم يرهم منذ عقود.. تمنَّى لو استطاع أن يقدِّم لكل واحدٍ منهم اعتذارًا عن مدة.

اعتذار عنْ تلك الأيام التي عاملهم فيها بحمق وتحدٍ.. اعتذار لأنه لم يدرك قيمتهم قبل اليوم.

ملأ صدره بالهواء ثُمَّ أطلقه متسائلًا:

ـ إيه (الحنَّة) اللي حطوها لي دي يا بابا دي؟

لتردد كاميليا نفس السؤال:

ـ آه صحيح يعني إيه (حنَّة) يا بابا؟

ردَّ المهندس نادر:

ـ حنَّة يا ولاد!!

ثُمَّ أكمل موجِّهًا الكلام لكاميليا:

ـ الحنَّة اللي بتلونوا بيها شعركوا.

لتقول نيرَّة:

ـ يعني ولاد الكلب حطولوا الحنَّة في أكياس علشان البوليس يفتكرها مخدرات.. ده إيه الجبروت ده؟

فقال نادر:

ـ وكمان حطوا معاها مسدس صوت علشان يبهدلوه أكتر.

ثُمَّ أكمل:

- يالا منهم لله.. المهم أن كريم خرج منها على خير.

سألت كاميليا:

- مش المفروض الظابط اللي قبض على كريم كان يفهم لو المسدس صوت والبتاعة التانية دي حنَّة؟

أجاب المهندس نادر:

- طبعًا المفروض.

ثُمَّ أكمل:

- بس طالما فيه إخباريَّة يبقى لازم يكشفوا على الحاجات دي الأول.

ثُمَّ قال:

- جايز يكون مسدس صوت واتعدل لمسدس حقيقي وجايز كمان تكون الحنَّة مخلوطة بمواد مخدرة.

ضحك ثُمَّ قال:

زي فيلم الكيف.

قال كريم في تحدٍ:

- بس أنا لازم أعرف مين اللي عمل فيَّا كده وعمل كده ليه؟

صمت نادر ثُمَّ نظر له وقال:

- الضربة اللي متكسرش بتقوي.

ثُمَّ أكمل:

- وأنا واثق إنك خرجت من التجرِبة دي أقوى بكتير.

❋ ❋ ❋

[illegible] نور وكريم احتفالًا يليق بخروج كريم من الأزمة فقبلته [illegible] لأول مرة وهي تراقصه على أنغام ماجدة الرومي.

[illegible] حين يراقصني كلمات ليست كالكلمات.

[illegible] كريم أيضًا كلمات ليست كغيرها من الكلمات..

قال إنه يحبها بكل كيانه.. قال أنه عرف قيمتها أكثر عندما ضاقت [illegible]. قال إنه يتمنى أن يقضي ما بقي من عمره بجانبها ويموت [illegible] الرحلة على صدرها.

[illegible] نور كثيرًا وصدَّقته كما صدَّقت مشاعرها فعرضت عليه أن [illegible] من والدها إنهاء المهلة، والاكتفاء بالأشهر الأربعة ليعلنا خطبتهما.

لكنه فاجأها بالرفض قائلًا:

ـ مش أنا اللي أرجع في كلمتي يا نور.. أنا لازم أكمل المهلة.

لتنظر له نور بملء عينيها وتحتضنه قائلةً:

ـ إنت فعلًا اتغيرت بجد يا كريم.

ثُمَّ تكمل بصوت دافئ لم يسمعه منها من قبل:

ـ أنا بحبك.

نعم تغيَّر كريم تمامًا لدرجة استحق بها حب نور.

أصبح يستيقظ مبكرًا ليذهب إلى الشركة ثُمَّ ينهي ساعات عمله ليعود إلى المنزل، يتناول وجبة الغذاء ثُمَّ ينام ساعتين لينهض بعدهما ويواصل العمل بالسيارة.

❊ ❊ ❊

قال دكتور صبري مازحًا:

-بقالي عشرين سنة بمتحن وبشرف على رسايل دكتوراه بس أول مرة أقعد أسمع حكايات على بابا والأربعين حرامي بتاعتك يا ريهام.

ارتبكت ريهام ليكمل دكتور صبري ضاحكًا:

-يا ستي متتخضيش أنا بس بقيس ثباتك الانفعالي.

ثُمَّ أشار لها قائلًا:

-يالا كملي.

ابتسمت ريهام واستعادت ثقتها لتقول:

-النتيجة اللي وصلتلها في المرحلة دي إن كريم لمس السعادة الحقيقية على مستويين؛ المستوى الأولاني جوَّا السجن لمَّا قرَّر لأول مرة يعيش السعادة من خلال الآخر، والمستوى التاني لما رجع وقعد وسط عيلته وحس بالدفء والترابط الأسري.

نظرت إلى الورق ثُمَّ قالت:

-الحاجات دي كانت موجودة في حياته بالفعل بس مكانتش بتحقق له السعادة،

وده لأنها كانت متاحة وفاقده لقيمتها بسبب الاعتياد وكمان ثقته الوهمية أن عمره ماهيفقدها.

لكن لما حصلتله الأزمة الأخيرة ابتدى جهازه العصبي يتنبيه ويبعتله إشارات إنه ممكن يفقد كل حاجه في لحظة.

ابتسمت ثُمَّ قالت:

[illegible] الواحد يكون في حفلة واتعود لساعات طويلة على الدوشة [illegible] العالية وفجأة يخرج بره فيحس بقيمة الهدوء اللي كان عايش [illegible]

[illegible] إلى أوراقها مرَّة أخرى ثُمَّ قالت:

[illegible] دلوقتي هندخل على مرحلة الاكتشاف.

* * *



الفصل الخامس

الاكتشاف



وضع كريم على تابلوه سيَّارته علبة بلاستيكيَّة بها عشرون ورقة؛ ترمز لما تبقى من المهلة.. قرَّر أن يلقي بواحدة منهم في نهاية كل يوم ليشعر باقتراب الحلم ويزداد حماسة للمواصلة.

تلك هي الفكرة التي اقترحتها عليه نور ونفَّذها بالفعل ليجد عدَّها ممتعًا وسريعًا.

اليوم لم يبقَ سوى عشرين ورقة فقط.. عشرون يوم ويلمس الحلم.. يا لها من سعادة حقيقيَّة يعيشها كريم.. شعور رائع أن تنتصر على ذاتك وتكتشف أن بداخلك قدرات لم تكن تعرف عنها شيء.

ولما لا وقد استطاع أن يتغلَّب على كل نزواته، ويتخلَّى عن كل أنواع الترف التي عاشها لسنوات طويلة؛ تخلَّى عن الرحلات.. عن البراندات.. عن النزوات.. عن العلاقات العابرة.

والأهم من ذلك أنه استطاع أن يقهر الأنا بداخله؛ فعمل سائقًا وهو الذي يمتلك في شركته عشرين سائقًا.

قال كريم للرجل الذي فتح باب سيارته وركب في الكرسي الخلفي:

- اتفضل يا فندم.

ليقول الرجل:

- اتأخرت عليًّا يا أسطى بقالي نص ساعة مستنيك.

ضحك كريم ثُمَّ قال:

- لا يا فندم هما ١٠ دقايق معلش سامحني الشارع كان زحمة

- ولا يهمك.

قالها الرجل ثُمَّ نظر حوله ليكمل:

- عربيتك حلوة أوي.. دي بتاعتك ولَّا شغال عليها؟

فقال كريم:

- شغال عليها.

ثُمَّ أردف بعدما شاهد على امتداد الطريق لجنة مروريَّة.

- هستأذنك بس لو الظابط سألك ماتقولش إني عربية هوبر.. قوله إنك عمي مثلًا وإنك قاعد ورا علشان تعبان.

فقال الرجل:

- حاضر

ثُمَّ سأل:

- طب وإيه المشكلة لما تقول إنك هوبر وإني زبون؟

أجاب كريم:

- للأسف فيه مشاكل بين الحكومة وبين الشركات دي علشان مش مترخصة.. بس أعتقد إنهم خلاص ابتدوا يقننوا وضعهم دلوقتي.

كان كريم قد وصل إلى اللجنة فقال له الظابط:

- ممكن أشوف رخص حضرتك؟

أخرج كريم الرخصة ليسأله الظابط مرَّة أخرى:

- مين اللي قاعد ورا؟

- الراجل.

- مشغلها أجرة ولا إيه؟

قال كريم بثقة اعتاد عليها منذ عمل بهذه الشركة:

- لا يا فندم ده عمي بس مريح ورا علشان تعبان.

ثم استدار ينظر للخلف ويقول للرجل:

- شوفت يا عمو.. مش قلتلك أقعد جنبي أحسن.

لم يكن هذا الظابط مثل من سبقوه فنظر إلى كريم وقال:

- طب مش تعرفني على عمك وتقول لي اسمه بالكامل.

ارتبك كريم ثُمَّ قرَّر أن يخترع اسمًا منطقيًا للرجل:

- اسمه سعيد.. أيوة سعيد أبو الفتوح.

قالها كريم واستراح فهو لم يكذب؛ فقط ذكر اسم عمه الحقيقي ولكن الظابط فاجأه.

نظر إلى الرجل الجالس في الخلف وقال:

- ممكن يا أستاذ سعيد أشوف بطاقتك؟

ارتبك الرجل ليعترف على الفور فطلب الظابط من كريم أن يقف على جانب الطريق بعد أن احتفظ برخصته.

ركن كريم سيارته بعدما رحل الزبون ثُمَّ نظر حوله ليجد أكثر من عشر سيارات مركونة بجواره.

نزل شاب نحيف من سيارته ليحدِّث الظابط قائلًا:

- يا فندم ما انتوا عارفين أن نص شباب البلد شغالين على هوبر وكريم.. لازمتها إيه بقى كل يوم والتاني تسحبوا مننا الرخص.

ليرد الظابط:

- وأعتقد إن حضرتك عارف إنك بتشتغل في شركة غير مرخَّصة ودي في حد ذاتها تهمة بس إحنا من كرم أخلاقنا بنكتفي بسحب الرخص بتاعتكم بس.

ثُمَّ أكمل:

- روح بقى أقف جنب زمايلك لحد مانشوفلكم صرفة.

عاد الشاب فسأله كريم:

- هو حضرتك شغال في (هوبر) برضه؟

أجاب الشاب في ضيق:

- أيوة يا سيدي أنا شغال في زفت هوبر.

ليسأله كريم مرَّةً أخرى:

- وباقي الشباب دي كلها زينا؟

تركه الشاب وانصرف وهو يقول في ضجر:

- يا عم هي ناقصاك إنت كمان.

جاء شاب آخر فأجاب على كريم متعاطفًا:

- أيوة إحنا كلنا هوبر أو كريم.

ثُمَّ تساءل:

- وحضرتك؟

أجاب كريم:

- أنا شغال في هوبر.

ليقول الشاب متعجِّبًا وهو ينظر لسيارة كريم المركونة:

- شغال في هوبر بعربية بورش؟

ثُمَّ أكمل ساخرًا:

- لا وبيقولوا علينا جيل سطحي ومستهتر.

لم ينتبه كريم لمعظم ما قاله الشاب؛ فقد كان يفكِّر في حل للخروج من المأزق.

صاح فجأة:

- أنا هتصل بالأستاذ عصام وأكيد هو هيتصرف.

سأله الشاب:

- ومين أستاذ عصام ده؟

فأجابه كريم:

- أستاذ عصام مدير فرع هوبر التجمُّع الخامس.

قال الشاب متعجِّبًا:

- بس هوبر مالهاش فرع في التجمُّع.

ليقول كريم في ثقة:

- ليها طبعًا بس تلاقيك متعرفوش.

- معرفوش إزاي؟ ده أنا شغال في هوبر من يوم ما ابتدت، وهما مالهومش غير فرع الجيزة وفرع وسط البلد.

تساءل كريم متعجبًا:

- إنت متأكِّد؟

أجاب الشاب بثقة:

- طبعًا.

ثُمَّ قال له:

- طب وريني الأبليكيشن بتاعك يمكن الشركة بتعمل تحديث من جديد.

أعطاه كريم الموبايل لينظر الشاب في تعجُّب ثُمَّ ينادي على سائق آخر:

- بقولك إيه يا عبقرينو.. تعالى شوف الأبليكيشن ده كده.

سأله كريم:

- مين عبقرينو ده؟

ليجيب الشاب:

- ده طارق عبقرينو شغال معانا في هوبر بس عبقري في موضوع الأبليكيشن والحاجات دي.

جاء طارق وأمسك بموبايل كريم ليتفحَّص الأبليكيشن بنظرة الخبير. قال ضاحكًا وهو يضرب كفًّا بكف:

- يا ابن اللعيبة.

ثُمَّ نظر لكريم وقال:

- ده حد عامل لك أبليكيشن مخصوص لرقمك إنت بس.

هزَّ كريم رأسه بمعنى مش فاهم.. ليجيب طارق:

ـ بس الأبليكيشن ده مضروب يا معلم.

قال كريم مستهزئًا:

ـ إيه اللي مضروب ده أنا بقالي ست شهور شغَّال معاهم وبحطلهم شهر النسبة بتاعتهم في البنك كمان.

ليفلر له طارق قائلًا:

ـ يا عم وأنا مالي خليهم يشتغلوك بس.

ثُمَّ يكمل وهو ينصرف:

ـ بس والمصحف الأبليكيشن ده مضروب ومالوش أي علاقة بهوبر.

سأل كريم باقي الشباب ليحصل على نفس الإجابة.

ـ الأبليكيشن مضروووب.

ليلقي بجسده على مقعد سيارته وهو يحدث نفسه قائلًا:

ـ الأبليكيشن مضروب والقضيَّة مضروبة والحشيش مضروب والمسدس مضروب!! هو فيه إيه؟!

ثُمَّ يتذكَّر فجأةً نور وهي تقول له قبل أن يدخل الحجز:

ـ أنا لحد دلوقتي معرفش إيه تهمتك لكن كل اللي أقدر أقولهولك أنك هتتخرج منها بسرعة جدًّا.

ثُمَّ يرجع بذاكرته أكثر إلى الوراء ليتذكَّر الدكتور أبو المكارم حين أعطاه رقم هوبر قائلًا:

ـ حظك حلو معايا رقمهم أصلي...

ثُمَّ يتوقَّف عن التفكير، وقد أخذ قرارًا بأن يصل إلى الحقيقة بأكملها الآن..

نادى على أحد الشباب، وقال له في رجاء:

- أرجوك رن على الرقم ده من تليفونك ولو رد عليك حد قول له عايز أكلم دكتور أبو المكارم.

اتَّصل الشاب برقم الأستاذ عصام ليأتيه الصوت:

- أيوة مين معايا؟

- لو سمحت ممكن أكلم دكتور أبو المكارم؟

- لا يا فندم.. ده مقر الحسابات بتاع مجموعة مستشفيات أبو المكارم والدكتور مبيجيش هنا.

سمع كريم كل شيء، وعرف كل شيء.. كانت خطَّة محكمة، حيكت خيوطها بمهارة شديدة وبأصابع طبيب محترف شاركته فيها ابنته هي الأخرى؛ فكان كريم بينهم مجرد فأر تجارب.

تسارعت دقات قلبه وأخذ الدم يتدفق بقوة إلى رأسه ليصيبه صداع لم يصيبه من قبل.. أمسك برأسه وأخذ يضغط عليها بشدة ثُمَّ صرخ قائلًا:

- لااااااااااااااااااااااااااا.

* * *

وصل كريم بسيَّارته أسفل منزل صديقه رمزي بعد أن أجرى مكالمتين إحداهما كانت لصديق يعمل في شرطة المرور استطاع أن يحل مشكلة الرخصة، والأخرى برمزي حيث طلب منه أن ينزل سريعًا ليقابله أسفل بيته ويحضر معه بعض السجائر المحشوَّة.

قال رمزي بعد أن جلس بجانب كريم في السيارة:

- إيه يا عم خضتني عليك!!

ابسأله كريم:

- فين السجاير؟

أخرج رمزي من جيبه علبة مملوءة بالسجائر الملفوفة وأعطاه واحدة.

اشعلها ثُمَّ سأله:

- هو إنت مش حلفت إنك مش هتشرب تاني؟

لينفث كريم الدخان من شباك السيَّارة ثُمَّ يقول في سخرية يغمرها الأسى:

- نور ضحكت عليَّا يا رمزي.

أخذ نفسًا أعمقَ ليقول:

- تخيَّل.. كريم أبو الفتوح اللي ضحك على نص بنات البلد تيجي في الآخر واحدة زي دي وتعمله أراجوز.

ظهرت سريعًا آثار السيجارة على كريم فأكمل ساخرًا من نفسه:

- كيمو صاحبك بقى أراجوز يا رمزي، وكل ده علشان إيه؟ علشان حبيت...

ثُمَّ أكمل:

- ملعون أبو الحب يا أخي.

توقَّع رمزي في البداية أن تكون نور خانته فأخذ يربت على كتفه قائلًا:

- يا ريس ما إنت عارف إن كلهم كده، وبعدين مش إنت اللي معلمني أن المزه لو مختنتهاش هتخونك!!

أشار له كريم أن يتوقف عن الكلام ليسود بينهم صمت طويل
أخذ يدخن السيجارة تلو الأخرى حتى بدأ يهذى بكلمات
رمزي الحكاية بأكملها فطلب أن يقود السيَّارة بدلًا منه.

ظل رمزي يقود لأكثر من ساعة دون وجهة محددة تلبية لرغبة
الذي غاص في كرسيه بكامل جسده وغاب عن الوعي.

وصلا إلى كورنيش المعادي فأوقف رمزي السيارة وهز كريم محاولًا إيقاظه ليفتح الأخير عينيه ويتساءل:

- هو إحنا فين؟

- إحنا عالنيل في المعادي يا كيمو.. تحب نقف شوية ولَّا أروحك البيت؟

- لا عايز أروح المكتب.

- مكتب إيه يا عم؟ الساعة ٣ الفجر.

- بقولك وديني المكتب.

لم يكن بمقدور رمزي أن يجادله في ذلك الموقف العصيب لذا فقد استجاب له وأوصله إلى بوابة جراج الشركة ثُمَّ نزل من السيارة ليهمس في أذن فرْدِ الأمن الموكَّل بالحراسة قائلًا:

- كريم بيه تعبان شوية بس عايز يقعد في مكتبه فياريت تسنده معايا لحد ما نطلعه فوق.

* * *

وصلت نور الشركة مبكرًا كعادتها ليقابلها شريف متسائلًا:

- هو فيه مشكلة بينك وبين كريم؟

تعجبت نور من سؤاله فقالت:

- لا مفيش أي مشاكل.. بس بتقول ليه كده؟!

- أصل السكرتيرة بتقول إنها جت الصبح لقيته نايم عالكرسي في مكتبه، ولمّا سألت الأمن قالولها إنه هنا من قبل الفجر.

دقّ قلب نور، وأدركت أن ما توقَّعته قد حدث، لا بدَّ أن كريم قد انهار ولم يعد يحتمل كل المصائب التي تحدث له.

ليت والدها استجاب لرجائها وأنهى المهلة يوم أخبرته بخوفها.

لم ترد على شريف بكلمة فركضت مسرعة حتى وصلت لمكتب كريم.

أخبرتها السكرتيرة بأنه ما زال نائمًا فدخلت عليه.

كان مستلقيًا على الكنبة المواجهة للمكتب فجذبت كرسيًا لتجلس بجواره.

وضعت كفَّها على وجهه وهمست بخوف:

- كريم.

ردَّدتها عدة مرَّات حتى فتح عينيه ليكتشف وجودها وينظر حوله ليكتشف المكان.

أغمض عينيه مرَّةً أخرى ثُمَّ سألها في حزن:

- ليه عملتي كده يا نور؟

انخلع قلب نور وتمنت لو كان يقصد شيئًا آخر غير الذي توقعته من سؤاله

صمتت لحظة تُفكِّر ثُمَّ ردَّتْ في ارتباك:

- أنا عملت إيه يا كريم؟

لينهض معتدلًا في جلسته ثُمَّ يجذب يدها فتتركها ترتعش بين يديه

قال بعتاب:

- ليه عملتيني بهلوان في سيركِ وقعدتي إنتي وباباكِ تتفرَّجوا عليّا؟!

حاولت أن تقاطعه فأسكتها قائلًا:

- أرجوكِ خليني أكمِّل.

هزَّت رأسها في خضوع ليكمل:

- أبليكيشن مضروب.. وزباين مضروبين.. وعصابة وسرقة عربية ومخدرات وسلاح وسجن.. يااااه كل ده علشان إيه؟ علشان تتأكّدي إني عريس مناسب؟

ضحك ساخرًا:

- ده إنتي طلعتي أسوأ من ملكة النحل اللي بتموِّت سرب نحل وراها علشان تختار منهم عريس.

قالها ثُمَّ شعر بدوار في رأسه فتمدَّد مرَّة أخرى وهو يضع يده أسفل رأسه وينظر للفراغ.

قالت نور:

- كريم ممكن تسمعني؟

لم يرد عليها وظلَّ محدِّقًا في اللا شيء فأكملت:

- صدقني والله العظيم كل اللي أعرفه أن بابا كان بيراقبك من خلال الأبليكيشن علشان يضمن إنك بتتغيَّر بجد.

ثم قالت:

- لكن كل اللي حصل بعد كده أنا مكنتش أعرف عنه حاجة ولا يمكن أوافق عليه.

همست متوسلة وهي تضغط على يده:

- أرجوك صدَّقني يا كريم أنا فعلًا بحبك.

لم يصدِّقها كريم، ولم ينطق بكلمة فظنَّته صامتًا بينما هو يصرخ بداخله.

❊ ❊ ❊

قال كريم لدكتور أبو المكارم:

- طبعا نور بلغتك أني عرفت كل حاجة؟

نهض الدكتور من كرسيه ليجلس مواجهًا لكريم ويقول:

- شوف يا كريم، أنا فعلًا بعترف إني عملت كل ده.. وبعترف كمان ان فيه حاجات كتير مقولتهاش لنور علشان كنت واثق أنها هترفضها.

نظر كريم له في سخرية ليكمل هو ثانيةً:

- بس صدَّقني كل اللي عملته ده كان لصالحك.

ثُمَّ ربت على كتفه وقال:

- إنت فعلًا كنت محتاج هزَّة زي دي علشان تتغير و...

قاطعه كريم قائلًا بنفس السخرية:

- وحضرتك بقى قرَّرت تنصب نفسك إله وترمي في طريقي الخير والشر علشان تشوفني هستجيب لمين أكتر وبعدها تقرَّر هتدخلني الجنة ولَّا النار صح؟

هزَّ الطبيب رأسه نافيًا ليكمل كريم قبل أنْ يردَّ عليه:

- أنا بقى يا حضرة الطبيب العظيم مش مستني حُكمك.. ولا [illegible] جنّتك ولا جنّة بنتك.

ثُمَّ نهض يهم بالانصراف وهو يقول بوجع حقيقي:

- أنا كنت مبسوط في جهنم اللي كنت عايش فيها، عالأقل [illegible] بني آدم مش بهلوان.

كانت الضربة ولا شك قاسية؛ فأعنف الضربات تلك التي تصيب القلب ممن أحبهم القلب.. ألا لعنة الله على سهم كيوبيد.

نزل كريم من مكتب أبو المكارم تقوده الرغبة في الانتقام.. ليس من أحد غير نفسه.. نعم فهو من رضى لها بالمذلَّة يوم قبل ذلك العرض المهين لذا فكان عليه أن يجري مكالمةً هامَّةً:

- ألو.. إزيك يا سها.

- أهلًا أهلًا بالهرَّاب.

- قوليلي يا سها هو مقدَّم العربية اللي كنتي عايزاها كام؟

* * *

مرَّت أسابيع دون أن يذهب كريم إلى العمل إلَّا من بضع دقائق خاطفة وعلى فترات متباعدة؛ يذهب فيها ليوقِّع العقود التي تستوجب التوقيع دون أن يدرسها ثُمَّ يستلم الشيكات لينفقها.. لم يعد يعنيه ما يحدث في الشركة حتى غياب والده الذي طال لم يعد يشغله.. أصبح فقط كل ما يشغله هو الاستمتاع بوقته واستعادة تلك الصورة القديمة لحياته.. كان يعلم في قرارة نفسه أنها حياة تعيسة لا تُسمن ولا تغني..

مثل ماء البحر لا تروي عطشًا.. لذا فقدْ حرص على أن يظل خارج الزمن أكبر وقت ممكن.. لجأ إلى الخمور بعد أن أصبحت المخدرات بحكم الاعتياد لا تحقِّق له الغياب الكامل عن الواقع.

عاد واقترب من سها أكثر وأصبح ينفق عليها بسخاء حتى يحافظ على وجودها في حياته.. أصبح يسهر كل ليلة ويقضي النهار نائمًا.. سمح للمزيد من المنتفعين بالالتفاف حوله حتى رمزي صديق الطفولة أصبح واحدًا منهم؛ فلم يعد ينصحه كما كان يفعل في السابق.

هكذا عاد أسوأ مما كان؛ انتقامًا من تلك النفس التي رضيت أن تكون لعبة في يد فتاة أحبَّها.

تعاقبت الأيام كقطار يسير ببطء على قضبان صدأه.. قطار يمضي دون أن يعلم وجهته.

ظلَّ هكذا حتى جاءه يوم لم يكن في حسبانه.

* * *

دخلت عليه كاميليا غرفة نومه تناديه بفزع:

- كريم.

لم يستيقظ فهزَّته بقوة.. كان غارقًا في النوم بسبب الخمر.

هزَّته مرَّات ومرَّات وهي تصرخ:

- كرييييم اصحى.

ليردَّ هو بضيق:

- إيه بس يا كاميليا سيبيني أنام.

جلست بجواره بعد أن انهارت قواها لتقول بدموعها:

- أرجوك اصحى يا كريم.. بابا بيمووت.

انتفض كريم ليرفع الغطاء عن جسده المبلَّل بالعرق ثُمَّ يسألها في فزع:

- إنتي بتقولي إيه؟

لتقول هي بعد أنْ تعالى بكاؤها:

- عمو سعيد اتصل وقال إن حالة بابا اتدهورت أوي.

سألها مرَّة أخرى في عدم استيعاب.

- حالة بابا إيه اللي اتدهورت؟ وعمو سعيد عرف منين؟

بدأت كاميليا تهدأ قليلًا وتقص عليه ما حدث.

لقد اتَّصل عمها سعيد يخبرها بأنه في ألمانيا برفقة والدها؛ حيث ذهب معه بِناءً على طلبه ليكون بجواره أثناء إجرائه عملية قلب مفتوح، وطلب منه ألَّا يُخبر أحدًا، وكان من المنتظر أن يعودا منذ أيام ولكن حالته ساءت كثيرًا على غير المتوقع فلم يسمح له الأطباء بالعودة إلى مصر.

ثُمَّ أكملت وهي تبكي:

- بس بابا قاله لو هاموت يبقى أموت في وسط ولادي، ومصمم يرجع.

انفجر كريم في البكاء لتأخذه كاميليا بين ذراعيها وتنفجر هي الأخرى في البكاء.

ارتفع صوتهما حتى وصل إلى نيِّرة فانطلقت تركض حتى دخلت عليهم لتقول في فزع:

- فيه إيه يا ولاد؟

ضمت كاميليا لأمها وأجلستها قائلةً:

ـ متخافيش يا ماما.. مفيش حاجة.

ثُمَّ مسحت دموعها بكفِّها لتكمل:

ـ بابا عمل عمليه قلب مفتوح وتعبان شوية بس إذن الله هايبقى كويس.

صرخت نيِّرة ثُمَّ قالت بأنفاس متقطِّعة:

ـ أنا قلبي كان حاسس.

ثُمَّ ارتفع صوتها بالبكاء أكثر وهي تقول:

ـ بقالي أسبوع كل ما أطلبه يبعتلي رسالة ويقولي شوية وهطلبك علشان مشغول وميطلبنيش.

أخذت تضرب على صدرها قائلةً:

ـ يا حبيبي يا نادر خبِّيت إنك هتعمل العملية علشان متخضّناش عليك.. طول عمرك شايل الهم لوحدك.. طول عمرك عايزنا نبقى مطمنين ومرتاحين حتى ولو على حساب وجعك.

كانت كلمات نيِّرة تمزِّق كريم وتذكِّره دون قصد بكل ما فعل من حماقات.

شَعر لأوَّل مرَّة بتفاهته، وأدرك كمْ هو ضئيل، رأى نفسه لأوَّل مرَّة في صورته الحقيقيَّة؛ طفل مدلَّل تحرِّكه نزواته.. مراهق لا يملك قرار نفسه.. تحييه فتاة وتقتله أخرى.. وهو بين الأمرين لعبة لا قوام لها.

ـ عرفتي منين يا كاميليا؟

سألتها نيِّرة بدموعها لتقص عليها كاميليا مكالمة عمها سعيد.

- أنا هاخد أول طيَّارة وأسافر له أكيد هو محتاجلي دلوقتي.

قالتها نيِّرة فنهض كريم وقال:

- خليكي إنتي يا ماما.. أنا اللي هسافر لبابا.

لترد نيِّرة في حزم لم يعتاده منها:

- قلت أنا اللي هسافر.. خليك هنا جنب أختك.

نظر كريم لوالدته في عتاب وكأنه يود أن يسألها:

لماذا أصبحتي إنتي أيضًا تعامليني كطفل.. ألهذا الحد صغرت في عينيك؟!

أدركت نيِّرة بقلب الأم ما يشعر به ابنها، وما تحمله تلك النظرة من عتاب.

فاقتربت منه تربت على كتفه وتقول بحب:

- بابا لو محتاج حاجة دلوقتي فهو محتاج وجودك هنا مكانه.. محتاجك تتابع الشركة لأنها لو ضاعت هيضيع شقى عمره وهنضيع كلنا.

لمست كلمات أمه وترًا بداخله فشرد يسترجع الأسابيع الماضية.. يتذكَّر كم العقود التي وقعها دون دراسة وكم الشيكات التي أنفقها ولم يضع منها جنيهًا واحدًا في حساب الشركة.

نظر في وجه أمه بأسف عميق، وظل يتفحَّصها وكأنه يراها لأوَّل مرَّة منذ أعوام؛ كبرت أمه كثيرًا وامتلأ وجهها بالتجاعيد.. ترى هل كبر هو أيضًا؟

مرَّ شريط حياته مسرعًا أمام عينيه ليسترجع السنوات البعيدة.. فتذكَّر تلك اللحظة القاسية التي حوَّلته إلى مسخ آدمي ولكنه لم يُحمِّل

... المسؤولية هذه المرة.. بل تساءل بداخله وهو ينفض عن رأسه ... المر:

هل بمقدوري أن أنهض مرَّةً أخرى فأستعيد ذاتي وأنقذ سفينة ... التي أوشكت على الغرق في غياب ربانها؟

هل أستطيع ذلك؟ تساءل بداخله كثيرًا وكثيرًا حتى شحب وجهه؛ ... أمه على كتفه لتجيب وكأنها سمعت حواره الذاتي:

- هتقدر يا كريم.

فانتفض لتكمل هي:

- أيوة هتقدر يا حبيبي.. وزي ما قدرت في أقل من ست شهور تغيّر وتبهرنا، هتقدر برضه النهارده تستعيد نفسك وتقف على رجلك علشان تحل محل بابا لحد ما يرجع بالسلامة.

ملأت الدموع عيني كريم فاحتضن أمه وكاميليا معًا بذراعيه وأخذ يقبّلهما وهو يقول بكل حنان الدنيا:

- أيوة هقدر.

ليعلو نحيبه وهو يقسم:

- والله العظيم لأصلَّح كل حاجة.

* * *

لم يضيِّع كريم الوقت فاجتمع ظهر ذلك اليوم بكل المديرين ورؤساء الأقسام.. ومن بينهم نور التي رفض المهندس نادر استقالتها قبل سفره؛ موضِّحًا لها أن انفصالها عن كريم ليس له أية علاقة بعملها في الشركة، وأن عليها أن تنهي ما بدأت من دور فعَّال في تطوير الشركة.

طلب كريم تقارير من الجميع وقوفًا على كل المستجدات في الشركة كما طلب منهم التكاتف والتفاني في العمل في تلك الفترة الحرجة محذِّرًا إياهم من انهيار الشركة في غياب صاحبها يعني انهيارهم جميعًا

لاقت كلمات كريم استحسانًا كبيرًا من الحضور وخاصَّةً نور التي لم تنصرف بعد الاجتماع، وجلست تنظر له في إعجاب، كان كريم قد ألقى برأسه بين ذراعيه؛ حيث بدا عليه الإجهاد الشديد.

قالت له هامسة:

- أنا عارفة إن الوقت مش مناسب بس أرجوك لازم تسمعني.

كان كريم قد رفض في كل المرات السابقة الاستماع إلى مبرِّراتها، ولم يكن يرد إلَّا بنفس الكلمات:

أرجوكِ اكتفي بكونكِ موظفة هنا.. أنا مش عايز أسمع حاجة.

لكنه الآن بحاجة لأن يسمعها.. بحاجة لأن يسمع مبرِّراتها لأن يصدِّقها حتى وإن لم يصدِّقها.. هو حقًا بحاجة إلى وجودها بجانبه.

صمت ليتيح لها التحدث وانصت دون أن يردَّ بكلمة.

فقط كان ينظر في عينيها بعتاب وهي تقسم أنها تحبه وأنها فعلت كل شيء من أجله.. من أجل أن تساعده على التغيير.. أقسمت أن والدها قد أخفى عليها أشياء لو كانت تعلمها لما وافقت عليها أبدًا.

تكلَّمت نور كثيرًا، وأقسمت كثيرًا، وكادت أن تبكي ليصدِّقها فصدَّقها. احتضنته لأوَّل مرَّة بأمومة فتنفس بين ذراعيها وقال:

- خليكِ جنبي أنا محتاجلك أووي.

* * *

كان اليوم مجهدًا بكثرة أحداثه؛ اتصل كريم كما اتصل الجميع بالعم ... للاطمئنان على حالة نادر ليخبرهم أنها لم تستقر بعد.

في اليوم التالي كانت نيِّرة قد وصلت ألمانيا فارتفعت معنويَّات نادر ... وما هي إلا أيَّام حتى بدأت حالته في تحسُّن ملحوظ.

كانت ثلاثة أيام قد انقضت قبل أن يسمح الأطباء لنادر باستقبال المكالمات أو التحدُّث لأحد فقرَّرت نيِّرة أن تتَّصل بكريم وكاميليا ... معهما يتحدثان مع نادر ويطمئنان عليه:

قالت نيِّرة:

- أيوة يا كيمو خد بابا عايز يكلمك.

لم يتمالك كريم نفسه من الفرح فحاول أن يتماسك ويخفي دموعه من كاميليا ونور اللتين كانتا بجواره.

أخذ الهاتف وذهب بعيدًا ليقول لأبيه:

- حمد الله على سلامتك يا بابا.

ليرد نادر على الجانب الآخر بصوت خافت:

- الله يسلمك يا حبيبي.. متقلقش عليَّا أنا بقيت زي الفل.

ثُمَّ ينظر إلى نيِّرة ويكمل بحب:

- من ساعة ماما ما جتلي.

لتميل عليه نيِّرة تقبِّله فيكمل:

- طمنني إنت عليك وعلى الشغل.. الدنيا ماشية كويس؟

- اتطمن يا بابا هترجع تلاقي كل حاجه أحسن من الأول بس أنت قوم بالسلامة وأرجعلنا بسرعه.

- خلاص يا حبيبي هانت الدكاترة بيقولوا ممكن أخرج ال...
الجأي لو الحالة فضلت مستقره كده.

تهلل وجه كريم وعاد ليحتضن كاميليا ويعطيها الهاتف ...
على والدها فتأخذه منها نور وهي تقول في مرح:

- عايزه أكلم حمايا.. ثُمَّ تقول بصوت أنثوي خافت وهي تنظر ...

- هو مش حمايا برضه ولَّا إيه؟

* * *

اعتلت نور المنصة بوجه مشرق لتلقي التحيَّة على الجميع ثُم ...
للمهندس نادر الذي جلس في كرسيه المعتاد.

كان المهندس نادر قد عاد من رحلة العلاج بعد أن استقرت حالته
قضى بعدها أسبوعًا آخر في البيت حتى تماثل للشفاء واستعاد عافيته
بالكامل.

ابتسمت ثُمَّ قالت:

- حمد الله عالسلامة يا باشمهندس.. بجد كلنا كنا مفتقدينك.

ثُمَّ أكملت:

- صدقني ده مش كلام موظفين بيهنُّوا مديرهم على رجوعه حضرتك
فعلًا أب لينا كلنا.

صفق الجميع لصدق كلمات نور التي عبَّرت عنهم ليشكرها المهندس
نادر قائلًا:

- طبعًا كلكم أولادي والمكان ده بيت كبير بيجمعنا ويا رب يفضل
دايمًا مفتوح بينا.

... الجميع مرَّةً أخرى، وتعالت هتافات الحب ثُمَّ هدأت تدريجيًا
... نحو البورد وتبدأ المحاضرة.
... بخط كبير:
... الجذب وعلاقته بتطوير الإنسان.
... استدارت لهم وقالت:
... محاضرة النهارده غاية في الأهمية، ومحتاجة تركيز كبير أوي لأننا
... فهمناها وابتدينا نطبَّقها حاجات كتير هتتغيَّر في حياتنا.
... صمتت لحظة ثُمَّ تساءلت:
... مين هنا كان جوَّاه حلم صعب أو مستحيل ولَمَّا صدَّقه وآمن بيه
... لقاه بيتحقق؟
توجهت الأنظار نحو المهندس نادر؛ فالكل يعلم أنه رجل عصامي
... بدأ حياته من الصفر.
فابتسمت نور وهزَّت رأسها مؤكِّدة ما يفكرون فيه ثُمَّ طرحت
سؤالًا آخرَ:
- ومين فينا كان جوَّاه هاجس خايف منه وبيهرب وبيعمل كل
الاحتياطات علشان مايحصللوش لكن مع الوقت لقاه بيطارده وكأنه
مخلوق علشانه وفجأة أتحول لحقيقة في حياته؟
ارتفعت همهمات تعني نعم ثُمَّ قال أحدهم:
- اللي يخاف من العفريت يطلعله.
فقالت نور:
- صح.

ثُمَّ أكملت:

- كل الاختراعات كانت في الأول مجرد خيال؛ الكهرباء.. [illegible] التليفزيون وغيرها وغيرها كلهم كانوا مجرد أفكار في دماغ [illegible] وما اتحولتش لحقيقة غير لما أصحابها صدقوها.

ثُمَّ نظرت لكريم وقالت:

- معنى كده إن أي حاجة بتحصلك سواء كانت خير أو شر [illegible] جوَّا دماغك الأول وبعد كده بيجي مارد كبير اسمه قانون الجذب [illegible] أفكارك دي للكون على شكل صورة فيبتدي الكون يحقَّقها.

رفع رجل خمسيناتي ذو لحية خفيفه يده فأذنت له بالكلام.

فقال:

- المولى -عزَّ وجلَّ- بيقول في حديث قدسي: أنا عند ظن عبدي [illegible] فليظن بي ما يشاء.. يعني اللي حضرتك بتسمِّيه مارد بيحقق أحلام الناس ويطبق أفكارهم هو في عقيدتنا اسمه الله.

فقالت مبتسمة:

- عندك حق بس أنا كمتخصصة مابقدرش أحيانًا أستشهد بعقيدة [illegible] معينة لأن في الحالة دي هلاقي (الآخر) اللي له عقيدة مختلفة رافض [illegible] كلامي ومش مقتنع بيه.

ثم أكملت:

- يعني مثلا فيه قبائل في الهند بتعبد الفيران، دي اقنعها ازاي لو استشهدت بالدين؟

رد كريم مازحا:

ـ مع على كده القبائل دي بتعتبر توم وجيري مسلسل ديني.

ضحك الجميع فقال الرجل مكملا:

ـ بس حضرتك مسلمة والطبيعي إنك تستشهدي بنصوص إسلاميَّة.

أدركت نور أن المحاضرة سوف تأخذ منحى آخر فقالت:

ـ بس مش دايمًا اللي بشرحلهم بيبقوا مسلمين بدليل أن موجود في وسطنا دلوقتي أكتر من واحد مسيحي وأكيد هو مش مضطر يقتنع بفكرة مصدرها عقيدة هو أصلًا مش مؤمن بيها.

فقال الرجل:

ـ طب ما إخوانا المسيحيين برضو مؤمنين بوجود الله.

ابتسمت نور وهي تشعر بالهزيمة لأوَّل مرَّة فقالت مستسلمةً:

ـ في دي عندك حق.

ثُمَّ أكملت:

ـ خلاص يبقي هنغيَّر كلمة المارد أو القوى الكونية ونخليها الله.

ابتسم الرجل فأكملت قائلةً:

ـ نرجع تاني لموضوعنا.

ـ ثُمَّ قالت:

ـ يبقى لو كل واحد قدر يعدِّل طريقة تفكيره وقرَّر أن كل أفكاره تبقى إيجابية ساعتها كل اللي هايحصل في حياته هيبقى إيجابي.

صمتت لحظة ثُمَّ تساءلت:

ـ بس إزاي هنقدر نسيطر على أفكارنا ونخليها كلها إيجابية؟

لم يرفع أحد يده فأكملت:

- تخيَّلوا إن العقل البشري بيستقبل يوميًا أكثر من ٦٠ ألف فكرة ومطلوب مننا إننا نراقبهم كلهم ونفلترهم.

سمعت صوت يقول:

- مستحيل.

فابتسمت قائلة:

- أهي كلمة مستحيل دي بتوصل للكون زي ما هي في صورة معنى فبتجيلك رسالة فوريَّة مكتوب فيها (أيوة مستحيل) يعني حضرتك اللي صنعت الاستحالة.

ضحك الرجل فأكملت:

- إحنا فعلًا نقدر نسيطر على أفكارنا بس عن طريق ميزان المراقبة اللي جوانا اللي هو المشاعر، يعني كل المطلوب من حضرتك إنك تحافظ على مشاعرك وتخليها دايمًا إيجابية وتبقى سعيد في كل أحوالك.

رفع نفس الرجل الملتحي يده لتضحك نور قائلةً:

- ماشي اتفضل بس دي آخر مرَّة علشان تدي فرصة لغيرك.

فقال:

- النبي محمَّد -صلَّى الله عليه وسلَّم- بيقول: (عَجَبًا لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ)

فقالت نور معقِّبةً:

- صدق رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم.

لتتعالى الأصوات:

.. ه الصلاة والسلام.

.. مل هي:

. إذن السعادة مش محتاجة سبب؛ لأنها زي ما قلنا مصدرها جوَّانا .. أننا ممكن نبقى سعداء أو تعساء لنفس الموقف.. الفرق بس في القرار.

سأل شاب عشرينيًا:

ـ طب إزاي بموجب قانون الجذب ده أقدر أحقق حلم معين؟

ثُمَّ ابتسم ليكمل:

ـ أبقى مثلًا عندي شركة كبيرة زي شركتنا دي.

استدار له المهندس نادر ليقول:

ـ صدَّق حلمك واشتغل عليه هتلاقيه اتحقَّق.

لتصفِّق له نور قائلةً:

ـ بالظبط.. صدَّق حلمك، ودي أوَّل وأهم خطوة.

ثُمَّ استدارت نحو البورد، وكتبت بخط كبير:

ـ «السر»

ثُمَّ استدارت مرَّةً ثانية نحوهم لتقول:

ـ من كام سنة كده اتعمل كتاب اسمه (السر) أو (the secret) عملته إنسانة عادية جدًّا اسمها رواندا بايرن. رواندا مرَّت بظروف صعبة خلَّتها تفكَّر في حلول لمشاكلها ومشاكل البشر عمومًا فخرجتلنا بالكتاب العظيم ده اللي باع أكتر من ١٩ مليون نسخة واترجم لكل لغات العالم.

رفع كريم يده قائلًا في مرح:

- أنا قريته.. واحدة بنت حلال نصحتني بيه.

لتردَّ نور بنفس المرح:

- ربنا يكرمها.

ثُمَّ أكملت:

- رغم إن الكتاب ده بيتعارض مع عقيدتنا كمؤمنين بالله لكن فيه نقط إيجابيَّة ومهمة جدًّا، لو قدرنا ناخدها ونرجعها لمفهومنا الديني هانوصل لنتايج هايلة ود اللي هحاول أعمله دلوقتي.

نظرت للشاب صاحب السؤال وقالت:

- ركِّز علشان النقط اللي هطرحها دلوقتي فيها إجابة سؤالك.

عادت إلى البورد ثُمَّ قالت:

- رقم واحد الطلب.. يعني تطلب حلمك من الإله.

رقم اتنين إنك تعمل أي حاجة تأكِّد طلبك ده.. يعني مثلًا تكتبه على ورقة وتحطه أدامك عالسرير أو تكلم الناس عنه.

صمتت لحظة ثُمَّ قالت:

- ورقم تلاتة هو اليقين.. يعني لازم تثق إن حلمك هيتحقَّق علشان يتحقَّق.

ورقم أربعة هو الصبر.

ثُمَّ نظرت إلى كريم مرَّةً ثانيةً وقالت:

- يعني بلاش تستعجل حلمك مهما اتأخر.. وخليك دايمًا مصدَّق إنه جاي واوعى تيأس لأن يأسك هيبقى في حد ذاته فكرة وبالتالي

...

...م كريم.. فقالت:

... فم خمسة إنك ماتسألش نفسك الحلم ده هيتحقَّق إزاي لأن

... مسئوليتك.

... سألت لتتأكَّد من تركيز الحاضرين:

النقطة اللي جاية رقم كام؟

ايجيبوا:

- ستة.

فقالت:

- صح ستة.

ثُمَّ أكملت:

- وهي الامتنان أو الشكر، يعني تحس بكل حاجة حلوة في حياتك؛ صحة - شغل - ولاد - وغيره، علشان تجذب كل حاجة حلوة زيها.

ابتسم الرجل الملتحى قائلًا:

- سبحان الله.. (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ).

لتهزَّ نور رأسها بالموافقة وتكمل:

- أما رقم سبعة فهي الوقت.. وأينشتاين بيقول (الوقت وهم لا وجود له في الحقيقة) يعني لو آمنت إن حلمك اتحقق دلوقتي هيتحقق أسرع بكتير.

ورقم تمانية والأخيرة هي العمل والاجتهاد.

ثُمَّ نظرت للرجل الملتحى وقالت:

-(وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى).

فقال:

-صدق الله العظيم

لتقول هي مازحةً:

-شوفت بقى أني بعرف كل حاجة بس بدكُّن.

ابتسم كريم ثُمَّ نظر لوالده وقال:

- طب بالنسبة للصحة.. القانون ده معندوش طريقة يظبطها لنا؟

لتستعيد نور حماسها قائلةً:

-نقطة مهمة جدًا يا باشمهندس كريم وكويس إنك فكَّرتني بيها قبل ما أختم علشان كده خلوني أحكيلكم تجربة مهمة حصلت بالفعل..

واحد من العلماء جاب مجموعة من الناس اللي عندهم صداع مزمن وإداهم حبوب وهميَّة مالهاش أي علاقة بالصداع وقالهم دي أقوى مسكن للصداع في العالم وسعرها غالي جدًا وطبعًا كل واحد خد الحبَّاية وهو مصدَّق إنها هتضيَّع الصداع.

سأل المهندس نادر في حماس:

-طب وإيه اللي حصلهم؟

فأجابت نور بثقة:

-الصداع راح منهم.

ثُمَّ أكملت:

-شيء معنوي اللي هو الإيمان واليقين.. وشيء مادي اللي هي الحبوب، الاتنين اجتمعوا فحقَّقوا النتيجة المذهلة دي..

..مت بسعاده ثم قالت:

..فى لو صدَّقنا أننا هنشفي يبقى فورًا هنشفي لأن (التفكير) في
.. داته بموجب قانون الجذب هو (فعل).

* * *

كان محروس صاحب فرقة لياليـنا الحلوة يقف أعلى مسرح الصوان
بالشارع ليدير فرقته.

كان يلقى (بالنقطة) من آن لآخر على الراقصة الممتلئة قبل ان يتوقف
فجأة ليستقبل الرجل الذي ترك كرسيه واقترب من المسرح..

صعد الرجل درجات السلم الثلاثة مزهوًا بجلبابه الأبيض ثُمَّ
أخرج من سيالتها حزمة نقود ورقية فئة العشرة جنيهات ليقول بينما
يردد محروس خلفه:

العريس العريس

وكمان العريس كمان العريس

أجدع شباب الجيارة

والعروسة العروسة

وكمان العروسة كمان العروسة

ست البنات

ثُمَّ ينثر العملات على الراقصة وهو ممسك يدها لتطوف هي حوله
وتراقصه.

نزل الرجل من على المسرح ليصعد صبي صغير، مال عليه محروس

فاعطاه الصبي ورقة نقدية ثُمَّ همس في أذنه،

ليرفع محروس الورقه ثُمَّ يهتف في الميكروفون:

- سمع هوووس..

تعلقت به الأنظار ليكمل:

- والتحية دي جاية من المعلم زينهم.. يعني أبو العروسة.. ومن أكبر معلمين الجيارة.. بيمسى ويصبح على كل الناس الحلوة اللي جاية تبارك وتهني.. ورقصني يا جدع.

كانت نور خارج الصوان تمسك بذراع كريم وتحتضنها بالكامل بينما عينيها تلمع من الاندهاش.

قالت بفرحة:

- مش ممكن ده نفس اللي بيحصل في الأفلام بالظبط يا كيمو.

ثُمَّ أكملت ضاحكة:

- شايف الرقاصة مليانه إزاي.. بس والله رقصها حلو، ده أنا معرفش أرقص كده.

لينظر لها كريم ويقول مبتسمًا:

- يا بنتي سيبي دراعي محدش هيخطفك.

ثُمَّ يتذكَّر ما قالته فيترك ذراعها ويقول في مرح:

- أفندم قولتي إيه؟ مبتعرفيش ترقصي إزاي!! أمال أنا متجوزك لـ...

ثُمَّ يقطع كلماته ليستقبل عم زينهم الذي رآه للتو فتقدَّم نحوه بخطوات سريعة.

عانقه الرجل بملء ذراعيه وهو يقول:

ـ والله أنا ما مصدق نفسي.

احتضنه كريم هو الآخر بدوره قائلًا:

ـ ألف مبروك يا عم زينهم.

نظر له عم زينهم وهو يخفي دمعة تسلَّلت من عينه ثُمَّ قال:

ـ وحياة ولادي أنا افتكرتك بتجبر بخاطري لما كلمتك إمبارح وقلتلي إنك جاي.

ثُمَّ مسح وجهه بكفَّيه مرَّةً أخرى وقال وهو ينظر لنور:

ـ طب والنبي إحنا زارنا النبي النهارده يا ست هانم.

لتمد نور يدها تصافحه وتقول:

ـ ألف مبروك يا عم زينهم ربنا يفرحك ببنتك وأخواتها.

سمعها بصعوبة فردَّ قائلًا:

ـ تسلمي يا ست الكل.

أمسك بيد كريم يجذبها ليدخلهما الشادر ثُمَّ أشار لأحد الشباب ليخلي لهما مقعدين في الأمام.

طلب كريم منه أن يجلسا في آخر الصوان فاستجاب له ثُمَّ ركض مسرعًا ليعود بزجاجتين من البيبسي:

ـ ده إحنا زارنا النبي.

قالها الرجل ثُمَّ ركض مرَّةً أخرى ليصعد المسرح حاملًا ورقة فئة الخمسين جنيهًا.

قال وهو يشير إلى كريم:

ـ الأستاذ كريم.

فقال محروس:

- الأستاذ كريم.

فقال زينهم:

- وكمان الأستاذ كريم.

- وكمان الأستاذ كريم.

- والست هانم.

- وكمان الست هانم.

- ولاد الأصول.

- ولاد الأصول.

- اللي بيجبروا بخاطر الناس الغلابة ويقفوا جنهم في زنقتهم.

كانت أنظار المدعوين قد توجهت نحو كريم فمالت نور عليه لتهمس في أذنه قائلةً:

- ماقولتليش يا سوسة انك ساعدته في حاجة.

ثُمَّ ضحكت وقالت:

- هنبتدي نخبي على بعض من دلوقتي!

قال كريم وهو يضربها بحنو على كتفها:

- هاتستهبلي.. منا قلتلك إن ده الراجل اللي كان معايا في الحبس.. وبعدين ما إنتي عارفه كل حاجة.. واسكتي بقى علشان مفتكرش اللي عملتيه وأخنقك.

لتصيح نور ضاحكة:

- طب والله العظيم ما أعرف حاجة عن اللي دار في الزنزانة ولا

ـ بابا يعرف.. وكل اللي حصل جوًّا ده كان حقيقي.

لِمَ تقول لتغيظه:

ـ إحنا يادووب دخَّلناك الحبس بس.

لبضربها مرَّةً أخرى على كتفها قائلًا:

ـ ماشي ماشي كلهم كام شهر ونتجوز وأخلصه منك.

اقترب عم زينهم وهو يصحب امرأة عجوز ترتدي عباءة سوداء مطرَّزة بالفصوص اللامعة ثُمَّ قال وهو يشير لكريم:

ـ ده بقى الأستاذ كريم اللي حكيتلك عنه.

انحنت السيدة محاولة تقبيل يد كريم فسحبها سريعًا وهو يقول:

ـ أستغفر اللـه..

ثُمَّ أكمل:

ـ ده إنتي زي أمي وعم زينهم زي أبويا.

لتنظر له المرأة وتقول:

ـ ربنا يكرمك ومايرميكش في ضيقة يا ابني ويفرج كربك زي ما فرَّجت كربنا.

احتضنها نور وقالت:

ـ اللـه.. دي أجمل دعوة.

ثُمَّ أكملت وهي تنظر للعروسة التي وقفت ترقص على المسرح:

ـ ربنا يفرحك بالعروسة الأمورة وتشوفي ولادها.

لتقول السيدة في كسوف:

ـ يوووووه معلش يا بنتي يقطعنى ماخدتش بالي منك.

ثُمَّ تنظر إلى كريم ليعرفها بنور قائلًا:

- دي نور خطيبتي يا حاجة.

احتضنتها السيِّدة مرَّةً أخرى لتقبلها عدة مرَّات على خدها وهي تقول:

- اللهم صلي عالنبي زي القمر.. ربنا يخليها لك يا أستاذ كريم.

لتردَّ نور:

- متشكرة أووي يا حاجَّة.

فيقول عم زينهم:

- وامتى الفرح الكبير إن شاء الله؟

فيردَّ كريم ضاحكًا وهو ينظر لنور:

- مش لما نعمل الفرح الصغير الأول.

قالت نور:

- بإذن الله تشرفونا الأسبوع الجاي.. هنعمل خطوبة عالضيق كده في البيت عندي.

* * *

جلست نور بجوار كريم في السيَّارة، وقد بدا عليها علامات السعادة فأرخت رأسها للخلف وقالت بارتياح:

- يااااه أعظم حاجَة في الدنيا إنك تسعد غيرك.

ليردَّ كريم وهو يمسك بعجلة القيادة:

- فعلًا عندك حق.. دي أوَّل مرَّة في حياتى أفهم معنى كلمة جبر الخواطر.

* * *

الفصل السادس

الصدمة



وقف تامر يضرب كفًا بكف وهو يضحك بصوت عالٍ:

- مكانش يومك يا كيمو.

وضع رمزي يده على فمه محاولًا إسكاته:

- يا ابني وطِّي صوتك الناس كلها عمَّالة تبص علينا.

لترد نيفين ضاحكة:

- طب والله ما مصدقة إن كيمو خلاص هيتجوز.

ضحك الجميع بينما قال أمير موضحًا:

- يا جماعة إنتوا ليه واخدين الموضوع بجد كده.

ثُمَّ أشار إلى كريم من بعيد وهو يهتف.

- ألف مبروك يا كبيرنا.

كان كريم يقف وسط والدته وشقيقته ببدلته السوداء الأنيقة فأشار إلى أمير بامتنان.

قال أمير مكملًا حديثه:

- هو يعني كريم أوَّل مرَّة يخطب.. ما إنتوا عارفينه.

لتردَّ ميار مؤكِّدةً كلامه:

- تلاقوه معرفش ياخد منها لا حق ولا باطل راح خاطبها.. وبكره يخلع منها زي اللي قبلها.

تنهّد رمزي وهو يلتقط كوب عصير من الخادم الذي يطوف با
المدعوين ثُمَّ قال:

- والله ما إنتوا فاهمين حاجة.

ليردّ تامر:

- طب ما تفهّمنا إنت يا أبو العريف.

* * *

قال المهندس نادر الذي جلس في زاوية الرسيبشن محدِّثًا صديقه:

- البركة فيك يا دكتور لولا اللي عملته مكانش كريم هيتغير كده

فيردّ الدكتور أبو المكارم قائلًا:

- كريم أصلًا خامة كويسة وأنا كنت واثق أنه هيلاقي نفسه.

* * *

قالت نيِّرة في استياء:

- يا كريم روح شوف أصحابك دول وقولهم يبطلوا هزار شوية.. المعازيم كلها بتبص عليهم.

ردّ كريم:

- يا ماما ماتسيبيهم يهزروا.

ثُمَّ أكمل مازحًا:

- أصحاب وشمتانين في صاحبهم إيه المشكلة.

لترد نيِّرة:

ـ وه يا كريم هو إنت كل حاجة تخدها هزار كده!

ثم قالت وهي تنظر لأعلى:

ـ ماتطلع تشوف عروستك اتأخرت ليه كده؟

ثمّ أكملت:

ـ الحفلة قربت تخلص وهي لسه منزلتش.

لتردَّ كاميليا:

ـ حفلة إيه بس يا ماما اللي قربت تخلص.. ده إحنا لسه مبقالناش

ربع ساعة جايين.

قال كريم ضاحكًا:

ـ والمصحف طلعت أجيبها قالولي ماينفعش تدخل على خطيبتك

وهي بتعمل مكياجها أصله فال وحش.

لتضحك كاميليا بينما تعقد نيِّرة حاجبيها وتقول:

ـ لأ وإنت الصادق دول خايفين لتشوفها من غير ماكياج فتطفش.

* * *

قال رمزي مازحًا:

ـ يا إخواننا كفاية هزار بقى لحسن كريم شكله هيتعلق النهارده.

ثُمَّ أكمل:

ـ أصل طنط نيِّرة عمَّالة تبص علينا بغيظ.

سأله تامر مرَّةً أخرى:

- يعني ماقولتلناش يأبو العريف إيه اللي إحنا مش عارفينه؟
قال رمزي:
- اللي إنتوا مش عارفينه ولا فاهمينه إن نور غير أي بنت تانية
أخذ رشفة من العصير ثُمَّ قال شارحًا:
- يعني لا هي سها ولا رباب ولا أي واحدة من اللي عرفهم كريم
وبعدين كريم بيحبها بجد وإلا مكانش اتغير بالشكل ده.
لتقاطعه ميار:
- آه والله ده اتغير ١٨٠ درجة.
ثم تكمل:
- بس برضو هيفضل بتاع بنات.
فيرد أمير مازحا:
- أنا أعترض، ماسموش بتاع بنات، اسمه جابر للخواطر ذو مشاعر فياضة تستوعب أكثر من أنثى.

* * *

تساءلت كاميليا:
- هو عمو وتيتة اتأخروا كده ليه.
فردت نيرة:
- بصراحة مكانش فيه داعي يتعبوا نفسهم ويجوا من أصله.
نظر لها كريم نظرة اعتراض ثُمَّ قال لكاميليا:
- يتوهوا إزاي؟ إنتي ناسية إن عمو جه معانا يوم ما اتقدمنا لنور!

هزت كاميليا رأسها مؤيدة في حين شعر كريم باهتزازت في جيبه.
مدَّ يده ليخرج هاتفه ثُمَّ قال:
- يا خبر! ده عمو سعيد اتصل كذا مرَّة وأنا كنت عامل الموبايل
سايلنت.
رن موبايل كاميليا فقال كريم:
- ده أكيد عمو.
ردَّتْ كاميليا قائلة:
- أيوة يا عمو إنت وصلت لفين؟
ليردَّ عمها على الجانب الآخر:
- أنا بقالي نص ساعة بلف حوالين نفسي.. شكلي كده نسيت المكان.
ثُمَّ قال:
- اديني كريم يوصفلي.
ارتفع صوت الموسيقى بعد أن بدأت الفرقة بالعزف، فأخذ كريم الهاتف من شقيقته ليتحدث إلى عمه فلم يسمع أحد منهما الآخر.
تحرَّك بخطوات سريعة محاولًا البحث عن مكان أكثر هدوءًا حتى وصل إلى باب غرفة مكتب الدكتور أبو المكارم، أدار المقبض ثُمَّ دفعه.. وهو يقول:
- خليك معايا يا عمو ثواني.
ثُمَّ ضغط زر الإضاءة وأكمل:
- أيوة أنا كده سامع حضرتك.. قولي بقى إنت بقيت فين دلوقتي؟
- أنا كده عديت صينية التجمُّع الأول.

- طب كويس كمل بقى لحد...

ثُمَّ صمت بعد أن وقعت عيناه على دوسيه مكتوب عليه اسمه، أثار فضوله، فالتقطه من على المكتب.

قال له عمه:

- خلاص يا كيمو أنا كده هعرف أوصل.. يالا ارجع إنت لتمرينك يا حبيبي.

أنهى عمه المكالمة دون أن يسمعه كريم؛ حيث كانت عيناه ما زالت متعلقةً باسمه المكتوب بخط كبير وسط العنوان:

(الفرق بين المتعة والسعادة في تجربة هوبر وكريم)

تقديم الباحثة: ريهام حسن

لم يكن من اللائق أن يجلس كريم في غرفة ليست غرفته ولكنه جلس.. ولم يكن من حقه أن يعبث بأوراق ليست أوراقه ولكنه فعل.. لم تكن أخلاقه ولم يكن هذا ما اعتاد عليه ولكنه الفضول.. ذلك الشيء الذي يقودنا أحيانًا إلى الهلاك.

فتح الدوسيه بأصابعه المرتعشة وهو يتوقَّع كارثة جديدة فلم يخيِّب القدر ظنَّه.

كانت صورته تتوسط الصفحة الأولى من حزمة الأوراق الكبيرة.. كانت صورة غير عادية.. صورة لا يعلم من التقطها ولا متى ولا أين.

كان هو في الصورة واقفًا مزهوًا بنفسه وسط فريق الهارلي يرتدي تلك الملابس المميزة للفريق.. خوذة فضيَّة اللون وبنطلون وجاكيت من الجلد الأسود اللامع أسفلهم حذاء كبير محفور على جانبيه البادج المميز للفريق، وكان مكتوب أسفل الصورة:

(المرحلة الأولى من حياة الحالة)

... على الكرسي ليخفق قلبه بشدة وتتسارع أنفاسه وهو يقلِّب الصفحات ليرى حياته أمام عينيه موثقة بالكلمات والصور.. فيغيب عن الواقع ويسكن جسده تمامًا إلَّا من شفتيه، تلك التي ظلَّت ترتعش ... بما يقرأ.

نزلت نور على السلالم ترتدي فستانها الوردي المبهج وتتوسط اثنتان من صديقاتها،

صفَّق الجميع وتعالت الهتافات المرحة فاختلطت بصوت الموسيقى، بينما كانت عيني نور تتجوَّل في المكان باحثةً عن كريم.

كأي عريس كان عليه استقبالها منذ اللحظة الأولى ولكنَّه لم يفعل.

لم تمر لحظات حتى ظهر في نهاية الممرّ وهو يخرج من باب غرفة مكتب والدها.

كان ممسكًا بالأوراق والصور ويتحرك بخطوات ثقيلة.

تعلَّقت عيناه بعينيها في حزن شديد لتستبين الفاجعة.

نظرت إلى والدها وكأنها تلومه لأنه رفض أن تعترف لكريم بكل شيء قبل الخطبة

ويا ليته تركها تفعل..

لقد توسَّلت له بالأمس قائلةً:

ـ يا بابا أرجوك لازم أعترف لكريم بكل حاجة.. ده خلاص خطوبتنا بكره.

ـ طب وافرضي اعترفتيله وانهار زي المرَّة اللي فاتت ورجع أسوأ

من الأول؟ ساعتها هاتكتبي إيه في نهاية الرسالة؟

- معقولة يا بابا كل اللي يهمك هي رسالة الدكتوراه!!

- يا بنتي افهمي.. لازم كريم يفضل على الحالة دي ناجح وسعيد كده لحد يوم المناقشة عالأقل.

نظرت له في عدم فهم، ليكمل:

- علشان لَمَّا تقدميه ليهم بالصورة الجديدة ويقارنوا بنفسهم بين حالته دلوقتي وحالته زمان يدوكي امتياز بدون تردد.. وهاتبقى ساعتها أول باحثة تقدم رسالة مرفقة بحالة حقيقية نجحت بالفعل.

- هو حضرتك كنت متخيِّل أني ممكن أقدم كريم لـ «اللجنة»؟

- طب وإيه المانع؟

- لأ طبعًا.. عمري ماكنت هعمل كده أبدًا.

ثُمَّ أكملت وهي تتركه منصرفة:

- أنا متأسفة يا بابا، أنا هطلب كريم وأحكيله على كل حاجة ودلوقتي حالًا.

- وهاتقوليله إيه إن شاء الله؟ هاتقوليله إنه كان مجرد حالة بالنسبة لكِ؟

- أيوة هقوله.. وهحلفله إنه كان في الأول كده.. مجرد حالة بس دلوقتي بقى كل حاجة في حياتي.. وهسيبله الاختيار.

- بس خدي بالك لو كريم عرف الحقيقة كلها هيخسر ناس تانية غيرك.

- عارفة طبعًا.. وهو لازم يعرف إن المهندس نادر هو اللي طلب من حضرتك تعالجه و...

أم صمتت ليقول هو:

ـ ما تكملي يا دكتورة.. مش هتقوليله كمان إنى لما حكيتلك عنه وإزاي نستغليه في موضوع رسالتك واتفقتي مع باباه إنك تدخلي الشركة بشهادات واسم مزيفين.

ـ أيوة يا بابا هقوله وهعترفله بكل حاجة، ولو رفض يسامحني هكتب في نهاية الرسالة إني فشلت في إثبات نظريتي.

ـ لااااا إنتي أكيد اتجننتي يا ريهام.

ـ من فضل حضرتك بلاش تناديني بالاسم ده، إنت عارف إني مش بحبه.

كان (ريهام) هو اسمها الحقيقي الذي اختاره لها الدكتور أبو المكارم ودوَّنه في شهادة ميلادها، أمَّا (نور) فكان الاسم الذي اختارته لها والدتها، وظلَّت تناديها به حتى موتها، لذا فقد ظلَّت نور طيلة حياتها تعتبره اسمها الحقيقي بل وتطلب من الجميع أن ينادونها به.

قال الدكتور في نفاد صبر:

ـ خلينا في المصيبة اللي ناوية تعمليها وسيبك من الأسامي والتهريج ده.

ثُمَّ قال مسرعًا قبل أن ترد:

ـ اسمعيني كويس، هي كلمة ومش هكررها..

ثُمَّ رفع إصبعه ليقول محذرًا:

ـ لو اعترفتي لكريم بأي حاجة أنا هعتذر عن الإشراف على رسالتك وكمان هرفض دخول لجنة الممتحنين.

اقترب كريم من نور أكثر بينما تسمَّرت هي في مكانها على الدرجة الأولى من السلم.

جذب يدها ليضع عليها قبلة ثُمَّ وضع الأوراق والصور في يدها الأخرى.

نظر في عينيها ثُمَّ قال بحزن الدنيا:

- ألف مبروك يا ريهام.

ثُمَّ أكمل وهو يترك يدها تسقط:

- على الدكتوراه.

ثُمَّ انصرف وسط صمت الجميع.

الفصل السابع

المحاكمة



قال الدكتور صبري وهو يقرأ:

ـ في صفحة ٦٢٥ إنتي كاتبة أن كريم بعد الواقعة دي اختفى تمامًا وقفل كل موبايلاته ومحدش عرف عنه حاجة بعدها.

ثُمَّ نظر لها مرجِّحًا:

ـ يعني وارد يكون رجع أسوأ من الأول.. يبقى إزاي أعتبرتيه تجربة ناجحة وإثبات لنظريتك؟

أطرقت رأسها وهي تتذكَّر تحذير والدها ثُمَّ رفعتها مرَّةً أخرى وقالت:

ـ برغم إني واثقة إن كريم أتغير بجد ولقى طريقة للسعادة لكن الصفحة دي بالذات أنا كتبتها من باب الأمانة العلميَّة،

لكن المفروض إن تجربتي كانت هتنتهي بمجرد إعلان خطوبة نور وكريم ووصوله لمفهوم السعاده الحقيقيَّة.

ضحك الدكتور صبري ثُمَّ قال:

ـ خلاص يا ستي هفوتهالك علشان أمانتك العلميَّة.

ثُمَّ نظر لدكتور حسن أبو المكارم وقال:

وكمان علشان خاطر بابا.

ليردَّ دكتور حسن:

ـ لاااا يا دكتور هنا مفيش بابا، إنت كده هتخليني أسقطها.

ليضحك الحاضرون جميعهم.

ثُمَّ يظهر كريم فجأةً وهو يدخل من إحدى أبواب القاعة.

كانت هيئته قد تغيَّرت تمامًا؛ فقد نحف جسده، وأصبح له ذقن دوجلاس كثيف، وشَعر طويل يجمعه من الخلف على طريقة البونيتيل.

كانت كاميليا أيضًا قد جاءت من البداية بصحبة والدها؛ لتحضر مناقشة رسالة نور فوقعت عينها على كريم وهو يدخل القاعة.

خفق قلبها وأخذت تتأمله حتى كادت الفرحة أن تقفز من عينيها.

مالت على والدها لتهمس له:

- كريم أهوو يا بابا.. كريم أهوو.

لتعود الحياة إلى ملامح المهندس نادر وينتفض واقفًا وهو ينظر بسعادة كبيره إلى ابنه

نظر حوله ليتذكر أنه في قاعة مناقشة يعمُّها الهدوء فجلس مرَّةً أخرى.

لمحتهم ريهام لتنظر هي الأخرى إلى حيث توجَّهت أنظارهم فتكتشف وجود كريم بهيئته التي تغيَّرت وهيبته التي لا تتغير.

كست وجهها ابتسامة عريضة فجلست دون وعي

ثُمَّ نهضت مرَّةً أخرى لتعتذر وتواصل شرح الصفحات الأخيرة من رسالتها.

استرجعت بعض المشاهد من حياة كريم السابقة في حين جلس هو في مقعد جانبي بمفرده يستمع إليها مستعيدًا تلك المواقف التي مرَّت به؛ مواقف لم يكن يتوقع أن أحدًا كان يراقبه آنذاك ويحصيها عليه ليصنع منها رسالة دكتوراه.

اختلطت المشاعر والمشاهد في رأسه كطاحونة هواء تدور وتدور مسرعة رغمًا عنه حتى إصابته بصداع رهيب، أمسك برأسه في محاولة للسيطرة على أفكاره فلم يفلح فاعتصرها بكلتا يديه ثُمَّ ألقى بها مستندًا على ظهر المقعد الأمامي حتى غاب عن الواقع.

مرَّت لحظات ثقيلة فرفعها مرَّةً أخرى ليجد نفسه واقفًا في قفص حديدي على يمين منصة الممتحنين وقد تحولت إلى منصة قضاء.

هزَّ رأسه عدة مرات علَّه يفيق ممَّا ظنَّه حلمًا ليجد الدكتور أبو المكارم يضرب على المنصة بمطرقة خشبية ويقول في حزم:

- سكوووووت.

كان الدكتور أبو المكارم يرتدي زِيَّ القضاة ويتوسَّط نفس الممتحنين اللذين ارتديا هما أيضًا زِيَّ المستشارين.

ضرب أبو المكارم المنصة بمطرقته مرَّة أخرى ثُمَّ سأل بصوت عالٍ:

- مين حاضر عن المتهم ده؟

ثُمَّ أشار لكريم الذي وقف خلف القضبان يرسم لوحته ولا يكترث بما يدور حوله. نهضت نور من نفس مقعدها مرتدية روب المحاماة وقالت:

- أنا يا فندم حاضرة عن المتهم.

ثُمَّ تساءلتْ:

- بس مين اللي قال أصلًا إن كريم متهم؟

لينتبه كريم ويتوقَّف عن الرسم بينما ترتفع أصوات الجالسين بالقاعة في اعتراض واضح على ما قالت.

أشار لها القاضي لتكمل فقالت بنفس اليقين:

- أنا واثقة أن كلنا هنا متهمين، وكريم هو الوحيد اللي بريء في القاعة دي.

لتعلو الأصوات أكثر بينما تصفِّق كاميليا وعمها سعيد لما قالته نور، لتكمل نور وسط الضجيج:

- إحنا النهارده يا سيادة القاضي أُدَّام جريمة كاملة.

ثُمَّ تشير إلى نادر ونيِّرة وتقول:

- المتهمين فيها خارج القفص...

وتشير لكريم وتقول:

- والضحية فيها هو اللي محبوس.

ضرب الدكتور أبو المكارم بمطرقته مرَّة أخرى محاولًا إسكات القاعة؛ فأشارت نور إلى المهندس نادر قائلةً:

- المهندس نادر المتهم الأوَّل في القضيَّة.

ثُمَّ قالت:

- اتولد في أسرة بسيطة جدًّا، وقرَّر زَي أي شاب أنه يحقَّق حلمه.. بس لمَّا دخل الجامعة واكتشف أن الطريق لسه طويل، قال أختصره وأتجوز واحدة غنيَّة تساعدني بفلوسها وعلاقاتها، وفعلًا عمل كده واتجوز نيرة واستثمرها هي وعلاقتها لحد ما وصل للي هو عايزه.. بس مع الوقت اكتشف إنه بيكبر وبيعجز فخاف على الحلم اللي حقَّقه ليضيع.. قعد مع نفسه وفكَّر أنه يجيب للحلم ده حارس يحرسه، بص حواليه مالقاش غير ابنه كريم اللي كان عايش هو كمان علشان حلمه

الشخصي.. فقرر يقهره بسُلطة الأب، أجبره أنه يتخلَّى عن حلمه في الفن علشان يسجنه جوًا حلمه هو ويعيِّنه حارس عليه.

وقف المهندس نادر محاولًا الدفاع عن نفسه فأسكته القاضي قائلًا:

ـ لمَّا ييجي دورك أبقى اتكلم.

لتكمل نور وهي تشير لنيِّرة:

ـ أما بقى مدام نيِّرة أو مدام نانا فهي نموذج للأم الفاشلة بمعنى الكلمة.

لتردَّ نيِّرة:

ـ فاشلة في عينك وعين أبوكي التنك ده.

ضحكت القاعة فأكملت نور متجاهلةً ما سمعت:

ـ أم قرَّرتْ تعوَّض مركَّبات نقصها في بنتها كاميليا، ولما فشلتْ راحت مكرَّرة المحاولة مع ابنها كريم وللأسف نجحت.. قعدت تدلَّع فيه وتشجَّعه يعمل كل حاجة وأي حاجة مهما كانت غلط.. المهم تتمنظر أُدام صاحبتها وتوريهم أن ابنها دونجوان ومقطَّع السمكة وديلها.. يعني...

قاطعها كريم وهو يواصل رسم لوحته دون أنْ ينظر لها:

ـ طب وبالنسبة للأخت المحاميَّة.. مالهاش نصيب هي كمان من التهم دي؟

لتطرق نور رأسها وتقول في خجل:

ـ أيوة طبعًا ليها يا كريم.

ثُمَّ تنظر للقاضي وتقول:

- واللي واقفة أدام حضراتكم دي إنسانة ماتقلش تفاهة و لا أنانية عن باقي المتهمين.

ثُمَّ تنهَّدت لتكمل:

- إنسانة استغلت طيبة وحب كريم.. الإنسان الطيب المسالم علشان تحقِّق انتصار علمي على حساب كرامته ومشاعره.

رفع الدكتور أبو المكارم صوته لينهي الجلسة:

- حكمت المحكمة...

فأوقفه كريم قائلًا:

- لاااا حكمت المحكمة مين يا ريس.. هو إنت صدقت إنك قاضي بجد!!

ثُمَّ قال بسخرية وهو يشير لكل مَن بالقاعة:

- ده حضرتك رئيس العصابة دي كلها.

رسم خطوط كثيرة في لوحته ثُمَّ قال:

- إنت اللي فكَّرت ورسمت وخطَّطت ونفَّذت.

ضحك ضحكةً عاليةً ثُمَّ قال:

- بقى يا راجل تشغَّلني سوَّاق وتسرق عربيتي وتحبسني وتبهدلني كل البهدلة دي علشان رسالة بنتك؟

ليرد أبو المكارم هو أيضًا في سخرية:

- طب مش لما تقولنا الأوَّل يا دنجوان عصرك إزاي عربيتك اتسرقت وكنت فين لما اتسرقت؟

أطرق كريم رأسه فأكمل أبو المكارم:

ـ وبعدين مين قالك إني أنا رئيس العصابة؟

ثمّ أشار إلى المهندس نادر وقال:

ـ رئيس العصابة قاعد أدامك أهوو.

ليرفع كريم رأسه ثم ينظر في تعجُّب إلى والده الذي خبّأ رأسه.

فيكمل الدكتور أبو المكارم قائلًا:

ـ أبوك يا حبيبي هو اللي فكَّر وخطَّط ودبَّر، وأنا حيالا اللي نفَّذت.

نهض المهندس نادر ليقول في استعطاف:

ـ والله يا ابني ما كنت أعرف إنهم هيبهدلوك كده.

ليضحك أبو المكارم ويقول لنادر في سخرية:

ـ حمد الله عالسلامة يا باشمهندس من عملية ألمانيا.

فصمت وأطرق برأسه مرَّة ثانية.

مدَّ كريم يده خارج القفص الحديدي محاولًا فتحه فلم يفلح.. ليظهر فجأةً كريم مرَّةً أخرى واقفًا على يسار منصة القضاء مرتديًا وشاح النيابة.

ضحك مستهزئًا ثُمَّ قال لكريم الواقف في القفص:

ـ فرحان إنت أووي بدور الضحيَّة ومصدَّقه.

ثُمَّ قال بنفس السخرية:

ـ ماما اللي دلَّعتك وبوَّظتك.. وبابا اللي قهرك وضيَّع حلمك.. ونور اللي ضحكت عليك واستغلَّتك.

ثُمَّ صرخ فيه قائلًا:

- لحد إمتى هتفضل عايش رد فعل كده. أمال فين إرادتك؟!

ثُمَّ أشار إلى كاميليا وقال:

- طب ما هي أختك اتولدت معاك في نفس البيت، من نفس الأب ونفس الأم ونفس الظروف.. بس هي قدرت تدافع عن حلمها في الفن وتحقَقه وتدافع عن حبِّها وتتخطب للي بتحبه، اشمعنى إنت اللي متخاذل كده.. ماتكسر القفص وتخرج. إيه اللي مانعك!!

حاول كريم أن يفتح القفص مرَّةً ثانيةً ففشل.

ليصرخ قائلًا:

- مش قادر.

ليقول كريم ممثل النيابة:

- يا أخي اكسره واهرب بحلمك.

فيكسر كريم الباب ويخرج حاملًا لوحته وسط ضوضاء وشجار من كل الأطراف فيمضي في طريقه بينهم دون أن يلتفت إليه أحد.

* * *

استيقظ كريم من غفوته ليجد نفسه ما زال جالسًا على كرسيه داخل القاعة فنظر حوله ليجد نور تنهي مناقشة رسالتها قائلةً:

- وقبل ما أنهي مناقشة رسالتي أحب أعترف إن مش كريم لوحده هو اللي اتعالج في التجرِبة دي.

نظر لها الممتحنون في غير فهم فأكملت:

- نور كمان اتعالجت زيه بالظبط ويمكن أكتر.. على الأقل هو كان

•ريض ومعترف بمرضه، لكن هي كانت مريضة بس رافضه تعترف..

صمتت لحظةً لتكمل:

- لكن حبها لكريم خلَّاها تخف من مرضها وتكتشف إن الحياة فيها حاجات حلوة كتير ممكن تحقَّق لها السعادة غير النجاح والتفوق والدرجات العلميَّة.

قالت وهي تلتف له:

- كريم بجد هو اللي خلَّاها تعرف الفرْق بين المتعة والسعادة.. وشكرًا.

صفَّقت القاعة بأكملها، وعلا الهتاف، بينما نظرت نور للخلف مرَّة أخرى لترى كريم يخرج من باب القاعة.

كادت أن تركض خلفه لولا صوت الدكتور صبري الذي دوَّى في القاعة قائلًا:

- قرَّرت اللجنة بالإجماع منح الباحثة ريهام حسن أبو المكارم رسالة الدكتوراه بتقدير جيد جدًّا والسماح لها بطباعة الرسالة بعد تعديل النقاط التي تم الاتفاق عليها.

تعالت الهتافات أكثر بالقاعة ثُمَّ نهض الجميع ليهنئوا نور بينما ظلَّت عيناها معلَّقة بباب الخروج.

* * *

بعد ستة أشهر

قاعة الفن التشكيلي بدار الأوبرا المصرية.

أخذ الزوَّار يتجوَّلون لمشاهدة اللوحات المعلَّقة بينما وقف الصحفيون يلتقطون الصور للشخصيَّات الهامة التي حضرت.. في حين وقف كريم بهيئته الجديدة يبتسم لشقيقته.

كانت كاميليا تجلس في ركن القاعة تعزف على البيانو مقطوعة فالس الربيع لشوبان وبجانبها أيمن خطيبها.

بادلته كاميليا الابتسامة فنقل بصره إلى والده ثُمَّ أشار له متسائلًا من بعيد:

- إيه اللي بيحصل عندك؟

كان المهندس نادر قد وقف يفضُّ الاشتباك كالعادة بين نيِّرة وأخيه سعيد، فضحك وهو يرد الإشارة لكريم بمعنى:

- مش عارف أعمل معاهم إيه.

ليضحك كريم هو الآخر..

استوقفه أحد النقَّاد متسائلًا وهو يكتب:

- إيه يا أستاذ كريم أقرب أعمالك الفنيَّة لقلبك؟

فيشير كريم إلى إحدى اللوحات قائلًا:

- هي دي.

ثُمَّ أخذ يشرح له متى وكيف بدأها.

كانت اللوحة عبارة عن فتاة خمريَّة اللون محاطة بهالة من النور تمد كلتا يديها لشاب أسمر يغرق في الظلام.

صفَّق الناقد إعجابًا باللوحة، بينما شعَر كريم بيد حانية تربت على كتفه من الخلف فنظر ليجدها هي!!

لتسأله بصوتها الهادئ المرح:

- اللوحة دي للبيع حضرتك؟

فيبتسم قائلًا:

- لا يا فندم دي بالذات مش للبيع دي للخلود.

ثُمَّ يمسك يدها ويسألها:

- بتحبي انهو كريم أكتر.

فتشير إلى قلبه.

لترتفع أصوات الموسيقى أكثر.

تمت



ألف شكر لكتيبة الإنقاذ:
الروائي أحمد عبد المجيد
الكاتبة هبة السواح
الكاتبة نهال كمال
ثلاثي من غيرهم ماكنش الكتاب ده هايخرج للنور .

شكرًا لأساتذتي وأصدقائي اللي دايمًا جنبي:
د/ عمرو خالد
د/ محمد فتحي
د/ محمد المهدي
أ/ جيهان المغامسي
أ/ مصطفي الفرماوي

للتواصل مع الكاتب عبر الأكاونت الشخصي:

www.facebook.com/Ihabmeawad



إيهَاب مُعوض

كيمو
شَهريَار التَجمُّع

فتح الدوسيه بأصابعه المرتعشة وهو يتوقع كارثة جديدة فلم يخيب القدر ظنه.
كانت صورته تتوسط الصفحة الأولى من حزمة الأوراق الكبيرة، كانت صورة غير عادية، صورة لا يعلم مَن التقطها ولا متى ولا أين.
كان هو في الصورة واقفًا مزهوًا بنفسه وسط فريق الهارلي يرتدي تلك الملابس المميزة للفريق، وكان مكتوب أسفل الصورة: المرحلة الأولى من حياة الحالة".

كريم، أو كيمو، أو شهريار التجمع.. كلها ألقاب وأسماء حركية للدنجوان الكبير بطل الكتاب ده، اللي عنده كل مقومات السعادة ورغم كده كان عايش تعيس، لحد ما هتدخل حياته نور.. البنت الجميلة والكوتش العبقرية، اللي هتحاول تحل شفرته وتساعده على التغيير.
لكن السؤال هو هل فعلًا هتنجح في ده؟







